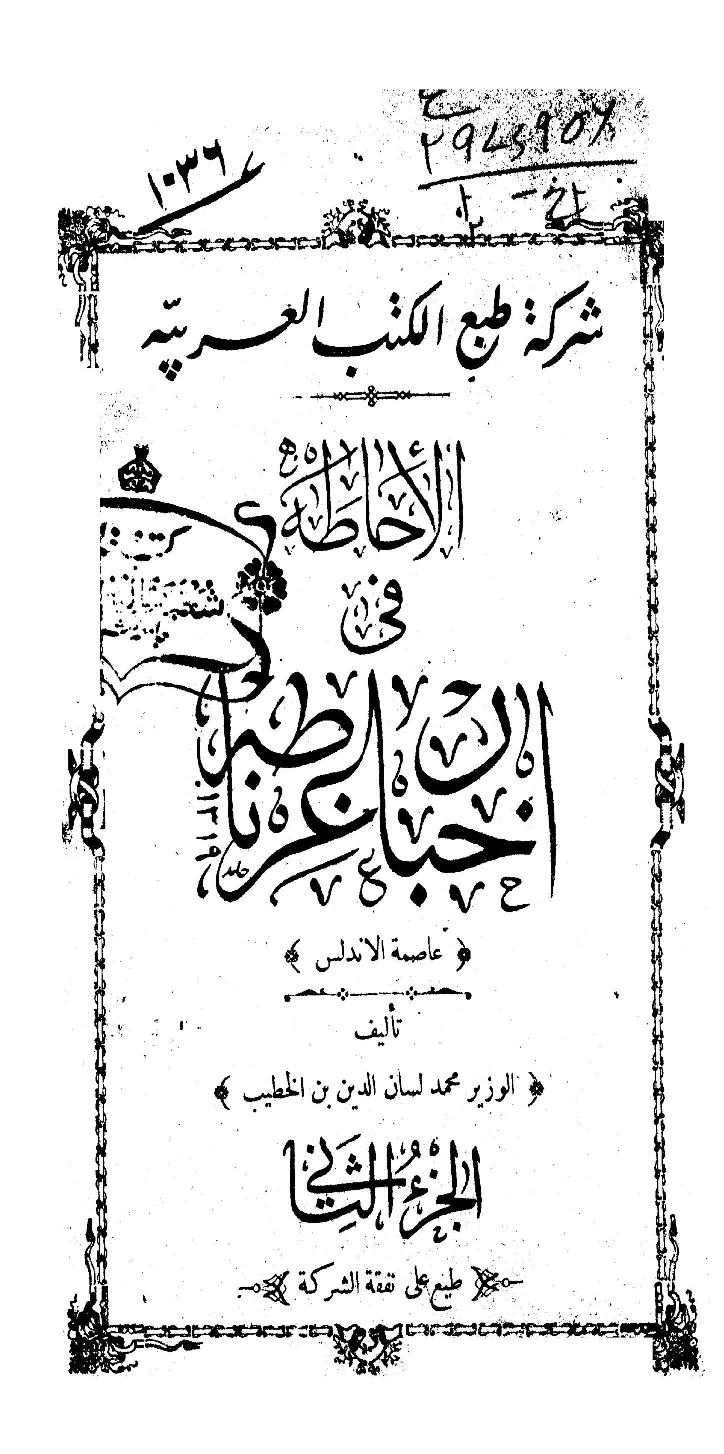


شركة طبع الكتب العربية

الإحاطة في أخبار غرناطة

(عاصمة الاندلس)

تأليف

الوزير محمد لسان الدين بن الخطيب

الجزء الثاني

طبع على نفقة الشركة

طبع على نفقة

شركة طبع الكتب العربيّة

الجزء الثاني من

كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة

تأليف

الوزير محمد لسان الدين بن الخطيب

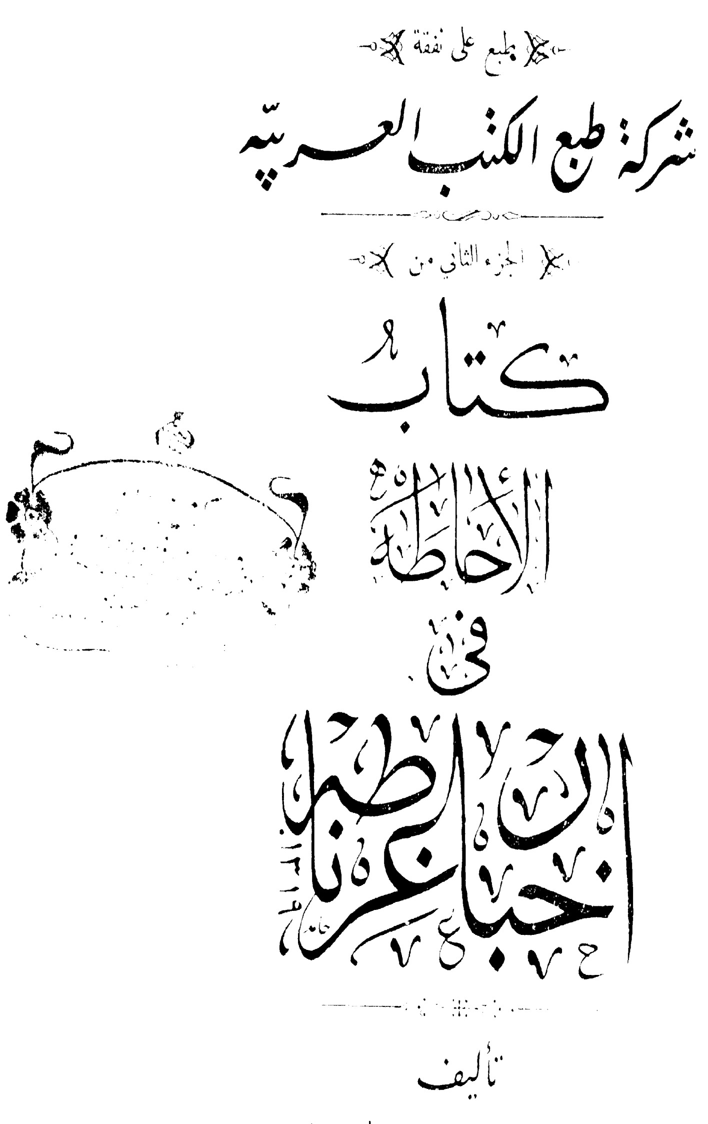
(الطبعة الاولى)

(طبع بمطبعة الموسوعات بشارع باب الخلق بمصر سنة ١٣١٩ هـ « لصاحبها اسماعيل حافظ)

طبع على نفقة

شركة طبع الكتب العربية

الجزء الثاني من



تأليف

الوزير محمد لسان الدين بن الخطيب

(الطبعة الاولى)

(طبع بمطبعة الموسوعات بشارع باب الخلق بمصر سنة ١٣١٩ هـ لصاحبها اسماعيل حافظ)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ محمد بن يوسف بن اسماعيل بن فرج بن اسماعيل بن فرج ﴾
﴿ ابن يوسف بن نصر أمير المسلمين لهذا العهد بالاندلس ﴾

صدر الصدور وعلم الاعلام . وخليفة الله وعماد الاسلام . وقدوة هذا البيت الاصيل . ونير هذا البيت الكريم . ولباب هذا المجد العظيم . ومعنى الكمال وصورة العقد . وعنوان السعد . وطائر اليمن ومحمود الصنع الذى لا تبلغ الاوصاف مداه . ولا توفى العبارة حقه ولا يجرى النظم والنثر فى ميدان ثنائه . ولا تنتهى المادح الى عليائه .

﴿ أوليته ﴾

اشتهر شهرة ذكاء فى الضحي مستولياً على المدى بالغا بالانتساب الى سعد بن عبادة عنان السماء وكفى بذلك فخراً عند من سمع ورأى .

﴿ حاله ﴾

هذا السلطان أيمن أهل بيته نقيبة وأسعدهم ميلادا وولاية قد جمع الله له بين حسن الصورة واستقامة البنية واعتدال الخلق وصحة الفكر وثقوب الذهن ونفوذ الادراك ولطافة المسائل وحسن التأني وجمع له من الظرف مالم يجمع لغيره الى الحلم والاناة اللذين يحبهما الله وسلامة الصدر التى هى من علامة الايمان ورقة الحاشية وسرعة العبرة والتبريز فى ميدان الطهارة

والمنعة الى ضخامة التنجد واستحداث الآلة والكلف بالجهاد وثبات القدم وقوة الجاش ومشهور البسالة وايثار الرفق ونجح المحاولة زاده الله من فضله وأبقى أمره فى ولده وأمتع المسلمين بعمره .

سيق اليه الملك طواعية واختيارا أثر صلاة عيد الفطر على وفاة المقدس أبيه من عام خمسة وخمسين وسبعمائة لمخايل الخير ومزية السن ومظنة البركة وهو يافع قريب العهد بالمراهقة فانبته النبات الحسن وأسبل به الستر وسوغ العافية وهنأ العيش فلم تشح فى مدته السماء ولا اشتد كلب الاعداء . ولا تبدلت الالقاب ولا عونيت الشدائد ولا عرف العوق ولا تموق الخصب الى أن كانت عليه الحادثة ونابه التمحيص الذي اكسبه الحنكة وافاده العبرة فشهر بمباءته فى كف الايدى العادية وأخطأ الم السهام الراشقة وتجنب الآمال الكائدة وانسدلت اروقة الستر والعصمة ثم العوده التى عرف الاسلام بدار الاسلام قدرها وتلا عزها ورجح وزنها كما اختبر ضدها فرصد الملك وشاع العدل وبعد الصيت وشاع الذكر وفاض الخير وغزر القطر وظهرت البركات وتوالت الفتوح وتخلدت الآثار وسيرد من بيان هذا المجمل مايسعه الترتيب بحول الله .

﴿ ترتيب دولته الاولى ﴾

اذ هو ذو دولتين . ومسوغ ولايتين . عززهما الله بالملك الآخر بعد العمر الذى يملأ صحائف البر . ويخلد صحائف حسن الذكر . ويقرب الوسيلة ويرفع فى الرفيع الاعلى الدرجة عند الله وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون .

﴿ وزراؤه وحجابه ﴾

انتدب الى النيابة عنـه والتشمير الى الحجابة ببابه الشيخ القائد المعتمد بالنحلة المنخول من الجلة النبهاء المسمود الابوة المخصوص بالقدح المعلى من المزية المسلم له فى خصوصية الملك والتربية ظئر العلم والادب وأمين الجدومولى السلف ومفزع الراى الى هذا العهد واسطة عقد سفرة السلطان وبقية رجال الكمال من مشيخة المماليك وخيار الموالى أبا النعيم رضوان رحمه الله فحمل الكل وخلف السطان وأبقى الرتب وحفظ الالقاب وبذل الانصاف وأوسع الكاف واستدعى النصيحة ولم يأل جهداً فى حسن السيرة وإظهار النصح وافردنى بالمزية وعاملنى بما لا مزيد عليه ووفى لى الكيل الذى لا يقتضيه السن والقربة من الاشراك في الرتبة والتزحزح عن الهضمة والاختصاص باسم الوزارة على المشهر والغيبة والمحافظة على التشيع والتقدمة بلغ فى ذلك أقصى الغايات فى مدارج التخلق المأثور عن الجلة والتودد الىّ المدة بعد المدة واختصصت بوفور المدة بالسلطان فكنت المنفرد بسره دونه ومفضى هضمه وشفاء نفسه مما ينكره من فتنة تقع فى سيرته أو تصيير توجيه السداجة فى معاملاته وعلاج ما يتغير عليه من خابة الى أن لحق ربه .

﴿ شيخ الغزاة ورئيس الجند لاول أمره ﴾

أقر على الغزاة شيخهم على عهد أبيه أبا زكريا يحيي بن عمر بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق مطمح الصواب ومرمى الاختبار ولباب القوم وبقية السلف حزما ودهاء وتجربة وحركة وجدا وادراكا ناهيك من رجل فذالمنازع غريبها مستحق التقديم شجاعة واصالة ورأيا ومباحثة نشابة قبيلته وقس لسنهم وكسرى سياستهم الى لطف السجية وحسن التأنى لغرض السلطان وطرق

التنزل للحاجات ورقة غزل الشفاعات وامتاع المجلس وثقوب الذهن والفهم وحسن الهيئة وزاده خصوصية ملازمة مجلس الرقاع المعروضة والرسل الواردة وسيأتي ذكره في موضعه بحول الله .

﴿ كاتب سره ﴾

قمت لاول الامر بين يديه بالوظيفه التى اسندها الى أبوه المولى رحمه الله من الوقوف على رأسه والامساك فى التهانى والمبايعة بيده والكتابة والانشاء والعروض والجواب والخلعة والمجالسة جامعا بين خدمة القلم ولقب الوزارة معزز الخطط برسم القيادة مخصوصا بالنيابة عنه على كل ما اشتملت عليه القلعة والحضرة مطلق أمور الايالة محكما في اشتاته تحكيم الامانة مطلق الجراية ظاهر الجاه والنعمة ثم تضاعف العز وتأكد الرأى وتمحض القرب فنقلنى من جلسة المواجهة الى صف الوزارة وعاملني بما لا مزيد عليه من العناية وأحلنى المحل الذى لافوقه في الخصوصية كافأ الله فضله وشكر رعيه وأعلا محله عنده .

وأظهر لى هذا الظهير لثانى يوم ولايته (هذ ظهير كريم صفا شربه) وسفرنى فى الرسالة عنه الى السلطان الخليفه ملك المغرب وما اليها من البلاد الافريقية أبى عنان حسبما يأتي ذكره ثم خيرني في هذه المدة الاولى بين كثير من الخدمة ونوه بى عن مباشرة العرض بين يديه بالجملة فاخترت للكل البذل وما صان عنه في سبيل التحية وان كان منتهى أطوار الرفعة الفقيه أبا محمد بن عطية مستنزلا عن قضا وادى آش وخطابتها فكان يتولى ما يكتب بنظرى وراجعا لحكمى ومترددا لنا مكفى المؤنة في سبيل المؤنة فى الحمل الكلى الى وقوع الحادثة ونفوذ المشيئة بتحويل الدولة .

﴿ قضاته ﴾

جرد أحكام القضاء والخطابة لقاضى أبيه الشيخ الاستاذ الشريف نسيج وحده وفريد عصره اعرابا فى الوقار وحسن السمت واصالة البيت وتبحرا فى علوم اللسان واجهازا فى فصل القضايا وانفرادا الى الايالة النصرية من مدينة سبتة وسيأتى التعريف به فى مكانه ان شاء الله وتوفى رحمه الله بين يدى حدوث الحادثة فأرجي الامر بمكانه الى قدوم متلقف الكرة ومعاود تلك الخطة الشيخ الفقيه القاضى أبي البركات قاضي أبيه ووليها الاحق بعده اذ كان غائبا فى السفارة عنه فوقع التمحيص قبل التخصص وبقى ابراهيم على حال الاستنابة

﴿ الملوك على عهده ﴾

بالمغرب السلطان الامام الخليفة أمير المسلمين أبو عنان بن أمير المسلمين أبى الحسن بن أمير المسلمين أبى سعيد بن أمير المسلمين أبى يوسف يعقوب ابن عبد الحق البعيد الشاو فى ميدان السعادة المحض أغراض السداد ومعظم الظفر ومخول الموهبه المستولى على آماد الكمال عقلا وفضلا ورواء وخطا وبلاغة وحفظا وذكاء وفهما واقداماً تغمده الله برحمته بعثنى الى بابه رسولا على بيعته وتمام أمره وخاطبا أثر وده مسترفداً من منحة قبوله بشرا مبذولا ورفداً ممنوحا وايادى مما يضيق الزمان عن جلالته وتقصر الالسنة عن كنه وصفه فكان دخولى عليه فى الثامن والعشرين من شهر ذى قعدة عام خمسة وخمسين المذكور . وانشدت بين يدى المخاطبة ومضمن الرسالة .

خليفة الله ساعد القدر　　علاك مالاح فى الدجا قمر

فأحسب وكفى . واحتفل واحتفى . وأفضت بين يدي كرمه الى الحضور معه فى بعض المواضع المطلة على مورد رجب هاج به الحدام

اسدا ورداشثن الكفين مشعر اللبدة حتى مزق غلق تابوت خشبي كان مسجونا به من بعد اقلاعه من بعض كواه واثارته من خلفه واستشاط وتوقد بأسا وجلب ثور عبل الشوى منتصب المطا يقدمه صوار من الجواميس فقربت الخطا وحميت الوغى وبلغ الزئير والجؤار ماشاء فى موقف من الشم العلى ورام الجبان مقارعة العدا ووطن نفسه الشجاع على مقابلة الردى . وخار الأسد عن المبارزة لما بلغ منه وتقاعد عن المناوشة مضطلعا باعباء المحاملة فتخطاه الى طائفة من الرجالة اولى عدة وزرد فحمل نفسه متطارحا كشهاب الرجم وكوكب الدجا فأخذته رماحهم بعد أن أردى بعضهم وجدل بين يدى السلطان مشحطا فى دمه وعرض بعض الحاضرين وأغرى بالنظم فى ذلك فانشدته .

أنعام أرضك تقهر الآسادا ... طبعا كسا الارواح والاجسادا

وخصائص للمجد نلت ضروبها ... فى الخلق ساد لاجلها من سادا

ان الفضائل فى حماك بضائع ... لم تخش من بعد النفاق كسادا

كان الهزبر محاربا فجزيته ... بجزاء من فى الارض فسادا

فاستحسن تأتى القريحة وامكان البديهة مع قيد الصفة وهيبة المجلس وكان الانصراف بافضل ماعاد به سفير من وادى اصيل وامداد موهوب ومهاد ومهاداة أثيرة وقطار مجنوب محمول وطعمة مسوغة وكان الوصول في وسط محرم عام ستة وخمسين وسبعمائة وقد نجح السعى وأثمر الجهد وصدقت المخيلة وقد تضمن رحلتى لوجهته والاخرى قبلها جزء والحمد لله الذى له الحمد فى الأولى والآخرة وتوفى زعموا بحيلة وقيل حتف أنفه لما نهكه المرض وشاع عليه الإرجاف وتنازع ببابه الوزراء وتسابق الى بابه الانباء

وخاف مدبر أمره عائدة ملامته على توقع ريبة وكان سيفه يسيف على سوطه والقبر أقرب الى من تعرض لعتبه من سجنه فقضى فى هذا السبيل خاتمة الملوك الجلة من اهل بيته جدد الملك وحفظ الرسوم وأجرى الالقاب وأغلظ العقاب وصير ايالته أضيق من الحد وأمد الاندلس وهزم الاضداد وخلد الآثار وبنى المدارس والزوايا واستجلب الاعلام وتحرك الى تلمسان فاستضافها الى ايالته ثم ألحق بها قسنطينة وبجاية وجهز اسطوله الى تونس فدخلها وتملكها ثقاته فى رمضان ثمانية وخمسين وسبعمائة واستمرت دعوته الى ذى القعدة من العام المذكور رحمة الله عليه . وقد كانت وفاته فى الرابع عشر لذى حجة من عام تسعة وخمسين وسبعمائة وصار الامر الى ولده المسمى بالسعيد المكنى بابى بكر مختار وزيره الحسن بن عمر ورام ضبط الايالات المشرقية باعادة ذلك وبايع الجيش الموجه اليها منصور بن سليمان ولجأ الوزير وسلطانه الى البلد الجديد مثوى الخلافة المرينية فكان أملك بها ونازله منصور ابن سليمان ثم افضى اليه أمر البلد لحزم الوزير وقوة شكيمته وغادر السلطان أبو سالم ابراهيم بن السلطان أبى الحسن أخو الهالك السلطان أبى عنان الاندلس وقد كان استقر بها لما عاج عن أخيه من المغرب كما تقدم فطلع على الوطن الغربى باعانة ملك النصارى وعانى هولا كبيراً واستقر بآخرة بعد اخفاق اجازته المراكشية بساحل طنجة مستدعياً من بجبال غمارة ودخلت سبتة وطنجة فى طاعته وفر الناس عن منصور بن سليمان وتقبض عليه وعلى ابنه فقتلا صبراً نفعهما الله وتملك السلطان أبو سالم المدينة البيضاء يوم الخميس العاشر لشعبان عام ستين وسبعمائة بنزول الوزير وسلطانه عنها اليه ثم دالت الدولة وكان من لحاق السلطان برندة واستعانته على رد ملكه ما يأتى فى

بحله والبقاء لله سبحانه .

وبتلمسان السلطان أبو عمران موسى بن يوسف بن يحيى بن عبد الرحمن ابن يغمر اسن قريب العهد باسترجاعها لاول أيام السعيد .

وبتونس الامير ابراهيم بن الامير أبي بكر حفص بن ابراهيم بن أبى زكريا يحيي بن عبد الواحد لنظر الشيخ رأس الدولة وبقية الفضلا الشهير الذكر الشائع الفضل المعروف السياحة أبي محمد عبدالله بن أحمد بن أردعرف الوطن

ومن ملوك النصاري بقشتالة بطرة بن الهنشة بن هراندة بن شانجة بن الفنش بن هرانده الى الاربعين وهو كما اجتمع وجهه تولى الملك على أخريات أيام أبيه فى محرم عام احد وخمسين وسبعمائة وعقد معه سلم على بلاد المسلمين ثم استمر ذلك بعد وفاته فى دولة ولده المترجم به وغمرت الررم والقت العصا واعتضت القضا وأجالت على الكثير من الكبار الردى بما كان من اخافته سائر اخوته لابيه من خاصته لعجلته على هواه فنبذوه على سواء بعد قتلهم أمهم وانتبذوا عنه باقطار غرسهم فيها ابوهم قبل موته بمرعاة امهم وسلك لاول أمره سيرة أبيه [1] فى عدوله عهوده بمكايبه بمنصبه الى اختصاص عجلة أنف بحراه كبار قومه من أجل ضياع بذره وانقراض عقبه فمال الخوارج عنه ودبروا عليه القبض وتحصل فى انشوطة يفضى امره بها الى مطاولة عقله او عاجل خلع لو لا انه افلت وتخلص من شراكها فاضطره ذلك الى صلة السلم وهو الآن بالحالة الموصوفة

﴿ الاحداث فى أيامه ﴾

لم يحدث فى أيامه حادث الا العافية الساحة والهدنة المتصلة والافراح

(١) قوله فى عدوله الى قوله من أجل كذا في الاصل وليحرر اه

المتجددة والامنة المستحكمة والسلم المنعقد وفى آخر جمادى عام ست وخمسين
وسبعمائة لحق بجبل الفتح فضم شعبته وحصن ثغره العزيز على المسلمين من
لدن افتتاحه الموسوم بحظه المخصوص بمزية تشييده عيسي بن الحسين بن
أبي الطلاق بقية الشيوخ أولى الاصالة والدهاء والتزيي بزي الخير والمثل السائر
فى الانسلاخ من آية السعادة والاعراق في سوء العقبي أداه سوء الحظ وشؤم
النصفة([١] وأظلم ما بينه وبين سلطانه مسوغه رداء العافية وملبسه رداء العافية)
الى ان عرض دسيس عزمه على ذؤبان الجبل فانحطوا في هواه وغروه بكاذب
عصبية فاظهر الامتناع سادس ذى قعدة من العام المذكور واتصلت الاخبار
وساءت الظنون وضاقت الصدور ونكست الرؤس لتوقع الفاقرة بانسداد باب
الصريخ وابتات سبب النصرة وانبمات طمع العدو وانحطت الاطماع فى
استرجاعه واستقالته لمكان حصانته وسمو الذروة ووفور العدة ووجود المطمة
وتلاشى الفرصة ثم ردفت الاخبار بخروج جيشه صحبة ولده الى منازلة أشبونة
واخفاق أمله فيها وامتساك أهلها بالدعوة وانتصافهم من الطائفة العادية
فورد اليها من مالقة بالمدد وخوطب السلطان من ملك المغرب أيده الله بالجلية
فتحققت المنابذة واستقرت الظنون وفي الخامس عشر من الشهر ثار به أهل الجبل
وتبرأ منه أشياعه وخذلوه بالفرار فاخذت شعابه ونقابه فكر راجعاً أدراجه
وقد أعجله الامر وأمهلته الطمأنينة على اغفال الاستمداد بها فالقي بيده وقد
لحق بعض الاساطيل بسبتة لداعى التسور على امارته فقيد هو وابنه وخيض
به البحر للحين ولم ينتطح فيها عنزان فألقت بركابها وأناخت بكلكلها وقد قدر
انها واقعة ليس لها من دون الله كاشفة وقد كان من بالجبل برموا على ذينك

(١) قوله واظلم ما بينه الخ يظهر ان هذه الجملة معترضة فليتأمل

الشخصين بعد ما أعطوهما الصفقة بما اطمعهما في الثورة ولكل أجل كتاب واحتمل الى الباب السلطانى بمدينة فاس وبرز الناس لمباشرة ايصالهما مجلوبين في منصة الشهرة مرفوعين في هضبة المثلة ثم أمضي السلطان فيها حكم الفساد بعد أيام الاضحى فقتل الشيخ بخارج باب السمارين من البلد الجديد بايدى قرابته فكان كما قال الاول .

ظلت سيوف بنى أبيه تنوشه   لله أرحام هناك تشقق

وقطت رجل الولد ويده بعد طول عمل وسوء تناول ولم ينشب أن لحقه حمامه فاضحيا عبرة فى سرعة انقلاب حالهما من الامور الحميدة حسن طاعة وذياع حمد وفضل شهرة واستفاضة خيرية ونباهة بيت واصالة عز الى ضد هذه الخلال وقانا الله مصارع السوء ولا سلب عنا جلباب الستر والعافية وسد السلطان ثغر الجبل وجعل أمره لولده الذى اسمه سعد وكنيته أبو بكر لخلق به فى العشر الاول من المحرم من عام سبعة وخمسين وسبعمائة ورتب له بطانته وقدر له أمره وسوغه رزقا رغداً وعيشا خفضا وبادر السلطان المترجم الى توجيه رسوله قاضياً حقه مقرر السرور بجوازه واتبع ذلك ما يليق من الحال من بر وجهازات ونزل تحف فاستحكم الود وحسنت الالفة الى هذا العهد والله ولىّ توفيقهم ومسنى الخير والخيرات على ايديهم .

﴿ الحادثة التى جرت عليه ﴾

واستمرت أيامه كاحسن أيام الدول بخفض عيش وتوالى خصب وشياع امان الا ان شيخ الدولة القائد أبا النعيم رحمه الله أضاع الحزم واذا أراد الله انفاذ أمر من أموره سلب ذوى العقول عقولهم بما كان من امنه جانب القصر دار سكنى اخى السلطان وتهاونه بحيل امه المداخلة فى تحويل الامر اليه جملة

من الاشرار دار أمرهم على زوج بنتها الرئيس محمد بن اسماعيل بن فرج وابراهيم ابن أبى الفتح وأمدته بالمال فداخل الامر بجملة من فرسان القيود وعمرة السجون ومتسوري الاسوار وكانت تتردد اليه فى سبيل زيارة بنتها الساكنة فى عصمة هذا الخبيث المنزوع العصمة خارج القلعة حتى تم ذلك يوم الاربعاء الثامن والعشرين لرمضان واجتمعوا وقد خفى أمرهم وتألفوا عددا يناهز المائة بالقوس الداخلة من وادى هدارة الى البلد لصق الجناح الصاعد منه الى الحمراء وكان بسورها ثلم لم يتم ماشرعوا فيه من اصلاحه فنصبوا سلما أعدوه لذلك وصعدوا منه ولما استووا قصدوا الباب المطاع المضاع الاسلحة للثقة بما قبله فلما تجاوزوه أعلنوا بالصياح واستغلظوا بالتهليل وراعوا الناس بالاستكثار من مشاعل الحلفاء فقصدت طائفة منهم دار الشيخ القائد ابى النعيم فاقتحمتها غلابا وكسرت ابوابها وقتلته فى مضجعه بين أهله وولده وانتهبت ماوجدت بها وقصدت الاخرى دار الامير الذى قامت بدعوته فاستخرجته واستولت على الامر وكان السلطان متحولا بولده الى سكنى جنة العريف خارج القلعة فلما طرقه النبأ وقرعت سمعه الطبول سدده الله وسدد أمره فى حال الحيرة الى امتطاء جواد كان مرتبطاً عنده فى ثياب تبذله مصاحباً افرادا من ناسه وطار على وجهه فلحق وادي آش قبل سبوق نكبته وطرق مكانه بأثر ذلك فلم يلف فيه وأتبع فاعيي المتبع ومن الغد استقام الامر لأولى الثورة فاستكملوا لصاحبهم أخذ البيعة وخاطبوا البلاد فالقت الى صاحبهم بالازمة وارسلوا الى ملك النصارى فى عقد الصلح وشرعوا فى منازلة وادى آش بعد أن ثبت أهلها مع المعتصم بها فلازمته المحلات وولى عليه التضييق وخيف فوات البدر ونفاد القوة فشرع السلطان فى النظر لنفسه وخاطب السلطان ابا سالم ملك

المغرب في شأن القدوم عليه فتلقاه بالقبول وبعث من يمهد الحديث فى شأنه فتم ذلك ثاني يوم عيد النحر من العام وكنت عند الحادثة على السلطان ساكنا بجنتى المنسوبة الى الحضرة منتقلا اليها بجملتى عادة المترفهين من مثلى فتخطانى الحتف ونزلت بي النكبة فاستأصلت النعمة المريضة والجدة الشهيرة فما أبقت طارفا ولا تليدا ولا غادرت قديماً ولا حديثاً والحمد لله مخفف الحساب . وموقظ الالباب . واطف الله بان تعطف السلطان بالمغرب الى شفاعة بخطه وجمل أمرى من فصول قصده ففكت عنى أصابع الاعداء واستخلصت من أنيابهم ولحقت بالسلطان بوادي آش فذهب الناس واجتمعوا وكان رحيل الجميع ثانى عيد النحر المذكور فكان النزول بفحص الفنت ثم الانتقال الى لوشة ثم الى تنقيرة ثم الي ذكوان ثم الى مربلة يقيم أهل كل محل من هذه مأتم الحسرة ومناحة الفرقة وكان ركوب البحر ضحوة الرابع والعشرين من الشهر والاستقرار بمدينة سبتة وكفى بالسلامة غنما والارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين .

وكان الرحيل الى باب السلطان بما لا تسعه العبارة ولقاؤنا اياه بظاهر البلد الجديد باحتفاء يفوق الاحصا يوم الخميس السادس لمحرم من عام احد وستين بعده فى موكب هائل واحتفال رائع رائق كان فيه النزول عن الصهوات والبر اللائق بمناصب الملوك والوصول الى الدار الامامية والطعام الجامع للطبقات وشيوخ القبائل يومئذ فوق رأس الطعام وبين يدى مؤمله فانشدته مغريا بنصره كالوسيلة بقولي .

سلا هل لديها من مخبرة ذكر وهل اعشب الوادى ونمّ به الزهر

فهاج الامتعاض وسالت العبرات وكان يوما مشهودا وموقفا مشهورا

طال به الحديث وعمرت به النوادى وتوزعتنا النزائل على الامل شكر الله ذلك وكتبه لاهله يوم الافتقار الى رحمته . واستمرت الايام ودالت الدولة للرئيس بالاندلس والسلطان تقلبه المواعيد وتؤنسه الآمال والاسباب تتوفر والبواعث تتأكد واذا اراد الله أمرا هيأ أسبابه واستقررت فى الدار بمدينة سلا مرابطا مستمتعا بالخلوة تحت نعمة كبيرة .

وفى اليوم السابع عشر لشوال من عام التاريخ قعد السلطان بقبة العرض من جنة المصارة لتشييعه بعد اتخاذ مايصلح لذلك من آلة وحلية وقد برز الخلق لمشاهدة ذلك الموقف المسيل للدموع الباعث الرقة المتبع بالدعوات لما قذف الله فى القلوب من الرحمة وصحبه به فى التغرب من العناية فلم تنب عنه عين ولا خمل له موكب ولا تقلصت عنه هيبة ولا فارقته حشمة كان الله له فى الدنيا والآخرة واجاز واضطربت الاحوال بما كان من هلاك السلطان معينه السلطان أبى سالم وغدر الخبيث المؤتمن على قلعته به عمر بن عبد الله بن على صمر الله خده وخلد خزيه وسقط فى يده الا أنه ثبت فى رندة من ايالة الاندلس الراجعة الى ايالة المغرب قدمه فتعلل بها وارتاش بسببها الى ان فتح الله عليه وسدد عزمه وأراه لما ضعفت الحيل صنعه فتحرك الى برمالقة وقد فغر عليها العدو فمه ثم اقبل على مالقة مستميتا دونها فسهل الله الصعب وانجح القصد واستولى عليها وانثالت عليه لحينها البلاد وبدا للرئيس المتوثب على الحضرة بعد ان استوعب الذخيرة والعدة فى جملة ضخمة ممن خاف على نفسه أن يقصد طاغية الروم فاستقر بنادي قشتالة فاخذه بجريرته وأحكم الحيلة فى جنايته وغدره وألحق به من شاركه فى الثورة من شيعته ووجه الى السلطان برؤسهم تبع رأسه وحث السلطان أسعده الله خطاه الى الحضرة فتلقاه الناس مستبشرين . وتزاحم عليه

افواجهم مستقبلين مستغفرين . وأحق الله الحق بكلماته وقطع دابر الكافرين .

وكان دخول السلطان دار ملكه . وعوده الى اريكة سلطانه وحلوله بمجلس ابيه وجده زوال يوم السبت الموفى عشرين لجمادي الثانية من عام ثلاثة وستين وسبعمائة جعلنا الله من هم الدنيا على حذر . وألهمنا ما يخلص عنده من قول وعمل . وتخلف الامير ولده ابو بكر اسعده الله بمدينة فاس فيمن معه من اهل وماشية ولدّ المتوثب على ملك المغرب فى امساكه الى أن يسترجع رندة فى معارضة صدقه ثم ان الله جمع لابيه شمله وتمم المقاصد بما عد من سعده وكان وصولى اليه معه في محمل اليسر والعافية وعلى كنز التيسير من الله والعناية يوم السبت الموفى عشرين من شعبان عام ثلاثة وستين وسبعمائة .

﴿ ترتيب الدولة الثانية السعيدة الرفيعة ﴾

هنأ الله المسلمين ببركتها الوافرة . ومزاياها المتكاثرة . السلطان أيده الله قد مر ذكره ويسر الله من ذلك ماتيسر

﴿ وزراؤه ﴾

اقتضى حزمه اغفال هذا الرسم جملة مع ضرورته فى السياسة وعظم الدخول حذرا من انبعاث المكروه له من قبله وان كان قدم بهذا اللقب فى طريقه منصرفه الى الاندلس واياما من مقامه برندة فقبله عن كره على بن يوسف بن كماشة من عتاق خدامه وخدام أبيه مستصحباً اياه مسدول التجمل على باطن نفرة لحطبه فى حبل المتغلب واقراضه السيئة من الحسنة والمنزل الخشن الى الانفاق منه على الخلال الذميمة علاوة على حمل الشيخ الغريب الاخبار والطمع فى

الارزاق والاستراب بمودة الاب وضيق العطن وقصر الباع وعى اللسان .
ولما وقع القبض وساء الظن بعثه من رندة الى الباب المرينى ليتجلى منه جده ويجس مرض الايام بعد ان نقل من الخطة كعبه فتيسر بعد منصرفه الامر وتسنى الفتح وحمله الجشع الفاضح والهوى المتبع على التشطط لنفسه والكدح لحويصته بمال اقطعه الجفوة وعسر عليه المودة على السلطان بولده الى أن بلغ الخبر برجوع أمره ودخول البلاد فى طاعته فألفى ماتمين اليه واهوى به الطمع البالغ فى عرش الدولة وتحرك وراية الاخفاق خافقة على رأسه فأمن مداخلته لسلطان قشتالة أيام هذه المجاورة فبلغ أمنيته من ضرب رصد واقتناء عهد واتخاذ مدد وترصيد دار قراره وهما نفسه البقاء والتعمير والتملى وانفساح المدة والامر وقيادة الدجن عند تحوله لموطن الملك الكبير ونجح ذلك لنقصان عقله وقلة حيائه وضعف غيرته وطوى المراحل وقبض الحسرة وانزى الخبائث وتلقاه بمالقة ايقان السلطان بالاقامة بها لما يتوصل به من سوء تصريفه ثم أطلع شافع الحياء فى استقامة وطنه فصرف عتبه وصرفه الى منزله ناظرا فى علاج مرضه ثم لما افاق أوقفه دون حده ولم يسند اليه شيئا من اموره فشرع فى دويراته من الافساد عليه ومضى الى سلطان قشتالة شاكيا اليه بثه واضجر اسكنى بادليه بالثغر فراب السلطان أمره وأهمه شأنه فتقبض عليه وعلى ولده وصرفا فى جملة من دائرة السوء اثقل وطأته فغربا الى تونس أوائل شهر رمضان عام ثلاثة وستين ثم لما قفل من الحج واستقر من بجاية المغرب عرج الى جوار النصرانية التى لايم سلفه العبور اليها فعبر الى البحر برشلونة ينفض غبار طريق الحج على الصلبان ويقفو على أثر تقبيل الحجر الاسود تقبيل أيدى الكفار ثم فصل من باب المغرب رسولا عن برشلونة في سبيل الافساد على المسلمين فلم ينجح فيه

قصـده فتقاعد لما خسر تخمينه وصرف وجهه الى الاتصال بصاحب قشتالة يغريه بالمسلمين وتقبض عليـه وسجن بفاس مع ارباب الجرائم وعلى ذلك استقرت حاله الى اليوم وأبرأ الى الله من التجاوز فى أمره ومن يضلل الله فما له من هاد .

ولما وفدت على السلطان وقرت عيني بلقائه تحت سـداده وعزه وفوق أريكة ملكه وأديته ما يجب من حقه عرضت عليه عرضى وافضيت اليه بخزانة سرى وكاشفته ضميرى بما عقدت مع الله وصرفت الى جهة الحج الشريف وجهى فملق بى وخرج لى عن الضرورة وأرانى أن موازرته أبر القرب وراكننى الى عهد بخطه فسح فيه لعامين واقتدى بشعيب صلوات الله عليـه فى طلب الزيادة على تلك النسبة وأشهد من حضر من العلية ثم رمى الى بعد ذلك بمقاليد رأيه وحكم رأيى فى اختيار عقله وغطى من جفائي بحلمه وحثا فى وجوه شهواته تراب زجرى ووقف القبول على وعظى وصرف هواى فى التحول ثانيا وقصدى واعترف بقبول نصحى فاستمنت بالله وعاملت وجهه فيـه وصادقني مقارضـة الحق بالجهاد ورمى الى بدنياه . وحكمنى فيما ملكت يداه . وغلبنى على أمره لهذا العهد والله غالب على أمره فاكمل المقام ببابه الى هذا التاريخ مدة أجرى الله فيها من يمن النقيبة واطراد السداد وطرد الهوى ورفض الدوز واستثمار الجدونصح الدين وسد الثغور وصون الجباية وانصاف المرتزقة ومحاولة العـدو ووقر الاسماع بلسان الصدق وايقاظ العيون من نوم الغـفلة وقدح زناد الرجولية ماهو معـلوم ولله المنة فى سح السذاجة ورفع التسمية وتكور المنساة وتفويت العقار فى سبيل القربة والزهد في الزبرج وبث جباة الاموال والتعزز بالله عن الغنيمة وجمـل الثواب غطاء

الليل ومقعد المطالعة فراش النوم والشغل لمصلحة الاسلام فاثمر هذا الكرم وانتج هذا السعي مناقب الدولة بلغت عنان السماء وآثارا خالدة ما بقيت الخضراء على الغبراء . وأخباراً تنقل وشأواً إن عانده الحاسد فضحه الصباح المنتشر وآثره القطر المنثال وأعياه السيل المتدافع

مما يختص من ذلك بالسلطان فخامة الرتبة ونباهة الالقاب وتجمل الرياش وارتفاع التشاجر ببابه والمنافسة والاغتباط منه بمجالس التنبيه والمذاكرة وبدر الدموع في حال الرقة باحتقار الدنيا بين الخاصة وتعيين الصدقات في الاوقات المديدة والقعود لمباشرة المظالم ستة عشر يوماً في كل شهر من شهور الاهلة يصل اليه فيها اليتيم والارملة فيفرح الضعيف وينتظر حضور الزمن ويحتمل صبوة الجاهل ويتأثر شكوى المصاب ويعاقب الوزعة في الاغلاظ الى أحسن الملكة في الاسرى والاغراب في باب الحلم والاغيا في ترك الحظ والتبري من سجية الانتقام والكلف بارتباط الخيل واقتناء انواع السلاح ومباشرة الجهاد والوقار في المبيمات وارسال سجية الايمان وكساد سوق المكيدة والتصام عن السعاية هذا مع الشباب الغض وتمدد حبائل الشيطان في مسالك العمر ومطاردة باهظ اللذات في ظل السلم ومغازلة عيون الشهوات من ثنايا الملوك . وايم الله الذي به تستخلص الحقوق وتسبل الستور وتستوثق العهود وتطمئن القلوب بذكره ما كاذبته ولا راضيت في الهوادة طوله ولا في نقيض هذه الخلال ولقد كنت أعجب من نفاق أسواق الذكرى لديه وانتظام اقيسة النصح عنده وايفاع نبات الرشد فيه نصيحة واقول بارك الله فيها من سجية . وهنأ المسلمين بها من نفس زكية . وسيأتي بيان هذه النتائج وتفسير مجمل هذه الفضائل بحول من لاحول الا به سبحانه . والحال

متصلة على عهده الوثير من اعانته بالوسع والخروج له على هذه العهدة والتسليم له فى البقية ارهافاً لسيف جهاده وجلاء لمرآة نصحه وتسوية لميزان عدله ورعاية للعلم المنبئ عن شأنه ونيابة عنه فى معقل ملكه ومستودع ماله وذخيرته ومحافظة على سره وعلانيته لحرمه وولده وعمرانا للجوانح بتفضيله وحبه أخلص الله قصدها لوجهه وأمحضها من أجله والله يرجح ميزانى عنده ويحظى وسيلته لديه ويحرك مكافأة سعيي فى حواضر حجه بتبليغ أملى من حج بيت الله وزيارة رسول الله بمنه وكرمه فما على استحثاث الاجل من قرار . ولا بعد المشيب من اعذار . وحسبنا الله ونعم الوكيل .

﴿ أولاده ﴾

كمل له في هذا الوقت من الاولاد أربعة ثلاثة ذكور يوسف بكره وأراه يتلوه سعد ثم نصر قد أفرغهم الله في قالب الكمال اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً . فسح الله لهم أمد السعادة . وجعل مساعيهم جانحة الى نعم العقبى سالكا بهم سبيل الاهتداء بفضل الله ورحمته .

﴿ قضاته ﴾

قدّم لأول قدومه الفقيه القاضى الحسيب الخير أبا جعفر محمد بن محمد ابن احمد بن جزى شاكراً بلاءه بمالقة اذ كان قد ألفاه قاضيا بها للمتغلب فلم يأل جهداً فى الاجلاب عمن اعتصم بقصبتها والتحريض على التسنن لهم وتجدد بذلك زلفى لديه فأجرى الاحكام وتوخى السداد ثم قدم اليها الفقيه القاضى الحسيب أبا الحسن على بن عبد الله بن الحسن عين الاعيان ببلدة مالقة والمخصوص برسم التجلة والقيام بوظيفة العقد والحل بها فى الدولة الاولى والاصالة والانقطاع اليه ومصاحبة ركابه فى طلب الملك وتسور المشاق من

أجله وأولى الناس باستدرار خاف دولته فسدد وقارب وحمل الكل واحسن فصاحة الخطبة واكرم المشيخة وارضى واستشعر النزاهة ولم يقف في حسن التأني عند غاية فاتفق على رجاحته واستصحب نظره على الاحباس فلم يقف في النصح على غاية أعانه الله

﴿ كتابه ﴾

أسند الكتابة الى الفقيه المدرك المبرز في كثير من الخلال ملازمه ايضاً في طلب الملك ومطاردة الحظ ابى عبد الله بن زمرك ويأتى التعريف بجميعهم .

﴿ شيخ غزاته ﴾

متولى ذلك في الدولة لاولى الشيخ أبو زكريا يحيى بن عمر بن عبد الله بن عبد الحق قدمه اليها معتباً اياه طاوياً بساط العدو كما قدم ابنه عثمان على الخاصة يومئذ لمظاهرته في لوجهة وسعيه في عودة الدولة واستمرت الحال الى اليوم الثالث عشر لشهر رمضان عام أربعة وستين وسبعمائة فكان فيه القبض على جملتهم وأخلى هذا البيت من سفرة السياسة مدة مجتزئاً فيه بنظره على رسمه في الوزارة من قبله ثم قدم اليها موعوده بها قديم الخدمة وسالف الادمة لما ألجىء الى وادى آش مفلتاً من ربقة الحادثة الشيخ أبا الحسن على ابن بدر الدين بن موسى بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق حلف السداد والمقاربة والفضل والديانة المخصوص بخير النقيبة واستمرت أيامه الى القفول من غزوة جيان آخريات محرم من عام تسعة وستين وتوفى رحمه الله حتف أنفه وقدم لها الامين الشهم البهمة خدن الشهرة والمشار اليه بالبسالة وفرع الملك والاصالة . عبد الرحمن بن أمير المسلمين أبى سعيد عثمان بن أمير

المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق اذ كان قد لحق به بعد ظهور اتيح له نبو طنه من المغرب واستقر مبايعاً بعمالة سجلماسة وما اليها وطن جده وميراث سلفه ففسح له جانب قبوله وأحله من قربه محل مثله وأنزله بين ثغر الاغتباط ونحره ثم استظهر به على هذا الامر فاحسن الاعتبار وأعز الخطة وهو القائم عليها لهذا العهد أولى الله اسباب توفيقه.

﴿ ظرفه وحسن توقيعه ﴾

فى هذا الباب من تقدمه وكثرة وقوعه مالا يعد وقليل الشئ يدل على كثيره مر يوما ومعي ولده وأنا وكيله فى اعذاره فقال حسبنا الله ونعم الوكيل. ولا خفاء ببراعة هذا التوقيع وغرابة مقاصده. ومجالسه على الايام معمورة بهذا ومثاله.

﴿ الملوك على عهده ﴾

بالمغرب السلطان الجليل ابراهيم بن السلطان ابى الحسن بن ابى سعيد عثمان بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق تولى ملك المغرب حسبما تقدم فى اسمه والقى اليه بالمقاليد واستوثقت له الطاعة وبحسب ما اثبت الله من اشرئباب الخلق اليه وتعطشهم الى اقائه ورغبتهم فى انهاضه الى ملك أبيه كان انقلابهم الى ضد هذه الخلال شرقا بأيامه واحصاء سقطاته وولعا باغتيابه وتربصاً لمكروه به اذ خفقت فيه الآمال واستولت الايدى من خدامه على ملكه وقيض الله لابادة أمره وتغيير حاله الخائن الغادر نسمة السوء وقدار ناقة الملك وصاعقة الوطن عمر بن عبد الله بن على فثار عليه لمقصد البلد الجديد دار ملكه ومستودع ماله وذخيرته وسد الباب دونه وجهر بخلعانه وفض فى ابتياع الناعق المشؤم سور ماله وأقام الدعوة باسم اخيه ابى عمر ذى الاوثة الميؤس من افاقته وذلك ضحوة

اليوم الحادى والعشرين لذى قعدة من عام اثنين وستين وسبعمائة وفرت من السلطان ابي سالم الاجناد والوجوه واسلمه الدهر فصابر الامر عامة اليوم ولما جن الليل فر لوجهه واسلمه وزراؤه وخاصته واقتفى أثره وقد أوى لبعض البيوت وبه تلاحق متبعوه فقيد الى مصرع السوء بظاهر بلده وحز رأسه وأوتي به الى الغادر وكان مبين السلطان عنه ودعا الى الانداس باعانته ومطوق فضل تلقيه وقفوله وحسن كفالته ثمانية اشهر ويوما واحداً واستمرت دعواه به الى الرابع والعشرين من صفر من عام ثلاثة وستين وسبعمائة واستدعى من باب صاحب قشتالة الامير محمد بن زيان بن الامير ابى زيد عبد الرحمن ابن السلطان المعظم أبى الحسن وكان قد نزع اليه ايام عمه السلطان أبى سالم ووقع عليه اختيار هذا الوزير الغادر اذ وافق شن طبقه فأعمل الحيلة فى استجلابه فوصل الى غرضه وأجريت الامور باسمه وأعيد أخوه المعتوه الى مكانه واستمرت أيام هذا الامير مغلوبا عليه مغرما بالشراب الى أن ساءت حاله وامتلأت بالموجدة عليه نفس الوزير فعاجله بحتفه وباشر اغتياله وأوعز الى خدامه بخنقه وطرحه فى بعض سوانى قصره متبعا ببعض أوانى خمر يوهم بذلك ترديه سكرا وهويه طفوحا ووقف عليه بالعدول عند استخراجه وندب الناس الى عوراته وبايع في يومه ذلك السلطان أبا فارس عبد العزيز وارث ملك أبيه السلطان أبى الحسن المنفرد به وخاطب الجهات بدعوته وهو صبي ظاهر النبل والادراك مشهور الصون فاعمل الحيلة لاول أمره على هذا الوزير مخيف أريكة ملكه ومظنة البداء فى أمره فطوقه الحمام واستأثر بما لديه من مال وذخيرة شكر الله على الدولة صنعه وفى ذلك يقول ·

لقد كان كالحجاج فى فتكاته   تحاذره البرآء دوما وتخشاه
تغدى به عبد العزيز مبادراً   وعاجله من قبل أن يتعشاه

وكان بعده وليه الحق ونصيره لااله الا هو وهو الى هذا اليوم ملك المغرب مزاحما بابن أخيه السلطان أبى سالم المعقود البيعة بمراكش وما اليها جمع الله به شتات الاسلام ورفع عن البلاد والعباد مضرة الفتنة .

وبتلمسان السلطان أبو حمو بن الامير أبي يعقوب يوسف بن عبد الرحمن ابن يحيي بن يغمراسن بن زيان حسبما كان فى الدولة الاولى متصفا بخلال الكرم والحزم مضطلعا بامره والقيام على ما بيده .

وبتونس الامير أبو سالم ابراهيم بن الامير يحيي بن الامير أبى بكر بن أبى حفص حسبما تقدم ذكره .

﴿ ومن ملوك النصارى ﴾

بقشتالة سلطانها المتقدم ذكره فى الدولة الاولى بطرة بن السلطان الهنشة ابن هراندة بن شانجة بن الهنشة بن هراندة متأكدة بينهما السلم الجم والهدنة المبرمة بما سلف من مظاهرته اياه والحرص على الحاقه بالمغرب فى اسطوله وبعثه اليه برأس عدوه المتوثب على ملكه ورؤس أشياعه الغدرة . وأتباعه الفجرة . مستمرة أيامه الى وسط شعبان عام سبعة وستين صارفا وجهه الى محاربة صاحب برجلونة مستوليا على كثير من قواعده الشهيرة وقلاعه المتينة لما أسلفه من اجازة أخيه لذريق المدعو بالقنل ومظاهرته حتى ساءت أحواله وأحوال عدوه وأوهنت الحركات قوى جيشه وأضعف الاحتشاد عمرة ارضه وأشربت القلوب الانحراف عن دعوته ومالت النفوس الى أخيه وقامت البلاد بدعوته وتلاحقت الوجوه بجهته ورام التمسك باشبيلية دار ملكه فثار

اهلها به عام سبعة وستين فخرج فازعا عنها والسلاح يهش اليه وبعد ان استظهر بخويصته وحمل ماقدر عليه من ذخيرته ورفع من له من ولد وحرمة رأى سخنة العين من انتهاب قصوره وتشعيث منازله وعياث الايدي في خزائنه واسمعه الناس من محض التأنيب وأعراض الشماتة مالا مزيد عليه ولاذ بصاحب برتغال فنأى عنه بجانبه لما يجنيه ابواه من مخالفة رأى الامة فيه فقصد بلاد غيلسية وتلاحق اخوه لذريق بحضرة اشبيلية فاستوى على الملك وطاعت لامره البلاد وعاجله المسلمون لاول امره فاستولوا على كثير من الثغور والحمد لله

ولما توسد له الامر تحرك لاستئصال شأفة المخلوع فاجلى عن غيلسية في البحر واستقر وراء دروب قشتالة وانتبذ عن الخطة القشتالية ولجأ الى ابن صاحب الانتكيرة وهو المعروف ببرقسين وبين أول أرضه وبين قشتالة ثمانية أيام فقبله ولد السلطان المذكور باول ما تلقاه من تلك الارض وسفر بينه وبين أبيه فانكر الاب استئذانه اياه والمراجعة في نصره حمية له وامتعاضا وحال هذه الامة غريبة في الحماية الممزوجة بالوفاء والرقة والاستهانة بالنفوس في سبيل الحمية عادة العرب الاول وأخبارهم في القتال غريبة من الاسترجال والزحف على الاقدام أميرهم ومأمورهم والجثو في الارض أوالدفن في التراب والاستظهار في حال المحاربة ببعض الالحان المهيجة ورماتهم قسيهم عربية جافية وكلهم في دروع ولا لجام عندهم والتقهقر مقدار الشبر ذنب عظيم وعار شنيع ورماتهم يسبقون الخيل في الطراد وحالهم في باب التحلي بالجواهر وكثرة آلات الفضة غريب . وبعد انقضاء سبعة عشر يوما كان رجوعه ورجوع الرئيس المذكور

معه مصاحبا بامراء كثيرين من أخدانه وبعد أن اسلفوا مالا كثيراً واختص منه صاحب الانتكيرة بمائتي ألف دينار من الذهب الى ما اختص به غيره وارتهنوا فيه ولده وذخيرته وكان ينفق على نفسه وجيشه بحساب دينار من الذهب للفارس فى ثلاثة أيام وكان تأليف الجيوش فى برشلونه فى أزيد من ثلاثين ألفاً وعسر عليهم المجاز على فحص أحدونيه ليلا وتمسك بطاعة القنداخيه فصالح القوم صاحب نبارة على الافراج لهم ونزلت المحلات فى فحص نبارة مابين حدود نبارة وقشتالة ونزل المتصير اليه امر قشتالة بازائها فى جموع لم تنتظم لمثله الا انه لشهامته واعتزازه أجاز خندقاً كان بين يديه وعرحبس فيه عند الجولة وكان اللقاء بين الفريقين يوم السبت سادس ابريل العجمى بموافقة شعبان من عام ثمانية وستين وكان هـذا الجمع الافرنجى آتين من الارض الكبيرة في صفوف ثلاثة مرتبة بعضها خلف بعض ليس فيهم فارس واحد انما هم رجالة سواء أميرهم ومأمورهم فى أيديهم عصى جافية فى غلظ المعاصم يشرعونها امامهم بعد اثبات زجاجها فيما خلفهم من الارض ويستقبلون بها وجوه عدوهم ونحو رخيله ويجعلونها دعائم ومتكآت لبناء مصافهم فلا تعقلهم المحلات وبين ايديهم من الرماة والناشبة المدرعة مالايحصيه الا الله عز وجل وسايرهم السلطان مستدعى نصرهم راجلا ميالا الى أن أعيي بعد ميايين منها فاركبوه بغلة يحملونه بينهم عليها الى موقف اللقاء والقتال وكان على مقدمة القوم الدك اخو البرنوس والبرتى مع السلطان وفى القلب والقند المعرف بقندارمانيان وكثير من الامراء دونهم ومن خلف الجميع الخيل يجنبها ساستهم وغلمانهم وخدامهم ووراءها دواب الظهر وانعامهم. وفى أثناء هذه الكتائب من البنود والآلات

والمطارف والابواق مايطول ذكره . وكان فى مقدمة القند المستأثر بملك قشتالة اخوه شانجة فى رجال قشتالة قد ملأوا السهل والجبل ومن خلفهم أولو الخيل الجافية الفيسيلية المسبغة الدروع من الرأس الى الحافر فى نحو ألف وخمسمائة . وفى القلب اخوه بطرة في جمهور الزعماء والفرسان والدرق وهو الاكثر من رجال الجيش اليوم ومن ورائهم السلطان لذريق فى لفيف من الناس .

ولما حمل بعضهم على بعض قدم رماة الفرنج ثقة بدروعهم فعظم أثرهم فيمن بازائهم من رماة عدوهم ورجالهم فكشفوهم وحملت خيل قشتالة الدارعة فزحزحت المصاف واتصل الحرب بالبرسى وهو مطل عليهم فى ربوة فصاح عليهم بحيث أسمعهم وتناول شيئاً من التراب فاستفه وكسر ثلاث عصى وفعل من معه مثل فعله وهي عادتهم عند الغضب وعلامة الاقدام الذى لانكوص بعده ووجه الى أخيه فى المقدمة يقول له ان وجدت فى نفسك ضعفا فاذكر أنك ولد صاحب الانكيرة وحمل الكل حملة رجل واحد فلم تجد الخيل الدارعة سبيلا وقامت فى نحورها تلك الاسنة فولوا منهزمين .

ولما رأى القمط هزيمة أخيه تقدم بنفسه بمن معه من الامة الأرغونية وهو ينادى أهل قشتالة ياموالى اياكم والعار ها أناذا فلم يثبت أمره وتراجع فله فعند ذلك فر فى أربعة من أولى ثقته واستولى القتل والاسر على خاصته وتردى المنهزمون فى الوادى خلفهم فكان ذلك أعون الاسباب على هلكهم فاناف عدد من هلك فى هذه الواقعة حسبما اشتهر على خمسين ألفا وامتلأت ايدى هذه الامة من الاسلحة والاموال والأمتعة والاسرى الذين ينادى دونهم بمال عظيم واتصل القند المنهزم بارض أرغون ثم نجا من البلاد

الفرنسية ودخل أخوه ليلا بهذه الامة أوائل البلاد معترفا بحميد سعيهم وعزيز نصرهم وقد رابه واوجسه تغلبهم فاستأذنهم فى اللحوق بقواعد ارضه وقبض الاموال التى تجدي منها نفقاتهم وقبض منها ديونهم قبله وحث السير فوصل طليطلة لا يصدق بالنجاة وخاطب السلطان المترجم به وقد زوده وأمده بسورة هذه الامة التى فاض بحرها وأعيي أمرها وانهى اليه شرها وشررها الى[1] استئصال المسلمين وحدد له مواعدها التى جعلت لذلك ووطئ اشبيلية وانثالت البلاد الى حكمه ثم شرع فى جعل الضرائب وفرض الاموال وأخاف الناس بالطلب بالتبعات فعاد نفورهم عنه جزعا وامتنعوا من العزم وطردوا العمال وأحس بالشر فتحصن باشبيلية وجهاتها عن نفسه وطال على الامة الواصلة فى سبيل نصره الامر فرفعت الى بلادها وتوقت نصره الفرسان وولى الاتباع وأظهروا الخلاف وكشفت جيان وجهها فى خلعانه والرجوع الى دعوة أخيه المنصرف فتحرك السلطان المترجم به اليها بمدان احتشد المسلمين فكان من دخولها عنوة واستباحة المسلمين اياها وتخريبها ما هو مذكور فى موضعه ثم ألحقت بها مدينة أبدة الذاهبة في مخالفة مذاهبها والحمد لله وخالفت عليه قرطبة واستقر بها من الكبار جملة كاتبوا أخاه واستعجلوا فتعرف فى هذه الايام انه قد بلغ أرض برعش ونار الفتنة بينهم ويد الاسلام والهيبة لله وحده غالبة .

وانما مددنا القول فى ذكر هذه الاحوال الرومية لغرابة تاريخها وليشمر الحذر ويؤخذ من الامة المذكورة وغيرها والله ولى نصر المؤمنين بفضله وبأرض أرغون سلطانها الكائن له على الدولة الاولى بعض مناقب الدولة لهذا العهد

---

١ هذه الجملة من عند قوله وقد زوده الى قوله الى استئصال قلقة فلتحرر

﴿ مايرجع الى مناقب الحلم والكظم من مواقف الجهاد ﴾
(الاكبر وهو جهاد النفس)

فمن ذلك أن السلطان لما حدثت الحادثة وعظه التمحيص وألجئ الى وادى آش لايملك الا نفسه فى خبر طويل بادر الى مخاطبة ثقته بقصبة المرية قلعة الملك ومظنة الاتباع ومهاد السلامة ومخزن الجباية والعدة وقد اصبح محل استقراره بينه وبين المنتدى سدا وبيمة أهلها لم ينسخ الشرع منها حكما يناشده الله فى رمقه وتملقه فى رعى ذمته والوفاء له وتمسكه من أمانته فرد عليه أسوأ الرد وسجن رسوله فى المطبق منها وخرج منها لعدوه وناصح بعد فى البغى عليه فلما رد الله الأمر وجبر الحق المنبت أجرى عليه الرزق . ولما ثار فى الدولة الثانية الذليل البركي هاتفا بالدعوة لبعض القرابة وأكذبه الله ودفع كيد الشيطان بعد نشره آية الخلاف وجعل الدولة علو اليد وحسن العاقبة وتمكن من المذكور أبقى عليه وغلب حكم المصلحة العامة فى استحيائه وهو من غرائب الحلم المبنى على اساس الدين وابتغاء وجه الله .

ولما أجلى عن الترشيح من القرابة بعد تقرر التهمة وغمس الايدى فى المعصية صرفوا الى المغرب صرف العافية وأجري على من خلفوه عوائد الارزاق ومرافق المواسم ووعد ضعفاءهم بالارفاد وتجوفى عما يرجع للجميع من عقار ورباع وأسعفت آمالهم فى لحاق أعقابهم من أهل وولد

ومما يرجع الى عوائد الرفق ومرافق العدل من مواقف جهاد النفس وقوف وكيل الدولة مع من يجاور مستخلص السلطان من العامريين ومزاولى الفلاحة وقد ادعوا اضرارا يحدثه الجوار بين يدى القاضي بالحضرة حتى بعد منقطع الحق على ما يخص السلطان من الاصول التى جرها الميراث عن كريم

السلف . ولا كقصة التاجر المعروف بالحاج اللباس من أهل مدينة وادى آش وقد تحصلت فى داره من التاجر المذكور جارية من بنات الروم فى سبيل (تقويت الذمم ومستهلك المقولات[١]) وترقت الى تربية ولده وأصبحت من الآظار اتصل بها كلفه وزاد هيمانه فأنهى اليه خبره وبثه وقرر عنده شجوه والممت بما ينقل فى هذا الباب عن الملوك قبله فبادر الى اخراجها من القصر بنفسه وانتزعها من أيدى الغبطة انتزاع القهر فى جميل الزي فمكنت منها يدا عاشقها الذاهل وقد خفت نفسه وسكن حسه وكاد اقاؤه اياها يقضي عليه . ونظائر هذا الباب معدودة

ومن مواقف الصدقة والاحسان ومن خارق جهاد النفس بناء المارستان الاعظم حسنة هذه التخوم القصوي . ومزية المدنية الفضلى لم يهتد اليه غيره من الفتح الاول مع تقرر الضرورة وظهور الحاجة فاغرى به همة الدين ونفس التقوي فابرزه موقف الاحداق ورحلة الاندلس ومدرك الحسنات فخامة بيت وتعدد مساكن ورحب ساحة ودرور مياه وصحة هواء وتعدد خزائن ومتوضآت وانطلاق خيرات وحسن ترتيب أبر على مارستان مصر بالساحة العريضة والاهوية الطيبة وتدفق المياه من فورات الرمل وسود الصخر وتمرج البحر وانسدال الاشجار الى موافقته اياى وتسويغه مااخترعته باذنه واجريته بطيب نفسه من اتخاذ المدرسة والزاوية وتعيين التربة جاريا فى ذلك كله على مقاصد الملوك نقشا عليه بطيب اسمه فى المزيد وتخليداً للذكر وصونا للمدفن غير المعتاد فى قلب بلده بالمقاصر والاصونة وترتيل التلاوة آناء الليل وأطراف النهار . وكل ذلك انما ينسب الى صدقاته

١ هكذا فى الاصل فلتحرر

وعلو همته ويشهد عليه بما ينبه الحس الى المنقبة العظمى فى هـذا الباب من امداد جبل الفتح مع كونه فى ايالة غيره وخارجا عن ملـكة حكمه وما كان من اعانته وسد ثغره فانهار اليه على خطر السرى والظهر البعيد المسمى ماقمع الاهواء وقطع طمع الاعداء أنفق عليه من الاموال ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة بودر بذلك بين يدى التفاؤل بنزول العدو اياه فكان الـكراء على ايصال الطعام اليه بحساب درهم واحد وربع درهم للرطل من الطعام منقبة فذة وحسنة كبرى وبدعا من بدع الفتوى .

وفى مواقف الاستعداد لعدو الاسـلام من خارق جهاد النفس اطال الامن للمدة القريبة والزمان الضيق باثنين وعشرين ثغراً من البلاد المجاورة للعدو والمشتركة الحدود مع أراضيه المترامية النيرات اقرب جوازه منها ثغر أرجونة المستولى عليه الخراب انفق في تجديد قصبته واتخاذ جبه ماينا هز عشرين ألفاً من الذهب فهو اليوم شجا العـدو ومعتصم المسلمين . وحصن آش وما كان من تحصين جبله بالاسوار والابراج على بعد أقطاره واتخاذ جباب الماء به واحتفار السانية الهائلة بربضه ترك بها من الآثار مايشهر ويشهد بالقوة لله والعناية بالاسـلام ثم ختم ذلك بتقوية حصن الحمراء رأس الحضرة ومعقل الاسلام ومفزع الملك ومعقد الايدى وصوان المال والذخيرة بعد أن صار قاعا صفصفاً وخرابا بلقعاً فهو اليوم عروس يجلى الهضب ويغازل الشهب سكن لمكانه الارجاف وخوت نجوم الاطماع . ونقل اليه مال الجباية المنفصل بهذا العهد بحسب التدبير ونقد الخراج وصون الالقاب وقمع الخزانة بما لم يتقدم به عهد من ثمانين سنة والحمد لله . وتجريد أساطيل الاسلام وازاحة علل جيوش المرج وعساكر البحر فهى لهذا العهد ملس الاديم شازعة الشبا منقبضة

جباتها الى مساواة الاعداء راكبة ظهر المجالس قلمة المرافق قدما الى الجهاد قد تمدد اغزاؤها وجاست البحر سوابحها وتعرفت بركتها والحمد لله والنصباء جيش الجهاد استغرقت الشهور المستقبلة لدرور الصفراء والبيضاء الأهلة الى أكف أهلها على الدوام بعد أن كانت يحيفها المطل وينقصها الهطل والحمد لله .
وفى مواقف الجهاد الحسىّ وبيع النفوس من الله وهو ثمرة الجهاد الاول مالا يحتاج عليه الى دليل من ذلك الخوف على حصن آش قبل الثغر الخارج المطل على الاسلام والعزم على افتتاحه وقد غاب من مشاورته وأعيي عليهم فتحه فلزمه السلطان بنفسه بياض يوم القيظ محرضاً للمقاتلة مواسياً لهم خالطا نفسه بهم يصابر لهيب النار ووقع السلاح وتعميم الدخان مفدياً للكماة ممرضا لذوى الجراح مباشراً ذلك الى ان فتحه الله على يده بعزمه وصبره فباشر هدم السور بيده وتحصين عورته بنفسه ينقل اليه الصخر ويناول الطين ويخالط الفعلة لقرب محل الطاغية وتوقع المعاجلة ثم كان هذا العمل قانوناً مطرداً في غيره حسبما يذكر في باب الجهاد

وفى باب النصيحة للمسلمين من مواقف الجهاد الاكبر ماصدر فى هذه الدولة من مخاطبة الكافة بلسان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر صدعت بذلك الخطباء ونصت الكتاب

ولما صحت الاخبار بخروج الامة الافرنسية الى استئصال هذه البقيعة والله متم نوره ولو كره الكافرون . صدر من مخاطبة الجمهور في باب التحريض مانصه . من أمير المسلمين عبد الله محمد بن مولانا أمير المسلمين أبي الحجاج ابن مولانا أمير المسلمين أبي الوليد نصر أيده الله ونصره . وقوّى أمره وخلد أثره . الى أوليائنا الذين نوقظ من الغفلة أحلامهم . وندعوهم

لما يطرأ من الارتياب ايمانهم . ويخلص أسرارهم واعلانهم لعدم احسانهم نتيجة قياسهم . واستيلاء الغفلات على أنواعهم وأجناسهم . ونسأل الله لنا ولهم اقالة العثرات وتخفيف الشدائد المتواترات

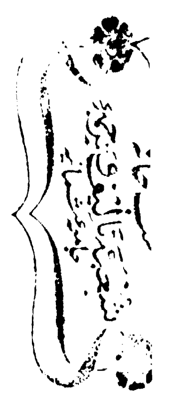
وكف أكف العوادي المبتدرات . الى أهل فلانة دافع الله عن فئتهم الغريبة . وعرفهم في الذراري والحرم عوارف اللطائف القريبة . وتداركهم بالصنائع العجيبة . سلام عليكم أجمعين ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله الذي لانشرك به أحداً . ولا نجد من دونه ملتحدا مبتلي قلوب المؤمنين أيها أقوى جلداً . وأبعد في الصبر مدى . ليزيد الذين اهتدوا هدى . والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي أنقذ من الردى . وتكفل بالشفاعة لمن غزا ضارباً هام العدى . مجاهداً من اتخذ مع الله ولدا . والرضى عن آله الذين كانوا اسماء ملته عمدا . فلم ترعهم الكتائب الوافرة وكانوا هم أقل عدداً . ولا هالتهم أمم الكفر وان كانت أظهر جمعا وأكثر عدداً . صلاة لا تنقطع ورضا لا يبلغ مدا . فانا كتبنا اليكم كتبكم الله فيمن امتلأ قلبه غضباً لاعدائه وحمية . ورمى بفكره غرض السداد فلم يخط منه هدفا ولا رمية . وقد اتصل بنا الخبر الذي يوجب نصح الاسلام . ورعى الجوار والذمام . وما جعل الله تعالى للمأموم على الامام . إيقاظكم من مراقدكم المستغرقة . وجمع اهوائكم المتفرقة . وتهيئكم الى مصادمة الشدائد المرعدة المبرقة . وهو أن كبير دين النصرانية الذي اليه ينقادون . وفي مرضاته يصادقون ويعادون . وعند رؤية صليبه يكبرون ويسجدون . لما رأي الفتنة قد اكلتهم خضما وقضما . وأوسعتهم هضما . فلم تبق عصباً ولا عظما . ونثرت ما كان نظما . أعمل نظره فيما يجمع منهم ما افترق . ويدفع ما طرق . ويرفو

بما مزق الشتات وخرق . فرمى الاسلام بأمة عددها القطر المنثال . وأمرهم وشأنهم الامتثال . ان يدمنوا لمن ارتضاه من أمته الطاعة . ويجمعوا فى ملته الجماعة . ويطلع الكل على هذه الفئة القليلة الغريبة بغتة كقيام الساعة ويقطعوهم قطع الله تعالى بهم البلاد والعباد . والطارف والتلاد . وبالله نستدفع مالا نطيق . ومنه نسأل عادة الفرج فاسدت لديه طريق . الا أنا رأينا غفلة الناس مع تصميمهم مؤذنة بالبوار . واشفقنا للذين من وراء البحار . وقد أصبح معظمهم فى هوة الكفار . وأردنا أن نهزهم بالموعظة التى تكحل البصائر بميل لاستبصار . ونلهمهم الاستنصار بالله عند عدم الانتصار . فان جبر الله الخواطر بالضراعة والانكسار . ونسخ بالايسار الاعسار . وانجد اليمين بامتها الايسار . والافقد تعين فى الدنيا وللآخرة حظ الخسار . فان من ظهر عليه عدو دينه وهو عن الله مصروف . وبالباطل مشغوف . وبغير العرف معروف . وعلى حطام المسلوب ملهوف . فقد تله الشيطان للجبين . وخسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين . ومن نفذ فيه قدر الله عن أداء الواجب وبذل المجهود وقصده بالعبودية وجه الواحد المعبود . ورد النفس عن الشهوات الموبقة فى دار الخلود . العائدة بالحياة الدائمة والوجود . او الظهور على عدوه المحشود اليه وصبر على المقام المحمود . صبرا تكون فيه الملائكة من الشهود . حتى تعيد يد الله ذلك البناء المهدم . بقوة الله المحمود والسواد الاعظم الممدود . كان على أمر ربه بالحباء الموعود . قل هل تربصون بنا الا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بايدينا فتربصوا انا معكم متربصون . فالله الله فى الهمم قد خبت ريحها . والله الله فى العقائد قد خفتت مصابيحها . والله الله فى الرجولية فقد جد جدها . والله الله فى الغيرة فقد نعس جدها . والله الله فى الدين فقد

طمع العدو فى تحويله . والله الله فى الحريم فقد مد الى استرقاقه يد تأميله . والله الله فى المساكن التى زحف العدو لسكناها . والله الله فى الملة التى يريد اطفاء نورها وسناها . والله الله فى الدين الكريم . والله الله فى القرآن العظيم . والله الله فى الاقارب والجيران . والله الله في الطارف والتالد . والله الله في الوطن الذى توارثه الولد عن الوالد . اليوم تستأسر النفوس المهينة . اليوم يستنزل الصبر والسكينة . اليوم تحتاج أن ترعى الهمم . هذه النفوس الكريمة الذمم اليوم يفيق من نومه الغافلون . قبل أن يتفاقم الهول . ويحق القول . ويسد الباب . ويحق العذاب وتسترق بالكفر الرقاب . والمتسابقون . يأبون لانفسهم الصغار . والطيور ترفرف لتحمى الاوكار . ان احست العبث بافراخها والاضرار . ثم ان دام هذا منكم فلا خبر يفضى الى العين . ولا حديث عن الله يسمع بين اثنين . ولا همة لكم الا في زينة يحلى بها نحر وجيد . ولا سعى الا فى متاع لا يغنى في الشدائد ولا يفيد . وبالامس ندبتم الى التماس رضى مسخر السحاب . واستقالة كاشف العذاب . ونوال مرسل الديمة . ومحيي البشر والبهيمة . وقد أمسكت عنكم رحمة السماء . واغبرّت جوانبكم المخضرة احتياجا الى بلالة الماء . وفي السماء رزقكم وما توعدون . واليها الا كف تمدون . وأبوابها بالدعاء تقصدون . فلم يحضر منكم عدد معتبر . ولا ظهر للانابة خبر . ونأيتم عن إعادة الرغبة الى الغني الحميد . والولىّ الذى إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد . وايمن الله لو كان نقداً لارتقت الساعات . وضاقت المساغات . وتزاحمتم على جمعه وغصت الجاعات . أتعززا على الله وهو القوى العزيز . وتلبيساً على الله وهو الذى يميز الخبيث من الطيب والشبه من الابريز . هو الذى يرجى فى المحيا والممات . أفى الله شك يخالج القلوب . أثم غير الله يدفع

الـكروب . تقضون على الالجا اليه فى الشدائد مواسم الجهل والممه . وطائفة منكم قد برزت الى استسقاء الرحمة . تمد الى الله الاكف والرقاب . وتستكشف بالخضوع لعزته العذاب . وتستعجل الى مواعيد الاجابة الارتقاب . وكأنكم عن كرمه استغنيتم . أو على الامتناع من الرجوع اليه بنيتم . أفتعلمون كيف كان نبيكم صلوات الله وسلامه عليه من التبلغ باليسير . والاستعداد للرحيل والمسير . ومداومتـه الرجوع . وهجر الهجوع . والعمل للأوبة على الله والرجوع . دخلت عليه فاطمة رضى الله عنها وبيدها كسرة شعير فقال ماهذه يافاطمة فقالت يارسول الله خبزة أحببت ان تأكل منها فقال يافاطمة أما انها أول طعام دخل جوف أبيك منذ ثلاث . وكان صلى الله عليه وسلم يستغفر فى اليوم سبعين مرة يلتمس رحماه . ويقوم وهو المغفور له ماتقـدم من ذنبه وما تأخر حتى تورمت قدماه . وكان شأنه الجهاد وآدابه الجد والاجتهاد . ومواقف صبره تعرفها الربى والوهاد . فاذا لم تقتدوا به فبمن تقتدون . واذا لم تهتدوا به فبمن تهتدون . واذا لم ترضوه باتباعكم فكيف تعزون اليه وتنسبون . واذا لم ترغبوا فى الاتصاف بصفاته غضباً لله وجهاداً وتقللاً من العرض الأدنى ففيم ترغبون ومادهم ماتقدم من البلاد والعباد والقواعد من ذهولكم عنها غريب . فتفكروا فى منابره التى كان يتلوها واعظ وخطيب . ومطيل ومطيب . ومساجدها الممددة الصفوف والجماعات . المعمورة بانواع الطاعات . وكيف اخذ الله بذنب المترفين من دونهم . وعاقب الجمهور بما اغمضوا عيونهم . وساءت بالغفلة عن الله عقبي جميعهم . وأذهبت بعاصيهم ومن داهن فى أمره من مطيعهم . واصبحت مساجدهم محلا للصلبان . واستبدلت مآذنهم بالنواقيس من الادهان . هذا والناس ناس والزمان زمان . ماهذه الغفلة عمن اليه الرجعى واليه المصير . والى متى اللجأ



الى التقاعد وجنود العدو تحت الصلبان مجلبة عليكم . وتحركت الطواغيت من جهته اليكم . أفيخذلكم الشيطان وكتاب الله قائم فيكم . والسنة الآيات تناديكم . لم تهتك ستورها . ولا احتجب نورها . وأنتم بقايا من افتتحها عن عدد قليل . وصابر فيها كل خطب جليل . فوالله لو تمحض الايمان . ورضى الرحمن . لما ظهر التثليث فى هذه الجزيرة على التوحيد . ولا عدم الاسلام فيها عزم التأييد . ولكن شمل الداء أمم النداء . وعميت الابصار فكيف الاهتداء . والباب مفتوح والفضل ممنوح . فتعالوا نستغفر الله جميعاً فهو الغفور الرحيم . ونستقيل مقيل العثرات فهو الرؤف الرحيم . ونصرف الوجوه الى الاعتراف بما قدمت أيدينا فقبول المعاذير من شأن الكريم . سدت الابواب . وضعفت الاسباب . وانقطعت الآمال الا منك يا كريم يا فتاح يا وهاب . يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم . قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين . ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين . يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون . أعدوا الخيل وارتبطوها . وروضوا النفوس على الشهادة وغبطوها . فمن خاف الموت رضى بالدنية . ولابد على كل حال من المنية . فالحياة مع الذل ليست من شيم أهل العقول والنفوس السنية . واقتنوا السلاح والعدة . وتعرفوا الى الله فى الرخاء يعرفكم فى الشدة . واستشعروا القوة بالله على أعدائه وأعدائكم . واستميتوا دون ابنائكم . وكونوا كالبنيان المرصوص لحملات العدو النازل بفنائكم .

ذكروا أن امرأة احتمل السبع ولدها وسمعت النداء فلم تلقم لقمة وانا لما استودعنا لحافظون . اهجروا الشهوات . واستدركوا الباقيات من قبل

الفوات . وافضلوا لما كنتم من الاوقات واخشعوا لما أنزل الله من الآيات . وخذوا من لكم بالصبر على الازمات . والمواساة فى المهمات . وأيقظوا جفونكم من السنات . واعلموا انكم رضع ثدى كلمة التوحيد . وجيران البلد الغريب والدين الوحيد . وحزب التمحيص ونفر الوعيظ فقدموا معاملتكم مع الله فمها رأيتم الصدق غالبا . والقلب للمولى الكريم راغباً وراقبا . وشهاب الدين ثاقبا . فثقوا بعناية الله تعالى التى لايغلبكم معها غالب . ولا ينالكم من أجلها عدو ومطالب . وانكم فى الستر الكثيف . وعصمة الخبير اللطيف . ومتى رأيتم الخواطر متبددة . والثقة بالله مترددة . والجهات تخاف وترجي مهددة . والغفلة عن الله ملابسها متجددة . وعادة الخذلان دائمة . وأسواق الشهوات قائمة . فاعلموا أن الله منفذ فيكم وعيده فى الامم الغابرين . وانكم قد ظلمتم أنفسكم ولا عدوان الا على الظالمين . والتوبة ترد الشارد والله يحب التوّابين ويحب المتطهرين . وهو القائل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين . وما أقرب صلاح الاحوال اذا صلحت العزائم . وتوالت على حزب الشيطان الهزائم . وحقرت الدنيا الدنيئة فى العيون . وصدقت فيما عند الله الظنون . يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور . وتوبوا سراعاً الى طهارة القلوب وازالة الحوب . واقصدوا أبواب غافر الذنوب وقابل التوب . واعلموا أن سوء الادب مع الله يفتح أبواب الشدائد . ويسد طريق الفوائد فلا تمطلوا بالتوبة أزمانكم . ولا تأمنوا مكر الله يسلب ايمانكم . ولا تعلقوا متابكم بالغرائز . فهو علام السرائر . وان علينا معشر الاولياء أن ننصحكم وان كنا أولى بالنصيحة . ونعتمدكم بالموعظة الصريحة الصادرة عن حذق القريحة .

وان شاركنا كم فى الغفلة فقد ندبنا كم لى الاسترجاع والاستغفار . وانما لكم لدينا نفس مبذولة فى جهاد الكفار . وتقدم الى ربكم العزيز الغفار . وتقدم الى مواقف الصبر التي لا ترضى بتوفيق الله الفرار . واجتهادفيما يعود بالحسنى وعقبى الدار . والاختيار لله وليّ الاختيار . ومصرف الاقدار . وها نحن نشرع فى الخروج الى مدافعة العدو ونفدى بانفسنا العباد والبلاد . والحريم والاولاد . ونصل من دونهم الجلاد . ونستوهب منكم الدعاء الى من وعد باجابته . وتقبل من صرف اليه وجه انابته

اللهم كن لنا فى هذا الانقطاع نصيرا . وعلى أعدائك نصيرا . ومن انتقام عبدة الاصنام مجيرا . قوّ من ضعفت حيلته فأنت القويّ المعين . وانصر من لا نصير له الا أنت إياك نعبد وإياك نستعين

اللهمّ ثبت أقدامنا عند التزلزل ولا تسلمنا عند لقاء أعداء الاسلام . فقد ألقينا اليك يد الاستسلام

اللهم دافع ببأسك عمن ضاقت أرجاؤه . وانقطع الا منك رجاؤه

اللهم هيّ ضعفاءنا وكلنا ضعيف لديك وذليل بين يدي عظمتك . يا كريم العوائد . يا مفرج الشدائد . ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين

اللهم اجعلنا ممن أوقظ فتيقظ وذكّر فتذكر وممن قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايماناً و قالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم

وقد وردت علينا المخاطبات من قبل اخواننا المسلمين الذين عرفنا فى

القديم والجديد اجتهادهم . وشكرنا فى ذات الله جهادهم . بنى مرين اولى الانتماش في الله والحمية . والمخصوصين من بين القبائل الكريمة بهذه المزية . بعزمهم على الانتماش لحق الجوار . والمظاهرة التى تليق بالاحرار . محل أخينا ومن له الاولياء والانصار . وكافة المجاهدين تمد الانظار . الى الاعانة على هؤلاء الكفار . ومدافعة أحزاب الشيطان وأهل النار . فارسل اعانتهم على هذا المقصد الكريم الآثار . والسعى الضامن العز والاجر والفخار . والسلام الكريم يخصكم أيها الاولياء ورحمة الله وبركاته . فى الثانى عشر من شهر رمضان عام سبع وستين وسبعمائة عرفنا الله خيره . وصح هذا فكان دفاع الله أقوى . وعصمته أكفى . والحمد لله على عوائده الحسنى

ومن الغيرة على الدين . وتغيير أحوال الملحدين . من مواقف جهاد النفس ما وقع به العمل من اخماد البدع واذهاب الآراء المضلة والاشتداد على أهل الزيغ والزندقة وقد أضاعت أرباب هذه الاضاليل الشريعة فسلط عليهم الحكام واستدعيت الشهادات وأخذهم التشديد فهل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا

وقيد عنى فى ذلك مقالات أخرى . منها رسالة الغيرة . على أهل الحيرة . ورسالة حمل الجمهور . على السنن المشهور . ورسالة أنشدت على أهل الرد فارتفع الحوض وكسدت تلك الاسواق الخبيثة وخمد منها الصدى ونار الاهواء والحمد لله . ولو تتبعت مناقب الهدى لجر ذلك الى الخروج عن الغرض

﴿ الاحداث ﴾

وفى غرة ذى الحجة كانت الثورة الشنعاء المجحفة بالدولة وقد كان

السلطان يطالع تداخل بعض القرابه فعاجله بالقبض عليه وهو فى محل ولايته. فصمدوا قصبة المرية وخاف أرباب المكيدة افتضاح الامر فتعجلوا ابراز الكامن واظهار الخبث وتولى ذلك جملة من بنى عدوه يدور أمرهم على الدليل البركي فأكذب دعوتهم بعد ان أركبوا الشيخ على بن على بن نصر ونصبوا تلقاء باب القلعة البنود ودعوا الناس الى البيعة وأخذ السلطان حذره وناصبهم القتال وأشاع العطاء واستركب الجيش وعمر الاسوار فأخفق القصد وفر الدليل البركى وقبض على الرئيس المذكور وجعل الله العاقبة الحسنة للسلطان أيده الله

وكان مما أمليته يومئذ بين يدي السلطان من الكلام المرسل ما نصه بعد الصدر . والى هذا ما أفادته الفكر السليمة والحكم والقضاء بالشريعة والنقل الشرعى . والسنن المرعى . أن مغالب الحق مغلوب . ومحارب الله مهزوم . ومكابر البرهان موسوم . ومرتع الغيّ مهجور . وسيف العدوان مفلول . وحظ الشيطان موكوس . وحزب السلطان منصور . ولاخفاء بنعمة الله علينا التى اطردت لنا فى المواطن العديدة . والفيافى البعيده . والشبهات غير المبينة والظلمات الكثيفة مملئة بوفور الحظ من رحمته . وبفوز القداح فى مجال كرامته والاختصاص بسبب اختياره لجمل العصمة ليلة الحادث علينا من دون مضجع اماناً ونهج لنا سبيل النجاة بين يدى ستره علينا وسخر لنا ظهر الطريق والطريف بعد ان فرق لنا بحر الليل وأوضح لنا خفى المسلك وأوطأنا المنعة وصرف وجوه الشرذمة المتبعة بعد أن ركضوا قنيب البراذن البادنة من خزائن اهدائنا المتجملة بحلى مركبنا وحملوا السلاح والرياش المختار من أثير صلاتنا وابهروا

الانفاس التى طال مارفهها ايناسنا وأبلعها الريق تأمينا وصببوا العرق الذى أفضله طعامنا شرهين الى دمنا المحظور بالكتاب والسنة المحوط بسياج البيعة المحصن عنهم بتقديم النعمة . وبحرمة الاب وتمدد الاذمة . فجعل الله بيننا وبينهم حاجزاً وسداً ليأجوجهم من المردة مانعا . وانقلبوا يعضون الانامل ويقلبون الاكف التى أجد بها الدهر فى المهن المتربة قد جاءهم صغار القدر وذل الخيبة وكبح الله جماحهم عن التعلق بتلك الوسيلة واتاح لنا قصبة وادى آش لاتملك الانفسا لايشوبها غش الملك ولا كيد الأمة ولادنستها الفاحشة ولا وسمها الشؤم فى الولاية ولا أحبط عمل نجابتها دخل العقيدة ولا مرض السريرة مذ سلمنا القياد لمن عطف القلوب علينا وصير الينا ملك أبينا من غير حول ولا حيلة نرى انها أملك لحرمتنا وأعلم بما كنا وأرحم بنا فتثبت بها القدم . وحميت لنا من أهلها رعاهم الله الهمم . وصدقت فى الذب عنا وحاصرنا جيش العدو وأولياء الشياطين . وزهق الباطل فبان الظفر والاقبال وظهرت الفئة القليلة والله مع الصابرين . فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين مع مابنا من الضيق واهمنا الامر فلم نطاق به غارة ولا شرهنا الى تغيير ذمة ولا سرحنا الاكتساح على هجمة . ولاسلبنا لبسا فى بيت ولا حلة . وامسكنا الارماق بيسير الحلال الذى اشتملته خزائننا من أعشار وزكوات . وحظوظ من مزارعات . وارتقبنا الفرج ممن محص بالشدة . والاقالة ممن نبه من الغفلة . وألهم للاقلاع والتوبة . ثم وفقنا سبحانه وألهمنا من أمرنا رشدا . وسلك بنا طريقاً فى بحر الفتنة يبسا . فدناه بحقن الدماء . وتأمين الارجاء . وشكرنا على البلاء كشكرنا على الآلاء . وخرجنا عن الاندلس ولقد كاد لولا عصمة الله ان يذهب بمذاهب تذيب الذروة . وتستأصل الشأفة وتستأصل

الفرصة . سبحانه ما أكمل صنعه وأسبل علينا ستره الى ان جزنا البحر ولحقنا بجوار سلطان المغرب لم تذب عنا عين ولا شمخ علينا أنف ولا حمل علينا مركب ولا هتفت حولنا غاشية ولا نزعنا للعفاف والتقوى ستراً بل كان الناس يوجبون لنا الحق الذى أغفل الاعوان من ابناء دولتنا . والضفادع ببركة نعمتنا حتى اذا الناس عافوا الصيحة وملوا الحسرة وسيموا الخسار والخيبة وساسهم الطغام الذين لا يرجون لله وقارا . ولا يبالون لشعائره المعظمة احتقارا . كلاب الاطماع وعبدة الطاغوت ومدبروا حجون الجهل ومياسيس اسواق البعد عن الرب وعرائس محرم الزينة واعاد الله العزة على المؤمنين ونصرهم على ذوى الباطل ممن لا يحسن المحاولة ولا يلازم الصهوة ولا يحمل السلاح ولا ينزه مجمع الحشمة عن الفحشاء ولا يطعم المسكين ولا يشعر بوجود الله داروا مع شقيهم المحروم على ملتف فى الحرم المحصور محتف بلطف المهد مملل بالخداع مسلوب الجدى بايدى انتهازهم شؤما على الاسلام ومعرة فى وجه الدين أخذ الله منهم حق الشريعة وأنصف أئمة الملة فلم ينشبوا ان تهارشوا بعض بعضهم واستأصلهم البغي والتحم السيف وتفنن القتل فمن بين مجندل يوارى باحلاس الدواب الدبرة وغريق يطاف به الى سوء الميتة واستهينت حرمة الله واستضيم الدين واستبيحت المحرمات فى غير الرشد وساءت فى عدو الدين الحيلة فتحركنا عن اتفاق من ارباب الفتيا وعزم من أولى الحرية وتحريض من أولى الحفيظة والهمة وتحريك من وراء البحر من الامة فكان ما قد علمتم من تسكين الثائرة واصمات الصارخ وشعب الثأى ومعالجة البلوى وتدارك القطر وقد أشفى وكشف الضر والبأساء . أما مرافق البحر وموانئه فسدت طرقها اساطيل الاعداء . واما الحمية فبددها فساد السيرة وغمط

الحق وتفضيل الادنى . وأما المال فاصطلم السفه بيضاءه وصفراءه وكبس خزائنه حتى وقع الادقاع والاعدام واقوى العامر فتفرقت الحجاب وعرت جفون السيوف من جلائها . وجردت الآلة من علاعلائها . بالدغل المستبطن الفاضح وتخربت الثغور من غير مدافعة واكتسحت الجهات فلم يترك نافخ ضرم ووقع القول وحق البهت وخذل الناصر . وتبرأت الاواصر . فحاكمنا العدو الى النصفة ولم نقره على الدنية . وبايناه احوج ما كنا الى مصادقته واطمع ما اصبحنا فى مظاهرته على الكفار مثله اعتزازا بالله وثقة به ولجأ اليه وتوكلا عليه سبحانه ما أبهر قدرته . وأسرع نصرته . وأوحي أمره واشد قهره . وركبنا بحر الخطر بجيش من التجربة وانتهزنا فرصاً لانهاب الهول ولا نراقبه واطللنا على احوازه فى الجمع القليل . فلما أحس بنا المؤمنون المضطهدون بساحتهم انتشروا من عقال الايالة الظالمة والدعوة الفاجرة وتبرأوا من الطائفة الناصبة المحاربة واقبلوا ثبات ونفروا جماعات ووحدانا ينظرون بعيون لم ترمدة غيبتنا محيا رحمة ولا اكتحلت بمنظر رأفة ووجوه عليها قسوة الخسف وابشار عليها بؤس الجهد يتعلقون باذيالنا تعلق الغريق ويئنون من الجزع والخوف أنين المرضى . ويجهشون بالبكاء ويعلنون لله ولنا بالشكوى . فعرفناهم الامان من الاعداء واول عارفة حنونا عليهم . أن صرفنا وجه التأمين والتأنيس وجميل الود اليهم . وخالطنا منهم الاذهان بالرفعة ووثبنا بهم على دار الملك ببلادهم فانزلنا منها أخابيث كان الاشقياء خلفوهم بها من اخلاق لا تزال تطأ ابشارهم الحدود . وتأنف من استبكائهم اليهود . وانثالت علينا البلاد وشمر الطاغية ذيله عن الجهاد . وراجع الاسلام على الحياة وحثثنا السير الى دار الملك وقد فر عنها الشقى الغاصب بشوكة بغيه التى أودته فى الغي

وأجرأته على الله وقصد دارقشتالة بكل ما صانت الحقاق من ذخيرة يتوعدون المسلمين بادالة الكفر من الايمان . واقتياد جيوش الصلبان . وشد الحيازيم الى تبديل الارض غير الارض واعفاء رسوم الدين وطمس معالم الحق كيدا لرسول الله فى أمته . ومناصبة له فى حنيفيته وتبديلا للنعمة كفراً . والمعروف نكرا . مما أصبح الناس له على مثل الرضف يرتقبون اظلال الكريهة وسقوط الظلة وعودة الكرة . وعقبى المعرة . والله من ورائهم محيط . وبما يعملون محيط . ولدعاء المستضعفين من المؤمنين مجيب . ومنهم وان قعدوا فى اقصى الارض قريب . ولم يتقدم حلولنا بدار الملك شيئاً على مراسلة صاحب قشتالة فى أمره نناشده العهد وننتظر منه الوفاء ونناجزه الى الحق ونقوده بحسن التلطف الى الذى نشاء من الامن بحسم الداء . واجتثاث الاعداء . فناصح الاسلام وهو أعدى أعدائه . وحزم لدين وهو المعطل من ادوائه . وان لله فينا خبيئة غيب وسر عناية يبلغنا اياها ويطوقناطوقها لامانع لعطائه . ولا تعداد لآلائه . له الحمد ملء أرضه وسمائه

فمن اطردت له هذه العجائب وحملته عوائق الاستقامة وظهور التقوى كيف لايفيق ويدين الله بمناصحته . ويحذر عذاب الله بمخالفته ويخشى عاقبة أمره . انها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى في الصدور . فقلمنا أظفار المطالبة واغضينا عن البقية وسوغنا من كشف وجهه فى حربنا نعمة الابقاء وأقطعنا رحم من قطع رحم طاعتنا جانب الصفح وادررنا لكثير ممن شح عنا ولو بالكلمة الطيبة جراية الرزق وهنا ماوجب لنا من الحق ودناله بكظم الغيظ وعمرنا الرتب باربابها . وجددنا الالقاب بعد خرابها . وقبضنا الجباية محملة كتد المادة مقودة بزمام الرفق ممسوحا عطفها بكف الطواعية

وجلينا صدأ الجيش المطول بالامانى المعلل بالكذب المستخدم فى الذب عن مجاثم الفحشاء ومرافد المهد وداريناالاعداء وحسمنا الداء . وظهر أمر الله وهم كارهون . الا أن تلك الشرذمة الخبيثة ابقت جراثيم نفاق رويت بماء الغدر . وبذر بها حصيد الشر . ممن ساء ظنه وخبث فكره وظن ان العقاب لايفلته والحق لا يذره والسياسة لاتخفره فدبت عقاربهم ودارت طوافاتهم وثاب فسادهم فدبروا أمرا تبره الله تتبيرا وأتبعه خزيا وبيلا وجعلوا يرتادون من اذيال القرابة من استخلصه الشيطان وصحبه الخذلان . ممن لايصلح لشئ من الوظائف ولا يستقل ببعض الكلف فحركوا منهم غر زمانه من شر الدواب الذين لايسمعون فأجرتهم رسنه ووقف وقفة العير بين الورد والصدر بخلال ما اطلعنا الله طلع نيته فعاجلناه بالقبض واستودعناه معقدا ببعض الاطباق البعيدة والاجباب العميقة فخرج أمرهم وخافوا أن تحترس السمايات صبابة مكرهم وتتبع نفاقهم فاقدموا اقدام العير على الاسد استعجالا للحين ورفعا لحكم الخيار واقداماً على التى هى أشد تولى

كبرها وكشف وجهه فى معصيتها الخبيث البركى حلف التهور والخرق المموه بالمسالمة وهو الكذوب النكوث الغلول فحملنا هفوته وتعمدنا بالعفو قديما وحديثا زلته . واعرضنا فيه عن الفضيحة وابقينا له حكم الولايه وآنسنا من نفرته وتعافينا عن عزته وسوغنا الجرائم التى سلفت من افساد العهد واسر المسلمين والافتيات على الشرع والصدع بدعوى الجاهلية فلم يفده الا بطرا . ولم يزده الا مكرا . والخير فى غير أهله يستحيل شرا . والنفع ينقلب ضرا . والتفت عليه طائفة من الخلائق بنو غرور وقرعاء جهل ومشأمة . واذناب بيت الادبار ونفاية الشرار من بطون كل ضعيف المنة ساقط الهمة خامل

التفصيل والجملة وغيرهم ممن بادر اليه بضلال كيدهم وتخييب سعيهم فاقتحموا البلد يهتفون بالناس أن قد طرق حمام وان العدو قد دهمهم ملتفتين يرون أنهم فى أذيالهم وأن رماحهم تنهشهم وتنوشهم وسرعانهم ترهقهم كانهم سقطوا من السماء . أوثاروا من بين الحصباء . ثم جالوا فى أزقة البلد يقذفون فى الصفاح نار الحباحب ركضا فوق الصخر المرصوف . وخوضا فى الملأ غير الموصوف . ثم قصدوا دار الشيخ البائس على بن احمد بن نصر نفاية البيب ودردىّ القوم ممسوخ الشكل قبيح اللثغ ظاهر الكدر لادمان المعاقرة مزنونا بالمعاقرة والريب على الكبر ساقط الهمة . عديم الدين والحشمة متسنما فى البخل والهلع الى أقصى درجات الخسة . مثل فى الكذب والنميمة مهين المثانة لا يرقئ بوله ولا يجف سلسه فاستخرجوه مبايعا له فى الخلافة منصوبا على كرسىّ الامامة مدعو ما بالايدى لكونه قلقا لا يثبت على الصهوة مختارا الحماية البيضة والعدل فى الامة معتمدا للذب عن الحنيفية السمحة وصعدوا به الى ربوة بازاء قلعتنا متزيا باب البند مستنداً الى الربض مطلا على دار الملك قد ألزم له رسم الوزارة شكله ابن بطرون الكش الدروب بوسم المسومة الحرد المهين الحجة بل طاحونة الغدر وقدر الثورة والخيانة واليهوديّ الشكل والنحل وقرعت حوله طبول الاعراس الشاهدة بخمول أمره واستهجان آلته ونشرت عليه راية فال رايها . وخاب سعيها . ودارت به زعنفة من طغام من لا يغنى ولا يريد الا المكاء والصفير من جيله وانبث فى سكك البلد منادوه وهتف أولياء باطله باسمه وكنيته وانتجزوا مواعد الشيطان فاخلفت . ودعوا سمسار الغدر فصمت . وقدحوا زند الفتنة فصلدت . وحين شمرنا بالحادثة ونظرنا الى مرج الناس واتصل بنا ريح الخلاف وجهير الخلمان استعنا بالله وتوكلنا

عليه وفوضنا أمرنا الى خير الناصرين . وقلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين . واستركبنا الجند وأذعنا خبر العطاء وأطلقنا بريح الجهاد . ونفير الجلاد . وملأنا الاكف بالسلاح وعمرنا الابراج بالرجال وقرعنا طبول الملك ونشرنا ألوية الحق واستظهرنا بخاصة الامراء اولياء الدعوة وخاطبنا فقيه الربض نخبر خبره . ونسبر غوره . فالفيناه متواريا فى وكره مراعيا دينه مشفقا من الاخطار برمه مشيرا بكمه وتفقدنا البلد فلم نرتب باحد من اهله فلما كملت السمعة وضخمت الجملة انهزنا الجيش ولى امرنا الذى اتخذناه ظهيرا . واستنبطناه مشيرا . والتزمناه جليسا وظهيرا . ولم ندخر عنه محلا اثيرا . الشيخ الاجل ابا سعيد عثمان بن الشيخ ابى زكريا يحيي بن عمر ممهد الرعب بقدومه والسعد فى خدمتنا بخدمه فى جيش كثيف الجملة سابغ العدة مزاح العلة وافر الناشبة فأخذ بباب الربض وشعابه . ولف على اعقابه . وشرع اليه امله ولم يكن الا كلا ولا حتى داسه بالسنابك . وتخلله مجر العوالى ومجرى السوابق وهو الحمى الذى لا يتوعد والمجد الذى لا يغرب فلولا تظاهر مشيخته بشمار السلم واستظلالهم بظلال العافية لحصلت الفاقرة ووقعت له الدنية ففر الاعداء لاول وهلة واسلموا شقيهم اذل من وتد فى قاع . وسلحفة فى أعلى يفاع . فتقبض عليه واخذت الخيل اعقاب الغدرة اشياعه وقيد الينا يرسف قبل العقد فى قيد الهزيمة ثعلبان مكيدة وشكية ضلال ومظنة فضيحة واضحوكة سمر فتقرع بين ايدينا واخذته الملامة وعلاه الخزى وتل الى المطبق حتى نسترعى حكم الله فى جرمه . ونقتضى الفتيا فى جريرته ونختار فى اقسام ما عرضه الوحى من قتلته وهدأت النائرة والحمد لله من يومها . واجتثت شجرة الخلاف من اصلها . فالحمد لله الذى اتم نوره ولو كره الكافرون . (ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون)

وماذا رابهم منا اصغر الله منقلبهم واخزى مردهم واستاصل فلكهم . أو لا يتناء الامر وراثة ثم عوده الينا طواعية ثم دفعنا وطأة العدو وحربه ومدنا ظلال الامن دفعة وابقاءنا الثغر حين لم يجدوا حيلة الا ماعرفوا من امنة وبلوا من حيطة ومسوغ من هدنة وانسحب فوق آمالهم وحريمهم من عفة وظهر علينا من نعمة . ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شئ في الارض ولا في السماء . اللهم ألبسنا سريرتنا وعاملنا بدخلتنا فيهم وان كنا اردنا لجماعتهم شراً وفي ذمتهم اغماضا عن العدل فيهم فعاملنا بحسب ما تبلوه مما عقدنا وتستكشفه من نيتنا وان كنت تعلم صحة مناصحتنا لسوادهم واستنفادنا الجهد في اتاحه عافيتهم وروم صلاحهم وتحقيق آمالهم فصل لنا عادة صنعك فيهم وسهل لنا طاعتهم واهدبنا جماعتهم يا أرحم الرحمين .

ولما اسفر صبح هذا الصنع عن حسن العفوا واستقررنا على التي هي ازكي وظهر لنا لاتخاف بالله دركا ولا تخشي وأن سبيل الحق انجى ومحجته احجى . خاطبنا كم بحلول نعم الله فيكم . ونشر تقوى الله بناديكم . وعنايته لدينا ولديكم . والله يهدي طرف صنعه الجميل من قبلنا اليكم . ليكسبكم اعتبارا . فترجو لله وقارا . وتزيدوا يقينا واستبصارا . وتصغو القول من اختار لكم اختياراً . وهو حسبنا ونعم الوكيل . والله يصل سعدكم . ويحرس مجدكم . كتب في كذا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

﴿ الجهاد في شعبان من عام سبعة وستين وسبعمائة ﴾

اقتضى نظر الحزم ورأى الاجتهاد للاسلام إطلاق الغارات على بلاد الكفره من جميع جهاة المسلمين فعظم الأثر وشهر الذكر واكتسحت الماشية والتحم السيف وكان ثغر بطرنة الفائزة به يد الكفرة لهذه السنين

القريبة قد رجفت له القلوب وشغل النفوس واضاق الصدور لافتراق مدينتي مالقة ورندة بحيث لايخلص الطيف ولاتبلغ الرسالة من الطير وغيرها الى ناحية العدو واغاثة من فيها من المسلمين فوقع العمل على قصده واستعانة الله عليه واستنفر لمنازلته أهل الجهات القريبة من مالقة ورندة وما بينهما ويسر الله فتحه بعد قتال شديد وحرب عظيمة وجهاد شهير واستولى المسلمون عليه فامتلأت أيديهم اثاثاً وسلاحا ورياشاً وآلة وظهرت للحين مساجده . وزينت بكلمة الله مشاهده . وأنست بالمؤمنين معاهده . ورتبت فيه الحماة والرماة . والفرسان الكماة . واتصلت بفتحه الايدى وارتفعت العوائق . ووضحت بين المسلمين واخوانهم الطرائق . والحمد لله . وتوجهت بفتحه الرسائل . وعظمت المنن الجلائل . وفر العدو لهذا العهد عن حصن السهلة من حصون الحفرة النويشية وسد الطريق المائلة وذلك كله فى العشر الأول لشعبان من هذا العام ثم احتل المسلمون فى رندة فى أخرياته بزغة وعادوا جيرة فاستنزلوا أهلها وافتتحوها فعظمت النعمة واطرد الفتح واتسعت الجهة .

وكان مما خوطبت به الجهة المرينية من املائى . المقام الذي نبشره بالفتح ونحييه . ونعيد له خبر المسرة بعد أن نبديه . ونسأل الله أن يضع لنا البركة فيه . ونشرك مساهمته فيما نهزه من أغصان الدهور ونجنيه . ونعلم أن عزة الاسلام وأهله أسنى أمانيه . وإعانتهم أهم مايعنيه . مقام محل أخينا الذى نعظم قدره . ونلتزم بره . ونعلم سره في مساهمة المسلمين وجهره . السلطان الكذا ابقاه الله خالصة فى عمل الجهاد نيته . متكفلة بنشر كلمة الله طويته . متممة من ظهور الدين الحنيفى أمنيته . معظم جلاله ومجزل ثنائه . ومؤمل عادة احتفاله بهذا الوطن الجهادى واعتنائه . أيد الله أمره . وأعز نصره . سلام كريم عليكم

ورحمة الله وبركاته . أما بعد حمد الله واصل سبب الفتوح . ومجزل مواهب النصر الممنوح . ومؤيد الفئة القليلة بالملائكة والروح . والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيه الآتي بنور الهدى بيّن الوضوح . الداعي من قبوله ورضوانه الى المنهل المورود والباب المفتوح . والرضى عن آله وأصحابه أسود السروج وحملة السروح . والمقتفين نهجه فى جهاد عدو الله بالعين القارة والصدر المشروح . والدعاء لمقامكم العلى بالعز الرفيع الصروح . فانا كتبنا اليكم كتب الله لكم سبوغ المواهب . ووضوح المذاهب . وعزة الجانب . وظفر الكتائب . من حمراء غرناطة حرسها الله ونعم الله واكفة السحائب . كفيلة بنيل الرغائب . والله يصل لنا ولكم عوارف اللطائف ويجعل الشهيد دليلا على الغائب . والى هذا اوصل الله اعزازكم . وحرس أحوازكم . وعمر بالحقيقة من المراد مجازنا ومجازكم فانا بادرنا تعريفكم بما فتح الله علينا من الثغر العزيز على الاسلام . العائد رزؤه الفادح على عبّاد الاصنام . ركاب الغارات . وجباة المضرات . ومخيفى الطريق السابلة . والمساكن الآهلة . حصن بزغة وبما يسر الله فى استرجاعه . مع شهرة امتناعه . وقد تطهر من دنس الكفار . وأنيرت مآذنه بكلمة الشهادة الساطعة الانوار . وكتبنا ذلك على حين وضعت فيه الحرب أوزارها . ووفت الاوتار أوتارها . فسار الكتاب اليكم وأجير الاجر لم يجف عرقه . وعذر الاستعجال لاحبة طرقه . وعدنا الى حضرتنا بعد ما حطناه وعمرناه . وأجلنا نظر الحزم وفرقناه . ولم تكد البنود لمسرة فتحه ان تعاد الى أماكن صونها . مرتقبة عادة الله فى عونها . حتى طرقت الانباء السارّة بتوالى الصنع وانفراده . بتشفيع افراده . وذلك ان أهالى رندة حرسها الله نافسوا جيرانهم من أهل مالقة كان الله لجميعهم وشكر حسن صنيعهم . فيما كان من امتيازهم بحصن بزغة الجار المصاقب لها

لحميت هممهم السنية . وهانت في الله موارد المنية . وتضافروا في العمل وفي النية . وظهر نجح المقاصد الدينية . في اتاحة الفتوحات الهنية . فوجهوا نحو حصن وصبر[1] وهو الكائن بين ثغر المدينة ونحرها . والعدو الذى لا يفترعن ضرها . والحية الذكر التى هى مروة أمرها . ففتحوه بعون الله وقوته . وتهنوا بعده بسلوك الطريق . واتساع الزيق . وفر أسد الحرس . ومحيلو الجرس . وانصرفوا الى حصن باغة من مشاهد تلك الحضرة فناشبوه القتال . وأذاقوه الوبال . وفوقوا اليه النبال . ففتحه الله فتحاً مبيناً لم تفت فيه للمسلمين نفس . ولا تطرق لنصر التيسير لبس . فقابلنا بالشكر هذه النعم المتوالية . والمنن المتقدمة والتالية . وأعدنا الاعلام الى مراكزها المشرفة المراقب . والطبول الى قرعها عملا من الاشارة بالواجب . وشكرنا الله على اتصال المواهب . ووضوح المذاهب . وخاطبنا مقامكم الذى يرى الصنائع متواترة بنيته الصالحة وقصده . ويعتز فى الحرب والسلم بجده . علما بان هذه المسرات نصيبكم منها النصيب الاوفى . وارتياحكم الى مثلها لا يخفى . ونحن نرتقب ما تجلى عنه هذه النكايات التى تفتت كبد العدو وتتاليها . وتوزع أحوازه وما يليها . ولا بد له من امتعاض يروم به صرح المعرة . ويأبى الله أن ذلك يأتى بالكرة . والله يجعلها حركات لحتفه المرقوب . وحينه المجلوب . ويحقق خفق القلوب . الى نصره المطلوب . وعرفناكم بما نريد عملا بواجب بركم . ومعرفة بقدركم . وما يتزايد نعرفكم به . ويتصل سبب التأكيد والتعجيل بسببه . والسلام .

﴿ الغزاة الى حصن آش ﴾

وفى أوائل شهر رمضان بعده أعمل السلطان الحركة السعيدة الى حصن

(١) كذا بالاصل

آش وهو قبل الثغر الذى فضه الطاغية وسوره الذى جدعه الكفر وجارحه المحاق على البلاد المتحكم لولا فضل الله فى الاموال والاولاد . فتأذن الله برد مغتصبه . والشفاء من وصبه . وأحاط به وناصبه الحرب ففتحه الله على يده عنوة على سمو ذروته . وبعد صيته وشهرته . واختيار الطاغية فى حاميته بعد حرب لم يسمع بمثلها فاز بمزية الحمد فيها السلطان لمباشرته اياها بنفسه وحمل كلفها فوق كاهله وايقاد ماخمد من الحمية بتحريضه . ثم لما كان بعد الفتح من استخلاص القصبة وسد ثلمها بيده ومصابرة حر القيظ عامة يومه فحاز ذكرا جميلا وحل من القلوب محلا أثيراً ورحل بعد أن أسكن بها من الفرسان رابطة متخيرة ومن الرماة جملة وخلف سلاحا وعدة فكان الفتح على المسلمين فى هذا المعقل العزيز عليهم جميلا . والمن من الله جزيلا . والصنع من الله كثيراً . وصدرت المخاطبة للمغرب بذلك على الاسلوب المرسل الجلي . من السجع المليّ

❊ الغزاة المعملة الى اطريرة ❊

فى شهر شعبان من عام ثمانية وستين وسبعمائة كانت الحركة الى مدينة اطريرة وبلدة تلك الناحية الآمنة فى مهاد الهدنة البعيدة عن الصرمة جرى اليها بعد المدا . وأنزلها بمحض الردى . من بين بلاد العدا . ما أسلفت يدأهلها المسلمين من قتل أسراهم فى العام قبله فنازلها السلطان أول رمضان وناشبها الحرب واستباح المدينة وربضها عنوة ونجا أهلها الى قصبتها المنيعة ذات الابراج المشيدة وأخذ القتال بمخنقهم واعان الزحام على استنزالهم فاستنزلوا على حكم المسلمين بعالم يتقدمه عهد ولا اكتحلت به فى هذه

المدة عين ولا تلقته عنها أذن وملئت أيدى المسلمين بما لم يعلمه الا الله من أسباب الغنى وأنواع الفوائد واقتسم الناس السبى ربعاً على الاكفال والظهور وتقديرا بقدر الرجال وحملا فوق الظهور واردافا للفرسان وعمرانا للسروج والاعضاد بالصبية وبرز الناس الى ملاقاة السلطان فى أبهة من العز والفخر وبعيد من الصيت قرت به أعينهم وقعد لبيعتهم أياما تباعا وملئت البلاد هدايا وتحفاً والحمد لله . وصدرت المخاطبة فى ذلك الى السلطان بالمغرب من الكلام المرسل من انشائى

﴿ الغزاة الى فتح جيان ﴾

وفى آخر محرم من عام سبعة وستين وسبعمائة كانت الحركة الكبرى الى مدينة جيان احدى دور الملك ومدن المعمور وكرسى الامارة ونسيجة المنوال المفرد فتحها الله عنوة ونفل المسلمين ما اشتملت عليه من النعم والاقوات والاموال والانعام والثياب والدواب والسلاح ومكنهم من قتل المقاتلة وسبى الذرية وتخريب الديار ومحو الآثار .واستياق النعم وقطع الاشجار .وهذا الفتح خارق يتعالى أن يحيط به النظم والنثر فذكره أطير * وفخره أشهر *

وصدرت فى ذلك المخاطبة من املاءى الى ملك المغرب وأصاب الخلق عقب القفول من هذه الغزاة مرض وافد فشا فى الناس كافة وكانت عاقبته السلامة وتدارك الله بلطفه فلم يتسع المجال لانشاد الشعر * ومواقف الاطراء * المشغل عن ذلك *

﴿ الغزاة الى مدينة أبدة ﴾

وفى أوائل ربيع الاول من هذا العام كان الغزو الى مدينة أبدة واحتل بظاهرها جيش المسلمين وأبلى السلطان فى قتالها وقد أخذت بعد جارتها جيان

واستمد بما فى الوسع والقوة وكانت الحرب بها مشهورة وافتتحها المسلمون وانتهبوها واعفوا مساكنها العظيمة البناء وكنائسها العجيبة المرأى والصقوا أسوارها بالثرى ورأوا من سعة ساحتها وبعد أقطارها وفخامة بنائها ما يكذب الخبر فيه المرأى ويبلد الافكار ويحير النهى * ولله الحمد على آلائه التى لاتحصى وقفل المسلمون منها وقد أخربوها بحيث لاتعمر ربوعها * ولا تؤلف حجورها وجموعها* وصدرت المخاطبة بذلك الى صاحب المغرب من انشاءى بما نصه *

والى هذا العهد جرت الحادثة على ملك قشتالة بطرة بن أدفونش بن هرانده بن شانجة وهو الذى يتهيأ به الكثير من الصنع للمسلمين بمزاحمة أخيه لذريق فى الملك وتضييقه عليه . وانحياز سبعة من كبار أصحابه وأهل ملته اليه . وافتقار بطرة المذكور الى اعانة المسلمين واجلابهم على من آثر طاعة ضده فانهزم بظاهر حصن منتيل ومعه عدد من فرسان المسلمين ولجأ الى الحصن على غير أهبة ولا استعداد فاخذ أخوه الذى هزمه بمخنقه وأدار على الحصن البنا وفرّ جيش المحصور فاجتمع فله باحواز أبدة وراسلوا المسلمين فى مظاهرتهم على استنقاذهم فتوجهت الفتيا بوجوب ذلك ووقع الاستنفار والاحتشاد حرصا على تخليصه * ليسبب بقاؤه بقاء الفتنة التى تستأصل الكفر واشتغال بعض العدو ببعضهم *

وفى أثناء هذه المحاولة تباطأ الخائن المحصور عن معه وبعد عليه الخلاص من ورطته ومساهمة المسلمين اياه فى محنته وانقطعت عنه الانباء والفرج عن كربته فدخل بعض أمراء أخيه وظفر به ممن يباشر حصاره وكان قومسا شهيرا من المدد الذى ظاهره من أهل افرنسية ووعده بكل مايطمع من مال وعهد. وتوفية عهد

فاظهر له القبول وأضمر الخديعة ولما نزل اليه سجنه ومن لحق به من الادلاء وأمسكه وقد طير الخبر الى أخيه فأقبل فى شرذمة من خواصه وخدامه فهجم عليه وقتله وأوسع العفو من هو محصور معه وطير الى البلاد برأسه ولبس ثياب الحزن من أجله وان كان معترفاً بالصواب فى قتله وخاطب البلاد التى كانت على مثل الجمر من طاعة الجاهر بمظاهرة المسلمين وما جر ذلك من افتتاح بلادهم وتخريب كنائسهم والاتيان على نعمهم فأجابته واتفقت على طاعته فلم يختلف عليه منها اثنان الا ما كان من مدينة قرمونة واجتمعت كلمة النصارى ووقع ارتفاع شتاتهم وصرفوا وجوههم الى المسلمين وشاع استدعاؤهم جميع من بأرض الشرء من المدد والثقل ببرجلونة وأعدوا الاشبونة المدد والثقيل الوطأة بافرنسية وقدكان الله جل جلاله ألهم أهل البصائر النظر فى العواقب والفكر فيما بعد اليوم ووقع لى اذن السلطان المخلى بينى وبين النصائح فى مخاطبة سلطان النصارى المنكوب لهذا العهد فأشرت عليه بالاحتراز من قومه والتفطن لمكائد من يحطب فى حبل أخيه وأريته اتخاذ معقل يحرز ولده وذخيرته ويكون له به الخيار على ظهره واستظهرت له على ذلك بالحكايات المتداولة والتواريخ المعروفة لتنصل الفتنة بارضهم فقبل الاشارة وشكر النصيحة واختار لذلك مدينة قرمونة المختصة بجوار المكتب من دار ملكهم اشبيلية فشيد هضابها وحصن اسوارها وملأ المخازن طعاماً وعدة واستكثر من الآلة واستظهر عليها بالثقات ونقل اليها المال والذخيرة وشحن بها رهان اكابر اشبيلية وأسرى المسلمين وبالغ فى ذلك بما لا غاية وراءه ولا مطمح ولا ينصرف اليها الا من دعى الى مصرعه الذي دعاه القدر اليه حتى تركها عدة خلفه واودع على ولده وأهله بعضا من خدامه ممن لا يقبل مصادقة ضده وأمان عدوه والتفوا على صغير من ولده

كالنحل على شهده ولجأوا الى المسلمين فبغض اليهم الكرة والفتح بقاء هذا الشجا المعترض فى حلقه واهمه تغيير أمره وجمجم به المسلمون لاجله وأظهروا لمن انحاز بقرمونة الامتساك بعهده فعظم الخرق وأظهر الله نجح الحيلة وصدق بها المخيلة وتفتر الامر وخمدت نار ذلك الارجاف واشتغل الطاغية بقرمونة بخلال ما خوطب به صاحب الارض الكبير يطمعه فى المظاهرة وخطب له ملك قشتالة وعقد سلم صاحب برتغال والافرنسة ونشأت الفتنة بارضهم وخرجت عليهم الخوارج فأوجب ازعاجه الى تلك الجهة وفرار من بالبلاد المجاورة للمسلمين من الفرسان والحماة تقاتل وتدافع عن أحوازها وجعل الخصص[1] مواجهة قرمونة وانصرف الى سد الفتوق التى علت بلطف الحيلة ببواطن أرضه وأحشاء عمالته وصار فى ملكه أشغل من ذات النحيين فأمكن الغدر وانتهز الغرة واستوفق الحركات فكانت الى حصن قنبيل والحائر ففتحهما الله فى رمضان من عام سبعين وسبعمائة ثم الى ثغر روضة ففتحه الله بعد جهد كبير واتصل به حصن قرة فأمن الاسلام عادية العدو بتلك الناحية وكبس أهل رندة بايعاز من السلطان اليهم والى من بالجبل جبل الفتح حصن برج الحكيم والقشتور فيسر الله فتحهما فى رمضان ايضاً . ثم كانت الحركة الى الجزيرة الخضراء باب الاندلس وبكر الفتح الاول فكانت الحركة اليها فى شهر ذى حجة من العام المذكور . ووقع تحريض الناس بين يدى قصدها فى المساجد بما نصه .

معاشر المسلمين المجاهدين . وأولى الكفاية عن ذوى الاعذار من القاعدين . أعلى الله بعلو أيديكم كلمة الدين . وجعلكم فى سوى الاجر والفخر من الزاهدين . اعلموا رحمكم الله أن الاسلام بالاندلس دار الجزيرة الخضراء

(١) كذا بالاصل

بابه . ومسود مقله والجزيرة الخضراء ركابه . فمن جهتها اتصلت فى القديم والحديث أسبابه . ونصرته على أعدائه وأعداء الله أحبابه . ولم يشك العدو الكافر الذي استباحها . وطمس بظلمة الكفر صباحها . على أثر اغتصابها واسوداد الوجوه المؤمنة لمصابها وتبديل محرابها . وعلوق أصله الخبيث في طيب ترابها . أن صريع الدين الحنيف . بهذا الوطن الشريف . لا ينتعش ولا يقوم . بعد أن فرى الحلقوم . وأن الباقى رمق يذهب . وقد سد الى التدارك المذهب . لولا أن الله دفع الفاقرة ووقاها . وحفظ المساكن واستبقاها وان كان الجبل عصمه الله نعم البقيـة . وبمكانه حقت التقيـة . فحسبكم من مصراع باب فجع بثانيه . ومضائق جوار حيل بينـه وبين أمانيه . والآن ياعباد الله قد أمكنكم الانتهاز فلا تضيعوا الفرصة . وفتر المخنق فلا تسوغوه غصه . واعمروا المواطن بحمية الاحرار . وتعاهدوا مع الله معاهدة الاولياء الأبرار . وانظروا للعجزة من الذراري والابكار . والناشئات الصغار . زغب الحواصل في الاوكار . والدين المنتشر بهذه الاقطار . واعملوا للعواقب تحمدوا عملكم . وأخلصوا لله الضمائر يبلغكم من فضله أملكم . فما عذر من استسلم في وكره . وماذا ينتظر من أذعن لكيد عدوه ومكره . من هذه القرية دخل الاسلام تروع أسوده . ومن هذه الجهة طلع الفتح الاول تخفق بنوده . ومنها يقتحم الطير الغريب اذا رامت الجواز وفوده . فيبصر بها صافات والدليل يقوده . الباب المسدود ياعباد الله فافتحوه . ووجه النصر تجلى ياعباد الله فالحوه . الداء العضال ياعباد الله فاستأصلوه . حبل الله يارجال الله قد انقطع فصلوه . في مثلها ترخص النفوس الغالية . في مثلها تحترز الهمم العالية . في

مثلها تشهر العقائد الوثيقه . وتدس الاجباس الطريقة . فنضر الله وجه من نظر الله الى قلبه وقد ملأته حمية الدين . وأصبح لأن تكون كلمة الله هى العليا متهلل الجبين

اللهم إنا نتوسل اليك باسرار الكتاب الذي أنزلت . وعناية النبي العربي الذي أرسلت . وبما أوفدت من خصوص الرحمات وأجزلت . وبكل ولي ركع لوجهك الكريم وسجد . الا ماردت علينا ضالتنا الشاردة . وهنأتنا بفتحها من نعمك الواردة . يامسهل المآرب العسرة . ياجابر القلوب المنكسرة . ياولي الأمة الغريبة يا منزل الالطاف القريبة . اجعل لنا من ملائكة نصرك مددا . وأنجز لنا من تمام نورك موعدا . ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا

فوقع الانفصال وانتشرت الحمية وجهزت الاساطيل وكانت منازلتها يوم السبت الثالث والعشرين من الشهر المذكور

وعاطاها المسلمون الحرب فدخلت ألبة وهى المدينة الملاصقة لها عنوة قتل بها من الفرسان الدارعة عدة وصرفت الغنائم الي المدينة الكبرى فرأوا من أمر الله مالا طاقة لهم به وخذلهم الله جل جلاله على منعة الاسوار وطلبوا الأمان لانفسهم وكان خروجهم عنها يوم الاثنين الخامس والعشرين من الشهر المذكور . السعيد على المسلمين بالعيد والسرور . ولله الحمد على آلائه . وتوالى النعمة وارغام أعدائه .

وفى وسط ربيع الاول من عام أحد وسبعين وسبعمائة أعمل الحركة الى أحواز إشبيلية دار الملك ومحل الشوكة الحادة وبها نائب سلطان النصارى في الجمع الحشن من أنجاد فرسانهم وقد عظم التضييق على بلدة قرمونة المنفردة بالأثر بالإنتزاء على ملك النصارى والانحياز الى خدمة المسلمين فنازل المسلمون

مدينة أشبونة ودخلوا جفنها عنوة واعتصم أهلها بالقصبة فتعاصت واستعجل الاقلاع عنها لعدم الماء المروى للمحلات فكان الانتقال قدما الى مدينة مرشانة فاحدقوا بها وبها العدة والعديد من الفرسان الصناديد ففتحها الله سبحانه الا القصبة واستولى المسلمون فيها وفي جارتها من الدواب والآلات على مالا يأخذه الحصر وقتل الكثيرون من مقاتلتها وعم جميعها الهدم والاحراق ورفعت ظهور دواب المسلمين من طعامها مما تقله أظهر مراكب البحار ما أوجب في بلاد المسلمين التوسعة وانحطاط الاسعار . وأوجب الغلاء في بلاد الكفار . وقفل والحمد لله في عز وفرح وسرور .

﴿ مولده السعيد النشأة . الميمون الطلعة والجيئة ﴾

المقترن بالعافية منقولا من تهليل نشأته المباركة . وحرز طفوليته السعيدة في ثلث ليلة الاثنين والعشرين من جمادى الآخرة عام تسعة وثلاثين وسبعمائة

قلت ووافقه[1] من التاريخ العجمي رابع يناير من عام ألف وثلثمائة وسبعة وسبعين لتاريخ الميلاد واقتضت صناعة التعديل بحساب إقليدس وبطليموس أن يكون الطالع ببرج القمر لاستيلائه على مواضع الاستقبال المتقدم للولادة ويكون التخمين على ربع ساعة وعشر ساعة وثلث عشر الساعة السادسة من ليلة الاثنين المذكورة والطالع في برج السنبلة خمس عشرة درجة وثمانية وأربعون دقيقة من درجة كان الله له في الدنيا والآخرة وحسبنا الله ونعم الوكيل

﴿ محمد بن يوسف بن محمد بن احمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجي شهر بالانصاري ﴾

من ولد سعد بن عبادة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بن سليمان

(١) كذا في الاصل وفي توافق التاريخين نظر .

ابن حارثة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمر بن يعرب ابن يشجب بن قحطان بن هميسع بن يمن بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم . صلى الله عليهما وعلى محمد الكريم . أمير المسلمين بالأندلس ودائلها . يكني أبا عبد الله ويلقب بالغالب بالله

﴿ أوليته ﴾

قد اشتهر عند كثير ممن عني بالاخبار أن هذا البيت النصري من ذرية سعد بن عُبادة سيد الخزرج صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وصنف الناس فى اتصال نسبهم بسعد بن عبادة غير ما تصنيف . وأقوى ما ذكر قول الرازي دخل الاندلس من ذرية سعد بن عبادة رجلان نزل أحدهما أرض تاكرونا ونزل الآخر قرية من قرى سرقسطونة تعرف بقرية الخزرج ونشأ باحواز ارجونه من كتبانية قرطبة أطيب البلاد مدرة وأوفرها غلة وهو بلده وبلد جده في ظل نعمة وعلاج فلاحة وبين يدي نجدة وشهرة بحيث اقتضى ذلك أن يفيض شريان الرياسة وتنطوى أقطاره على نيل الامارة .

حدث شيخنا الكاتب الشاعر محمد بن محمد بن عبد الله اللوشي اليحصبي وقد أخبرني بمدينة جيان من أهل المانيا انه كان له فرس أنثى من عتاق الخيل يتنافس بها في اعداد القوة وشهرت هذه الفرس في تلك الناحية وبعث الطاغية ملك الروم في ابتياعها فعلقت بها كف هذا الرجل وآثر بها نفسه وازداد غبطة بها ورأى في النوم قائلا يقول له سر الى أرجونه بفرسك وابحث على رجل أسمه كذا ونعته كذا وأعطها إياه فانه يسلمك عليها جيانا وسواها ينتفع بها عقبك فارجأ الامر فعرض عليه ثانية وحث على ذلك في الثالثة فسأل ثقة له خبيراً بتلك الناحية

وأهلها فقال له المخبر وكان يعرف بابن يعيش فوصفه له فتوجه الفقيه الى ارجونه ونزل بها وتسومع به واقبل السلطان وأظهاره وتكلموا في شأنه فذكر غرضه فيه وأظهر العجز وظهر وسأل منه تأخير بعض الثمن فاسعفه واشترى منه الفرس بمال له خطر فلما كمل له القصد طلب منه الخلوة به في المسجد من الحصن وخرج له عن الامر وأعطاه بيعته وصرف اليه الثمن واستكتمه السلطان خيفة على نفسه وانصرف الى بلده ٠

قال وفي العام بعده دعا الى نفسه بارجونة وتملك مدينة جيان ٠ واختلف فى السبب الذي دعاه الى ذلك فقيل ان بعض العمال أساء معاملته في حق مخربى[٢] وقيل غير ذلك

﴿ حاله ﴾

كان هذا الرجل آية من آيات الله في السذاجة والسلامة والجمهورية جنديا ثغريا شهما أيداً عظيم التجلد رافضاً للدعة والراحة مؤثراً للتقشف والاجتزاء باليسير متبلغا بالقليل بعيداً من التصنع جافي السلاح شديد العزم مرهوب الاقدام عظيم التشمير محتقراً للعظيمة مصطنعاً لأهل بيته فضاً في طلب حظه حاميا لقرابته وأقرانه وجيرانه مباشراً للحروب بنفسه تتغالى الحكايات في سلاحه وزينة ديابوزه يخصف النعل ويلبس الخشن ويؤثر البداوة ويستشعر الجد في أموره لسعد يوم الجمعة وكان فيه تملكه جيّان ثم حضرة الملك غرناطة وقيل يوم قيامه شرع فيه الصدقة الجارية على ضعفاء الحضرة وزمناهم الى اليوم وتملك مدينة اشبيلية في أخريات ربيع الأول من عام ظهوره وهو عام تسعة وعشرين وستمائة نحواً من ثلاثين يوما وملك قرطبة في العشر الاول لرجب من العام

المذكور وكلاهما عاد الى ملك ابن هود.

ولما تم له القصد من تملك البيضة والحصول على العمال باشر الحسابات بنفسه فتوفر ماله وغصت بالصامات خزائنه وعقد السلم الكبير وتهنا أمره وأمكنه الاستعداد فسكن الاهواء وملك بطن الجبل المتصل بقلعة جيوبا فملأ خزائن دوره مالا وسلاحا وراية وظهراً وكرائم فوجد فائدة استعداده. ولجأ الى ما اعتده من عتاده .

سيرته

تظاهر لأول أمره بطاعة الملوك بالعدوة وأفريقية فخطب لهم زمنا يسيراً وتوصل بسبب ذلك الى امداد منهم واعانة. وقيل أول ما افتتح أمره به الدعاء للمستنصر العباسي ببغداد حاذيا حذو سميه ابن هود لتهجع العامة في وقته بتقليد الدعوة الى أن نزع عن ذلك .

وكان يعقد للناس مجلساً عاما في كل أسبوع فترفع اليه المظلمات. ويشافه طلاب الحاجات وتنشده الشعراء وتدخل عليه الوفود ويشافه أرباب النصائح في مجلس اختص به أهل الحضرة وقضاة الجماعة وأولو الرتب النبيهة بالخدمة بقراءة أحاديث من الصحيحين ويختم بالاعشار من القرآن ثم ينتقل الى مجلس خاص به ينظر فيه في أمور أخرى فيصرف كل قصد الى ما يليق به ذلك ويؤا كل بالعشيات خاصته من القرابة وما يليهم من نبهاء القواد .

أولاده

أعقب ثلاثة من الذكور محمداً ولي عهده وأمير المسلمين على أثره والامير أبا سعد فرجا وأبا الحجاج يوسف توفيا على حياته حسبما يتقرر بعد إن شاء الله .

﴿ وزراء دولته ﴾

وزر له جماعة الوزير أبو مروان عبد الملك بن يوسف بن ضاديره واستوزر علي بن ابراهيم الشيباني من وجوه حضرته وذوي النسب من الفضلاء أولي الديانة والوقار . واستوزر الرئيس أبا عبد الله بن الرئيس أبي عبد الله الدهمي . واستوزر الوزير أبا يحيي بن الكاتب من أهل حضرته وغيرهم ممن تبلغ الشهرة مبلغا فيهم .

﴿ كتّابه ﴾

كتب له من الجلة جماعة كالكاتب المحدث الشهير أبي الحسن علي بن محمد ابن محمد بن سعيد اليحصبي اللوشي ولما توفى كتب عنه ولده أبو بكر محمد . هؤلاء مشاهير كتابه . ومن المدرسين أعلام كابي بكر بن خطاب وغيره .

﴿ قضاته ﴾

ولى له قضاء الجماعة القاضى العالم الشهير أبو عامر يحي بن عبد الرحمن ابن ربيع الاشعرى من جلة أهل الاندلس فى كبر البيت وجلالة المنصب وغزارة العلم . ثم ولي بعده الفقيه أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن عبد الجليل ابن غالب الانصارى الخزرجي . ثم ولى بعده أبو عبد الله محمد بن محمد بن ابراهيم ابن عبد السلام التميمي وهذا الرجل من أهل الدين والأصالة وآخر قضاة العدل . ثم ولى بعده الفقيه القاضى أبو عبد الله محمد بن عياض بن موسى اليحصبي . ثم ولى بعده الفقيه القاضي الحسيب أبو عبد الله بن أضحى وبيته شهير . ثم ولى بعده آخر قضاته أبو بكر محمد بن فتح بن على الاشبيلي الملقب بالاسبرون .

﴿الملوك على عهده بالمغرب﴾

بمراكش ادريس مأمون الموحدين مزاحما بأبي زكريا يحيي بن الناصر ابن المنصور بن عبد المؤمن بالجبل . ولما توفي المأمون ولى الرشيد أبو محمد عبد الواحد في سنة ثلاثين وستمائة وولى بعده أبو حفص عمر بن اسحاق المرتضى الى ان قتله ادريس الواثق أبو دبوس فى عام خمسة وستين وولى بعده يسيرا بنو عامر بمراكش وتعاقب منهم على عهده جلّة كالامير عثمان وأبي حمو وأخيه أبي يحي بن عبد الحق واستقر الملك فى أسن أملاكهم أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق بن محيو الى آخر أيامه

وبتلمسان يغمراسن بن زيان أول ملوكهم وتقدمه أخوه الاكبر منه برهة ويغمراسن أول من أثل الملك وحاز الذكر واستحق الشهرة

وبتونس الامير أبو زكريا يحيي بن عبد الله بن أبي حفص وخاطبه السلطان المترجم به والتمس رفده وقد حصل على إعانته وولى بعد موته ولده المستنصر أبو عبد الله ودامت أيامه الى أول أيام ولد السلطان المترجم به والتمس رفده وقد حصل على إعانته عام أربعة وسبعين .

وبقشتاله هراندة بن الهنشة بن شانجة وهرانده هو الذي ملك قرطبة واشبيلية ولما هلك ولى بعده الفنش ولده ثلاثا وثلاثين سنة واستمر ملكه مدة ولايته وصدرا من دولة ولده بعده .

وبأرغوان جايمش بن بطارة بن الفنش قمط برشلونه وجايمش هذا هو الذي ملك بلنسية وصيرها دار سلطانه من يد أبي جميل زيان بن مردنيش .

﴿لمع من أخباره﴾

قام ابن أبي خالد بدعوته وهو بغرناطة كما ذكر باسمه ودعاه وهو بلحيان

فبادر اليها في عام خمس وثلاثين وستمائة بعد أن بعث اليه الملأ من أهلها ببيعتهم مع رجلين من مشيختهم أبي بكر بن الكاتب وأبي جعفر النيزولي .

قال ابن عذاري في تاريخه أقبل ومازيه بفاخر ونزل عشية اليوم الذي وصل بخارج غرناطة على أن يدخلها من الغد ثم بدا له فدخلها عند غروب الشمس نظراً للحزم

وحدث أبو محمد البسطي قال عاينته يوم دخوله وعليه شاشية ملفّ مصلعة اكتافها محرقة وعند ما نزل بباب جامع القصبة كان مؤذن المغرب في الحيلة وامامه يومئذ أبو المجد المرادي قد غاب فدفع الشيخ السلطان الى المحراب فصلى بهم على هيئته تلك بفاتحة الكتاب واذا جاء نصر الله والثانية بقل هو الله أحد ثم وصل قصر باديس والشمع بين يديه .

وفي سنة ثلاث وأربعين وستمائة صالح طاغية الروم وعقد معه السلم الذي ضاعت في شروطه جيان وأوقع فيها بالعدو الواثب تجاه حضرته المختص بحصن بلش على بريد من الحضرة وكان الفتح عظيما ثم حالفه الصنع بما يضيق المجال عن استيفائه .

وفى حدود اثنين وستين وستمائة صالح طاغية الروم وعقد معه السلم وعقد البيعة لولي عهده واستدعي القبائل للجهاد .

﴿ مولده ﴾

في عام خمسة وتسعين وخمسمائة بأرجونة عام الاراكة .

﴿ وفاته ﴾

في منتصف جمادى الثانية من عام أحد وسبعين وستمائة وورد عليه وقد أسن

جملة من كتائب الزعائم يقودون جيشا خشنا من اتباعهم فبرز الى لقائهم بظاهر حضرته ولما كر آيبا الى قصره سقط ببعض طريقه وخامره خصر وهو راكب وأردفه بعض مماليكه واسمه صابر الكبير وكانت وفاته ليلة الجمعة التاسع والعشرين لجمادي الثانية المذكور ودفن بالمقبرة الجامعة العتيقة بسنام الشبيكة وعلى قبره اليوم منقوش ٠

هـذا قبر السلطان الاعلى عز المسلمين والاسلام ٠ فخر الليالى والايام غياث الامة ٠ غيث الرحمة ٠ قطب الملة ٠ نور الشريعة حامي السنّة ٠ سيف الحق ٠ كافل الخلق ٠ أسد الهيجاء ٠ حمام الأعداء ٠ قوام الامور ٠ ضابط الثغور ٠ كاسر الجيوش قامع الطغاة ٠ قاهر الكفرة والبغاة ٠ أمير المسلمين ٠ علم المهتدين ٠ قدوة المتقين عصمة الدين ٠ شرف الملوك والسلاطين ٠ الغالب بالله ٠ المجاهد في سبيل الله ٠ أمير المسلمين ٠ محمد بن يوسف بن نصر الانصاري رفعه الله الى أعلى عليين ٠ وألحقه بالذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ٠

ولد رضى الله عنه ٠ وآتاه رحمة من لدنه ٠ عام خمسة وتسعين وخمسمائة وبويع له يوم الجمعة السادس والعشرين من عام أحد وخمسين وستمائة وكانت وفاته يوم الجمعة[1] بعد صلاة العصر التاسع والعشرين لجمادى الآخيرة عام أحد وسبعين وستمائة فسبحان من لا يفنى سلطانه ٠ ولا يبيد ملكه ولا ينقضي زمانه ٠ لا اله الا هو الرحمن الرحيم ٠

ومن جهة أخري

(١) قوله بويع له يوم الجمعة الخ الذي في تاريخ ابن خلدون في الخبر عن دولة بني الاحمر مانصه وبويع له سنة تسع وعشرين وستمائة اه

هذا محل العلا والمجد والكرم قبر الامام الهمام الطاهر العلم
لله ماضم هذا اللحد من شرف جمّ ومن شيم علوية الشيم
بالجود والباس ماتحوي صفائحه لا بأس عنترةٍ ولا ندي هرم
مَغْنَى الكرامة والرضوان يعهده نخر الملوك جليل الذات والشيم
مقامه في كلا يومى ندي ووغي كالغيث في مجده والليث في أجم
مآثر تليت آياتها سورا تقر بالحق فيها جلة الأُمَم
كأنه لم يسر في محفل لجب تضيق عنه بلاد العرب والعجم
ولم يباد العدا منه ببادرة يفترمنها الهدى عن ثغر مبتسم
ولم يجهز لهم خيلا مضمرة لا تشرب الماء الا من قَليب دم
ولم يقم حكم عدل في سياسته تأوي رعيته منه الى حرم
من كان يجهل ماأولاه من نعم وما حواه لدين الله من حرم
فتلك آثاره في كل مكرمة أبدي وأوضح من نار على علم
لازال تهمي على قبر تضمنه سحائب الرحمة الوكافة الدِّيَمِ

« محمد بن عبد الله بن أبي عامر بن محمد بن عبد الله بن عامر بن محمد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري القحطاني » معظم الظفر وخدن السعد وملقي عصى الجد وديوان فنون السياسة وحجاج الدولة الاموية . في التخوم المغربية الموسوم بالظرف وكمال السجية . والجهاد العظيم الآثار . العريقة في بحبوحة الكفار . رحمه الله تعالي

﴿أوليته﴾

دخل جده عبد الملك الاندلس مع طارق بن زياد وموسى بن نصير في

أول الدخلين الى المغرب وكان له في فتحها أثر جميل والى ذلك أشار مادحه محمد بن حسان بقوله

وكل عدو أنت تهزم جيشه ... وكل فتوح عنك يفتح بابها
وانك من عبد المليك الذي له ... حلا فتح قرطاجنةٍ وانتها بها
حباها أبو مروان جدك قابضا ... بكف تليد طعنها وضرابها
وان سنحت في الشرك من بعد فتحه ... فتوح فمصروف اليك ثوابها

ونزل عبد الملك الجزيرة الخضراء لأول الفتح فساد أهلها وكثر عقبه فيها وتكررت فيهم النباهة وجاوروا الخلفاء بقرطبة وكان والد محمد هذا من أهل الدين والعفاف والزهد في الدنيا والقعود عن السلطان سمع الحديث وأدى الفريضة ومات منصرفا من حجه بمدينة طرابلس المغرب

﴿ حاله ﴾

كان هذا الرجل بكر الدهر . وبيضة العمر . وفرد الخلق في اطراد السعد وتملك العاجل من الحظ حازما داهية مشتملا على أقطار السودد هديا للاقاصي طموحا الى الآمال جوادا مصطنعا للرجال جالبا للاشراف مستميلا للقلوب مطبقا للمفاصل مزيحا للعلل مستبصرا فى الاستبداد خاطبا جميل الذكر عظيم الصبر رحب الذراع طموح الطرف جشع السيف (١)

والمثوبة مهيبا جزلا منكسف اللون مصفر الكف آية الله جل جلاله في النصر على الاعداء ومصاحبة السفر وتولى الصنع .

﴿ نباهته ﴾

قال المؤرخ سلك سبيل القضاة في أوليته مقتفيا آثار عمومته وخؤولته

(١) بياض بالاصل

فطلب الحديث فى حداثته وكتب منه كثيراً ولقى الجلّة من رجاله ثم صحب الخليفة الحكم متحزبا فى زمرته وولى له الاعمال من القضاء والامامة ثم استعفاه فعدل عن سبيله وصار في أهل الحرمة ثم اختصه بخدمة أم ولده هشام فزاد لخاصته بولىّ العهد عزاً ومكانة من السيدة والدته فاحتاج الناس اليه وغشوا بابه فأنساهم من سلف من أصحاب السلطان سعة اسعاف وكرم لقاء وسهولة حجاب وحسن أخلاق فعرض جاهه وساعده الجد لما صار أمر المسلمين اليه فبلغ التي لا فوقها عزاً وشهرة .

﴿ الثناء عليه ﴾

قال وفى الدولة العامرية وأعين محمد على أمره مع قوة سعده بخصال مؤلفة لم تجتمع لمن قبله منها الجود والوقار والجد والهيبة والعدل والأمن وحب العمارة وتثمير المال والضبط للرعية وأخذهم بترك الجدل والخلاف والتشغيب عن غير وهن في دينه وصحة الباطن وشرح كل فصل وجلب كل ما يؤثر عن المنصور فيه

﴿ غزواته وظهوره على أعدائه ﴾

واصل رحمه الله الغزو بنفسه فيما يناهز خمسين غزوة وفتح البلاد وخضد شوكة الكفر وأذل الطواغيت وكسر الصلبان وبلغ الاعماق وضرب على العدو الضرائب الى أن تلاه عظيم الروم بنفسه وأتحفه بابنته (٢) في سبيل الرغبة في صهره فكانت أحظى عقائله وأبرت فى الدين والفضل على سائر أزواجه وعقد اثنى عشر سريراً الى تلقى ملوك الروم القادمين على لثم سريره .

﴿ شعره ﴾

ومما يؤثر من شعره

رميت بنفسي هول كل عظيمة ... وخاطرت والحر الكريم يخاطر

وما صاحبي الا جنان مشيع ... وأسمر خطيّ وابيض باتر

وإني لزجاء الجيوش الى الوغا ... أسود تلاقيها أسود خوادر

وسدت بنفسي أهل كل سيادة ... وكاثرت حتى لم أجد من أكاثر

وما شدت بنيانا ولكن زيادة ... على ما بنى عبد المليك وعامر

رفعنا المعالي بالعوالي سياسة ... وأورثناها في القديم معافر

وبلغ في ملكه أقطار المغرب الى حدود القبلة وبمدينة فاس [1] أثر ولده المقلد فشم تلك الاقطار ونهز أولئك الملوك الكفار .

﴿ دخوله غرناطة ﴾

قال صاحب الديوان في الدولة العامرية وقدم ذكر المنصور قومس [2] الفرنجة بمدينة برشلونة وهذه الأمة أكثر النصرانية جمعا وأوسعها وأوفرها من

---

(١) قوله وبمدينة فاس الخ في ابن خلدون مانصه وأجاز (أي المنصور) ابنه عبد الملك الى ملوك مغرواة بفاس من آل خزر لماسخط زيرى ابن عطية ملكهم لما بلغه من اعلانه بالنيل منه والنغض من ٢ والتأفف لحجر الخليفة هشام فأوقع به عبد الملك سنة ست وثمانين ونزل بفاس وملكها وعقد لملوك زنانة على المغرب وأعماله اه (٢) قوله وقد مر ذكر المنصور الى قوله وقفل المنصور عبارة ركيكة محرفة ولعل حاصلها ماأشار اليه ابن خلدون بقوله ولقى رذمير المسلمين بالثغر في بعض صوائفهم وعظمت نكايته بعد مهلك الحكم المستنصر الى أن قيض الله لهم المنصور ابن أبي عامر حاجب ابنه هشام فأثخن في عمل رذمير وغزاه مرارا وحاصره في سمورة ثم في ليون بعد أن زحف على غرسيه ابن فردلند صاحب البة وظاهر معه البشكنس ثم فغلبهما ظاهرا مع رذمير وزحفوا جميعا للقائه بشنت ماكس فهزمهم واقتحمها عليهم وخربها وتشاءم الجلالقة برذمير وخرج عليهم عمه برمند بن ارزون وافترق امرهم ثم رجع رذمير طاعة المنصور سنة أربع وسبعين اه فليتأمل

الاستعداد وما أوطي من الملوك والبلاد وفتح من القواعد وهزم من الجيوش وقفل المنصور عنها وهو أطمع الناس في استئصالها ثم خصهم بصائفة سنة خمس وسبعين وهي الثالثة عشرة لغزواته وقد احتفل لذلك واستبلغ في النفير واستوفى أتم الابهة وأكمل المدة فجعل طريقه على شرق الاندلس لاستكمال ما هنالك من الاطعمة وسلك طريق أسرة الى بسطه الى تدمير وهزم في هذه الغزاوت بريل ملك افرنجه ونازل مدينة برجلونة فدخلها عنوة يوم الاثنين الذي هو النصف من صفر سنة أربع وسبعين او خمس بعدها.

قلت وفي دخول المنصور بجيشه بلد أسرة ما يحقق دعوى من ادعى دخول المعتمدين من أهل الاندلس لذلك العهد اذ كان يصحب المنصور في هذه الغزوة من الشعراء المرتزقين بديوانه من يذكر فضلاء عن سائر الاصناف على ندرة هذا الصنف من الخدام بالنسبة الى البحر الزاخر من غيرهم

والذي صح أنه حضر لذلك ابو عبد الله محمد بن الحسن الطيبي . أبو الحسن حسين بن الوليد المعروف بابن العريف . أبو الوضاح بن شهيد . عبد الرحمن بن أحمد أبو العلا صاعد بن الحسين اللغوي . أبو بكر زيادة الله بن على بن حسن اليمني . عمر بن النجم البغدادي . أبو الحسن على بن محمد القرشي العباسي . عبد العزيز بن الخطيب المحدود . ابو عمر يوسف بن هارون الزيادي . موسى ابن أبي طالب . مروان بن عبد الحكم بن عبد الرحمن . يحيي بن هذيل المكفوف . سعد بن محمد القاضي . ابن عمرون القرشي المرواني . على النقاش البغدادي . أبو بكر يحيي بن أمية بن وهب . محمد بن اسماعيل الزبيدي صاحب المختصر في اللغة . احمد بن دراج القسطلي متنبي الاندلس . ابو الفرج منيل بن منيل الاشجعي . محمد بن عبد البصري الوزير . احمد بن عبد

الملك بن شهيد . محمد بن عبد الملك بن هجور . محمد بن الحسن القرشي من أهل المشرق . أبو عبيدة حسان بن مالك بن هانئ . طاهر بن محمد المعروف بالمهند . محمد بن مطرف . سعيد بن عبد الله النسترى . وليد بن مسلمة المرادي أعلب بن سعيد . أبو الفضل أحمد بن عبد الوهاب . احمد بن أبي غالب الرصاصي . محمد بن مسعود الباخي . عبادة بن محمد بن ماء السماء . عبد الرحمن ابن أبي فهد . أبو الحسن بن المضيء البجلي الكاتب . عبد الملك بن سهل الوزير عبد الملك بن إدريس الجزيري . قاسم بن محمد الجياني .

قال المؤرخ هؤلاء ما حفظته منهم وهم أكثر من أن يحصوا فعلى هذا ينبنى القياس في ضخامة هذا الملك وانفساح هذا العز.

﴿ وفاته ﴾

توفى رحمه الله منصرفاً عن غزوة قلانس والريد وقد دوخ اقطار قشتالة ليلة الاثنين السابع والعشرين لرمضان عام اثنين وتسعين وثلثمائة وقد عهد أن يدفن ببلد وفاته بعد وصية شهيرة صدرت عنه الى المظفر ولده فدفن بمدينة سالم التى بناها في نحر العدو من وادي الحجارة بقصرها وقبره معروف الى اليوم

وكان قد اتخذ له[1] من غبار ثيابه الذي علاها في الجهاد وعاء كبير رحمه الله

(١) قوله وكان قد اتخذ له من غبار ثيابه الخ عبارة نفح الطيب ومن قوة رجائه انه اعتنى بجمع ما علق بوجهه من الغبار في غزواته ومواطن جهاده فكان الخدم يأخذونه عنه بالمناديل في كل منزل من منازله حتى اجتمع له منه صرة ضخمة عهد بتصييره في حنوطه وكان يحمله حيث سار مع اكفانه توقعاً لحلول منيته اه وفي المعجب ما نصه وكان كلما انصرف من قتال العدو الى الى سرادقه يامر بان ينفض غبار ثيابه التى حضر فيها معمعة القتال وان يجمع ويحفظ به فلما حضرته المنية أمر بما اجتمع من ذلك أن ينثر

وكتب على قبره هذا الشعر .

آثاره تنبيك عن أخباره حتى كأنك بالعيون تراه

تالله لا يأتي الزمان بمثله أبداً ولا يحمي الثغور سواه

﴿ محمد بن عباد بن محمد بن اسماعيل بن محمد بن اسماعيل بن قريش بن عباد بن عمر بن أسلم بن عمر بن عطاف بن نعيم اللخمي ﴾

﴿ أوليته ﴾

دخل الاندلس جده عطاف مع بلج بن بشر القشيري من أشراف الطائفة البلجية وهم من عرب حمص من ارض الشام وموضعه بها يعرف بالعريش في آخر الحفارين بين مصر والشام ونزل عطاف بقرية بقرب تومين من اقليم طشانة [1] على ضفة النهر الاعظم من ارض اشبيلية . ولما هلك قريش ملك السيادة اسماعيل ابنه وهو القاضي المشهور بالفضل والدهاء يكنى أبا الوليد ولى الشرطة الوسطى لهشام بن الحكم وخطة الامامة لصلاة الجمعة ثم خلفه أبو القاسم محمد المنفرد برياسة اشبيلية المتحف فيها بخطط الوزارتين وقضاء المظالم وعز جاهه وكثرت حاشيته وتعددت غلمانه واذعنت له عداته وخلف الامير المعتضد عباد ولده وكان خبيرا حازما سديد الرأى مصنوعاً له فى الاعداء فلما توفى صار الامر الى ولده المترجم به المكنى بأبى القاسم الى حين خلعه

﴿ حاله ﴾

قالوا كلهم كان المعتمد رحمه الله فارساً شجاعاً بطلا مقداماً شاعراً ماضياً

على اكفانه اذا وضع في قبره اه وبذلك يظهر ما فى الاصل من التحريف

(١) قال ابن خلدون ونزل عطاف قرية طشانة شرق أشبيلية ونسل بها بنيه اه

مشكور السيرة في رعيته ٠

وقال أبو النصر في قلائده . كان المعتمد على الله ملكا قمع العدا . وجمع بين البأس والندى وطالع على الدنيا بدرهدى . لم يتعطل يوما كفه ولا بنانه آونة يراعه وآونة سنانه . وكانت أيامه مواسم ٠ وثغوره بواسم اه لقب أولا الظافر ثم تلقب بالمعتمد كلفا بجاريته اعتماد لما ملكها لتتفق حروف لقبه وحروف اسمها لشدة ولوعه بها ٠

﴿ وزراؤه ﴾

ابن زيدون وابن عمّار وغيرهما ٠

﴿ أولاده المملكون ﴾

عبيد الله يكنى أبا الحسن وهو الرشيد وهو الذى لم يوافق أباه على استصراخ المرابطين وعرض له بزاول الملك عنهم بذلك فقال رعي الابل خير من رعى الخنازير[1] وكان قد ولاه عهده وبويع له باشبيلية وهو المحمول معه الى العدوة ثم عبّاد وهو المقلب بالمأمون وكان قد بويع له بقرطبة وهو المقتول بها المحمول رأسه الى محلة العدو المرابطين المحاصرة لابيه باشبيلية ٠ ثم يزيد وهو الراضى وكان قد ولاه رندة فقتل لما ملكها للمتونيون ثم عبد الله[2] ويكنى أبا بكر ٠ هؤلاء الاملاك الاربعة من جاريته اعتماد السيدة الكبرى المدعوة بالرميكية منسوبة الى مولاها رميك بن الحجاج الذى

---

(١) معناه كونه ماً كولا ليوسف بن تاشفين أسيراً يرعى جماله خير من كونه ممزقا لطاغيه الافرنج أسيرا له يرعى خنازيره (٢) قوله ثم عبد الله ويكنى الخ الذي في المعجب ان هـذا الرابع يلقب بالمعتد بالله وانه كان بمعقل من معاقل الاندلس المشهورة واليا عليـه اه وفي نفح الطيب ان اولاد المعتمد الاربعـة هم الرشـيد عبيـد الله والراضى يزيد والمأمون والمؤتمن وأن المأمون قتلته لمتونة بقرطبة والراضي قتلوه برندة اه

﴿ ملمته ﴾

لما تكالب أدفونش بن فردلند على الناس بعد أخذه مدينة طليطلة ضلّة ضيق بالمعتمد وأجحف به فى الجزية التي كان يتقى بها على المسلمين عاديته وعلى ذلك أخذها وتجنى عليه وطمع فى البلاد فحكى بعض الاخباريين أنه وجه اليه رسوله فى آخر أمره لقبض تلك الضريبة مع قوم من رؤساء النصارى ونزلوا خارج باب أشبلية فوجه[1] اليهم المال فقال لهم لا أخذت منه هذا العيار ولا آخذ منه الا ذهبا مشجرا ولا يؤخذ منه بعد هذا العام الا أجفان البلاد ونقل كلامه الى المعتمد فبادر بالقبض عليه وعلى النصارى ونكل بهم وقتل اليهودى بعد أن بذل فى نفسه زنة جسمه ذهبا فلم يقبل منه واحتبس النصارى وراسله الطاغية فى اطلاقهم فابى واستصرخ اللمتونيين وأجاز البحر بنفسه وأقسم الطاغية بايمانه المغلظة لا يرفع منه يده وهاجت حفيظة المعتمد واجتهد فى جواز المرابطين وكان ماهو معلوم من الايقاع بالطاغية فى وقعة الزلاقة فانه هو الذى أطار ناها بنفسه فعظم بلاؤه وشهر صبره وأصابته الجراح في رأسه وبدنه

---

(١) قوله فوجه اليهم المال الى قوله وقعة الزلاقة في نفح الطيب مانصه قال ابن اللبانة رحمه الله تعالى ولم يزل المعتمد بخير الى أن كانت سنة خمس وسبعين واربعمائة ووصل اليهودي بن شاليب لقبض الجزية المعلومة مع قوم من رؤساء النصارى وحلوا بباب أبواب أشبيلية فوجه لهم المعتمد المال مع جماعة من وجوه دولته فقال اليهودى والله لاأخذت هذا العيار ولا أخذت منه الامسجراً وبعد هذا العام لاآخذ منه الاأجفان البلاد ردوه اليه فرد المال الى المعتمد واعلم بالقصة فدعا بالجند وقال ائتوني باليهودى وأصحابه واقطعوا حبال الخباء ففعلوا وجاؤا بهم فقالوا اسجنوا النصارى واصلبوا اليهودى الملعون فقال اليهودى لاتفعل وأنا افتدى منك بزنتي مالا فقال والله لو أعطيتني العدوة والاندلس ماقبلتهما منك فصلب فبلغ الخبر النصرانى فكتب فيهم فوجه اليه بهم فاقسم النصراني أن يأتي من الجنود بعدد شعر رأسه حتى يصل الى بحر الزقاق وأمير المسلمين

رحمه الله وفي ذلك يقول أبو بكر بن عبادة

وقالوا كفه جرحت فقلنا　　أعاديه تواقعها الجراح
وما أثر الجراحة ما رأيتم　　فتوهنها المناصل والرماح
ولكن فاض سيل البأس فيها　　ففيها من مجاريها انسياح
وقد صحت وسحت بالاماني　　وفاض الجود منها والسماح
رأى منه أبو يعقوب فيها　　عقابا لا يهاض له جناح
فقال له لك القدح المعلى　　إذا ضربت بمشهدك القداح

ولما اتصلت به الصيحة بين يدى دخول المدينة ركب فى أفراد من عبيده وعليه قميص يشف عن بدنه والسيف منتضى بيده ويمم باب الفرج ولقي الداخلين فردهم على أعقابهم وقتل فارسا منهم فانزعجوا أمامه وخلفوا الباب فأمر باغلاقه وسكنت الحال وعاد الى قصره وفى ذلك يقول .

ان يسلب القوم العدا　　ملكى وتسلمنى الجموع
فالقلب بين ضلوعه　　لم تسلم القلب الضلوع
قد رمت يوم قتالهم　　ان لا تحصننى الدروع
وبرزت ليس سوى القميـ　　ـص عن الحشا شئ دفوع
وبذلت نفسى كى تسيـ　　ـل اذا يسيل بها النجيع
أجلى تأخر لم يكن　　بهواه ذلى والخشوع
ماسرت قط الى القتا　　ل وكان من أملى الرجوع
شيم الاولى أنا منهم　　والاصل تتبعه الفروع

يوسف بن تاشفين اذ ذاك محاصر سبتة فجاز المعتمد اليه ووعده بنصرته فرجع وحث ملوك الاندلس على الجهاد ثم وصل ابن تاشفين فكانت غزوة الزلاقة اه وبه تتضح عبارة الاصل

﴿ جوده ﴾

وأخبار جوده شهيرة وما يؤثر من ذلك على استصحاب حال العز ووفور ذات اليد واداة الملك غريب والشاهد المقبول بقاء السجية. ومصاحبة الخلق الملكية. مع الاقتار والايسار. وتقلب الاطوار وتعرض له الحصري[1] لغير حق بخارج طنجة وهو يجتاز اليها السواحل باشمار ظاهرة المقت. غير لائقة بالوقت. ولم يكن بيده زعموا غير ثلاثين ديناراً عبادية كانت بحقة معدة لضرورة ضرر وأزمة فطبع عليها وأدرج قطعة شعر طيها اعتذاراً عن نزرها. راغبا في قبول أمرها فلم يراجعه الحصري بشيء عن ذلك فكتب اليه

قل لمن قد جمع العلم وما أحصى صوابه
كان في الصرة شعر فتنظرنا جوابه
قد أتيناك فهلا جاب الشعر ثوابه

﴿ حلمه ﴾

رفع اليه صدور دولته شعراً أغروه فيه بأبي الوليد بن زيدون وهو شهير وهو.

---

(١) قوله فتعرض له الحصري الخ في المعجب بتلخيص أخبار المغرب ورحل بالمعتمد وآله. بعد استئصال جميع أحواله. ولم يصب من ذلك كله بلغة زاد فركب السفين وحل بالعدوة محل الدفين فكان نزوله من العدوة بطنجة فاقام بها أياما ولقيه بها الحصري الشاعر فجرى معه على سوء عادته من قبيح الكدية وافراط الالحاف فرفع اليه اشعاراً قديمة قد كان مدحه بها وأضاف الى ذلك قصيدة استجدها عند وصوله اليه ولم يكن عند المعتمد أكثر من ستة وثلاثين مثقالا فطبع عليها وكتب معها بقطعة شعر يعتذر من قلتها ووجه بها اليه فلم يجاوبه عن القطعة على سهولة الشعر على خاطره فحركه المعتمد على الجواب بقطعة أولها قل لمن قد جمع العلم الخ الابيات اه باختصار وفيه توضيح مضمون هذه العبارة التي وقعت في الاصل محرفه كما ترى اه مصححه

ياأيها الملك الاعز الاعظم ... اقطع وريدى كل باغ ينئم
واحسم بسيفك داء كل منافق ... يبدى الجميل وضد ذلك يكتم
لاتحقرن من الكلام قليله ... ان الكلام له سيوف تكلم
والملك يحمي ملكه عن لفظة ... تسرى فتجلى عن دواه وتعظم
فضلا عن الكلم التى قد أصبحت ... غوغاؤنا جهرا به تتكلم
فالله يعلم أن كل مؤمل ... مثلى على حذر وخوف منهم
فالدمع من أجفاننا متهلل ... والنار في أحشائنا تتضرم
ولقد علمت وان نبصرك الهدى ... فلأنت أهدى في الأمور وأعلم
ان الملوك تخاف من أبنائها ... فتحل من مهجاتهم مايحرم
ولذاك قبل الملك أعقم لم يزل ... فيه الولى يثير حربا تضرم
فاحسم دواعى كل شر دونه ... فالداء يسرى ان غدا لا يحسم
كم سقط زند قد نما حتي غدا ... بركان نار كل شئ يحطم
وكذلك السيل الجحاف فانما ... أولاه طل ثم وبل يسجم
والمال يخرج أهله عن حدهم ... فافهم فانك بالبواطن أفهم
واذكر صنيع ابيك أول مرة ... فى كل متهم فانك تعلم
لم يبق منهم من توقع شره ... فصفت له الدنيا ولذ المطعم
فهلا متنكل عن صنيع مثله ... ولأنت أمضى فى الخطوب وأشهم
وجنانك الثبت الذي لا ينثنى ... وحسامك العضب الذى لايكهم
والحال أوسع والعوالى جمة ... والجد اشمخ والصريمة ضيغم
لاتتركن للناس موضع شبهة ... واحزم فمثلك في العظائم يحزم
قد قال شاعر كندة فيما مضى ... لولا على مرة الليالى يعلم

لايسلم الشرف الرفيع من الاذى حتي يراق على جوانبه الدّم

فوقع على الرقعة .

كذبت مناكم صرحوا أو جمجموا فالدين أمتن والسجية أكرم

خنتم ورمتم أن أخون وإنما حاولتم أن يستخف يلملم

وأردتم تضييق صدر لم يضق والسمر فى ثغر النحور تحطم

وزحفتم بمحال لكم لمجرّب مازال يثبت للمحال فيهزم

أنى رجوتم غدر من جرّبتم منه الوفاء وظلم من لا يظلم

انا ذلكم لا البغي يثمر غرسه عندى ولا مبنى الصنيعة يهدم

كفوا والا فارقبوا لى بطشة يبقى السفيه بمثلها يتحلم

﴿ توقيعه ونثره في البديهة ﴾

كتب مع الحمائم [١] الى ولده الرشيد عقب الفراغ من وقعة الزلاقة .
يا ابنى أبقاه الله وسلمه . ووقاه الاسواء وعصمه . وأسبغ عليه آلاءه

(١) قوله كتب مع الحمائم الخ وقع بالاصل الذي بأيدينا تحريف يوضحه ماذكره صاحب كتاب الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى . وان كان أخصر مما في الاصل ونصه وكتب ابن عباد الى ابنه باشبيلية كتابا مضمونه كتابي هذا اليك من المحلة المنصورة يوم الجمعة منتصف رجب وقد أعز الله المسلمين . وفتح لهم الفتح المبين . وهزم الكفرة والمشركين . وأذاقهم العذاب الاليم والخطب الجسيم . والحمد لله على مايسره وسناه من هذه المسرة العظيمة . والنعمة الجسيمة في تشتيت شمل الاذفونش والاحتواء على جميع عساكره أصلاه الله نكال الجحيم . ولا أعدمه الوبال العظيم . بعد اتيان النهب على محلاته . واستئصال القتل لجميع ابطاله وحماته . حتى اتخذ المسلمون من هاماتهم صوامع يؤذنون عليها فلله الحمد على جميل صنعه ولم يصبني والحمد لله الا جراحات يسيرة آلمت لكنها فرجت بعد ذلك فلله الحمد والمنة والسلام اه وفي ابن خلكان في ترجمة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بعد كلام ثم كتب ابن عباد الى ولده الرشيد كتابا وأطاربه الحمام يوم السبت يخبره فيه بالنصر اه .

وانعمه. كتبته وقد أعز الله الدين . وظهر المسلمون وفتح لهم على يدي الفتح المبين . بما يسره الله تعالى وشاه . وقدره سبحانه وقضاه . من هزيمة ادفونش بن فردلند لعنه الله واصلاه نكال الجحيم . ولا اعدمه العيش الذميم . كما قنعه الخزى العظيم . وأتى القتل على اكثر رجاله واتصل النهب سائر اليوم والليلة المتصلة به جميع محلاته وجمع من رؤسهم بين يدى من مشهوري رجالهم . ومذكورى أبطالهم ولم يختر منهم الا من شهر وجرب . وامتلأت الايدي مما سلب ونهب . والذي لا مرية فيه أن الناجي منهم قليل . والمفلت بسيوف الجزع والبعد فليل . ولم يصبنى بفضل الله الاجرح اشوى[1] وحسن الحال عندنا والله وزكا . ولا يشغل بذلك بال . ولا يتوهم غير الحال التى أشرت اليها حال . والادفونش بن فردلند ان لم يصبح بحت السيوف فسيموت كمدا. وان كان لم تعلقه اشراك الحمام اليوم فغدا

فاذا ورد كتابي هذا فمر بجمع الخاص والعام من اهل اشبيلية وجيرانها الاقربين واصفيائنا المحبين . في المسجد الجامع أعزهم الله وليقرأ عليهم فيه ليأخذوا من المسرة نصيبهم . ويضيفوا شكر الله الى صالح دعائهم والسلام.

﴿ تلطفه وظرفه ﴾

قال ابو بكر الداني سألنى فى بعض الايام عند قدومى عليه باغمات قاضيا حق نعمته من زيارته مستمتعا برائق ادبه على حال محنته عن كتبي فاعلمته بذهابها فى نهب حضرته وكنت قد جلبت فى سفرتى تلك الاشعار الستة بشرح الاستاذ ابى الحجاج الشنتمرى الاعلم وكانت مستعارة فكتمتها عنه ووشى اليه احد الاصحاب فخجل بكرمه وحسن شيمته من الاخذ مني فى

---

(١) قوله اشوى اي لم يصب مقتلا

ذكر ما كتمته فاستطرد ذلك بغرض نبيل . ونحا فيه نحوا يعرب عن الشرف الاصيل . واملى عليّ في جملته ما كان منه

وكواكب لم أدر قبل وجوهها	ان البدور تدور فى الازرار
نادمتها فى جنح ليل دامس	فاعرنه مثلا من الانوار
في وسط روضة نرجس كعيونها	ما أشبه النوّار بالنوّار
فاذا تواصفنا الحديث حسبتنى	أهوى كملتقط لدرّ نثار
واذا اكتحلت ببرق ثغر باسم	سكبت جفونى أغزر الامطار
حذر الملام وخيفة من صبوة	نذر الصدور على شفير هار
ترك الجوارى الآنسات مذاهبي	وسو لها ظفر بريشة الاشعار[1]

فلم أتمالك عند ذلك ضحكا وعلمت أن الامر قد دس اليه فاعلمته قصتها فبسط العذر بفضله وتأول الأمر وقسم الأشعار على ثلاثة من بنيه ذوى خط رائع ونقل حسن وأدب بارع أخذوا فى نسخها ورد اليّ الاصل لاجل قريب .

﴿ محنته ﴾

ولم يلبث أمير اللمتونيين بعد جوازه الى الأندلس وظهوره على طاغية الروم بها أن فسد ما بينه وبين رؤساء الطوائف بالاندلس وعزم على خلعهم فاجاز من سبتة العساكر وسرب الامداد واخذ المعتمد بالعزم فحصّن حصونه وأودع المعاقل عدته وقسم على مظان الامتناع ولده ونازل الامير سير إشبيلية دار المعتمد وحضرة ملكه ونازل الامير محمد بن الحاج قرطبة وبها المأمون ونزل فوارس قواده رندة وبها الراضي ابن المعتمد واستمر الامر واتصلت

(١) كذا بالاصل

المحاذرة ووقعت أمور يضيق الكتاب عن استقصائها فدخلت قرطبة في جمادى الآخرة عام أربعة وثمانين وأربعمائة . وقتل الراضي وجلب رأسه فطيف به بمرأى من أبيه

وكان دخول إشبيلية على المعتمد دخول القهر والغلبة يوم الاحد لعشر بقين من رجب وشملت الغارة واقتحمت الدور وخرج ابن عباد وابنه مالك للدفاع فقتل مالك الملقب بفخر الدولة ورهقت ابن عبّاد الخيل فدخل القصر ملقيا بيده .

ولما جن الليل وجه ابنه الأكبر الرشيد الى الامير فاحتجب عنه ووكل بعض خدمه به وعاد الى المعتمد فاخبره بالاعراض عنه فأيقن بالهلكة وودع أهله وعلا البكاء وكثر الصراخ وخرج هو وابنه فانزلا فى خباء حصين مراقبين بالحرس واخرج الحرم من قصره وأخذ ما اشتمل عليه وأمر بالكتب الى ولده برندة ففعل .

ولما أنزل واستؤصلت ذخيرته سلا وأجيز المعتمد البحر ومن معه الى طنجة فاستقر بها فى شعبان من العام وفى البحر فى هذا الحال يقول رحمه الله

لم أنس والموج يدنيني ويقصيني	والموت كادمن الربان يأتيني
أبصرت هولا لو أن الدهر أبصره	لأبصر الدهر أمرا ليس بالدون
قد كنت ضنا بنفس لا أجود بها	فبعتها باضطرار بيع مغبون
كم ليلة بت مطويا على حرق	في عسر من عيون الدير في العين[1]
فتلك احسن ام أمر ظللت به	في ظل عزة سلطان وتمكين

(١) كذا بالاصل

ولم يكن والذى تعنو الوجوه له عرضى مهانا ولا مالى بمخزون
وكم خلوت من الهيجا بمعترك والحرب ترفل فى أثوابها الجون
يارب ان لم تهب حالا أسر به فهب لعبدك أجرا غير ممنون

وجرى على بناته شيء يوم خروجهن واضطرتهن الضيعة الى معيشتهن من غزل أيديهن وجرت عليه محن طال لها سجنه واقعده قيده الى ان نقل الى أغمات وحلّ عنه الاعتقال وأجرى عليه رزق تبلغ به مدة من أعوام أربعة واستنقذه حمامه رحمة الله عليه .

﴿ وصوله الى غرناطة ﴾

قال ابن الصيرفى (وقد أجرى ذكر تملك يوسف بن تاشفين غرناطة وخلع أميرها عبد الله بن بلكين حفيد باديس يوم الاحد لثلاث عشرة خلت من رجب عام ثلاثة وثمانين) ولحق ابن عباد وخليفة بن مسلمة بخيل ورجل ورماة وعدد وكان ذلك من ابن عباد متضمنا لمسرة أمير المسلمين وتحققا بموالاته فدخلوا عليه وقد تحكمت فى نفس ابن عباد الطماعية في اسلام غرناطة الى ابنه بعد استصفاء نعمة صاحبها عوضا عن الجزيرة الخضراء وكان قد أشخصه معه فعرض له بغرضه فاعرض أمير المسلمين عن الجميع اعراضا كانت منية كل واحد منهما التخلص من يده والرجوع الى بلده فاعمل ابن عباد الحيلة فاستظهر عند أمير المسلمين وكتب اليه يزعم أن وردت عليه من إشبيلية أخبار تحثه على اللحاق بها لانباء مهمة طرقت بتحرك العدو واستأذن فى الصدور فاخذله وللخليفة بن مسلمة فانتهزا الفرصة وابتدرا الرخصة ولحق كل بموضعه يظن أن قد ملك زياسة أمره .

﴿ مولده ﴾

ولد المعتمد على الله بمدينة باجة سنة احدى وثلاثين واربعمائة . وولى سنة إحدى وستين وخلع سنة اربع وثمانين .

﴿ وفاته ﴾

كانت وفاة المعتمد بأغمات فى ربيع الاول سنة ثمان وثمانين وأربعمائة بعد أن تقدمت وفاته وفاة اعتماد وجزع عليها جزعا افضى بسرعة لحاقه بها .

ولما أحس بالمنية رثى نفسه بهذه الابيات وأمر أن تكتب على قبره

قبر الغريب سقاك الرائح الغادى	حقا ظفرت بأشلاء ابن عباد
بالحلم بالعلم بالنعمى اذا اتصلت	بالخصب ان أجدبوا بالرىّ للصادى
بالطاعن الضارب الرامى اذا اقتتلوا	بالموت أحمر بالضرغامة العادى
بالدهر في نقم بالبحر فى نعم	بالبدر فى ظلم بالصدر فى النادى
نعم هو الحق فاجانى على قدر	من السماء ووافانى بميعاد
ولم أكن قبل ذاك النعش اعلمه	ان الجبال تهادى فوق أعواد
كفاك فارفق بما استودعت من كرم	روّاك كل قطوب البرق رعّاد
يبكي أخاه الذى غيبت وابله	تحت الصفيح بدمع رائح غادى
حتى يجودك دمع الطل منهمرا	من أعين الزهر لم تبخل باسعاد
ولا تزال صلاة الله نازلة	على دفينك لا تحصى بتعداد

﴿ بعض ما رثى به ﴾

قال ابن الصيرفي واختلف فى وفاة المعتمد فقيل كانت فى ذى الحجة ولما انفصل الناس من صلاة العيد حضر بقبره ملأ يتوجعون ويترحمون عليه

(١) في قلائد العقيان عدد ابيات الرثاء خمسة عشر لا ثلاثة

وأقبل ابن عبد الصمد فوقف على قبره وأنشد [1]

ملك الملوك أسامع فأنادى ... أم قد عدتك عن السماع عوادى
لما خلت منك القصور فلم تكن ... فيها كما قد كنت في الاعياد
أقبلت فى هذا الثرى لك خاضعا ... وتخذت قبرك موضع الانشاد

ثم خر يبكى ويقبل القبر ويعفر وجهه في التراب فبكى ذلك الملأ حتى أخضلوا ملابسهم وارتفع نشيجهم فلله در ابن عبد الصمد . وملاذ ذلك البلد .

﴿ محمد بن سعد بن محمد بن احمد بن مردنيش الجذامى ﴾

قال بعضهم نهض في تجيب الامير أبو عبد الله

﴿ أوليته ﴾

معروفة وعلى يد أبيه جرت الواقعة الكبرى بظاهر أفراغة على ابن ردمير الطاغية فجاءت الشهرة . وعظمت الأثرة . قال بعضهم تولى أبوه سعد قيادة أفراغة وما اليها وضبطها ونازله ابن ردمير فشهر غناءه بها في دفاعه وصبره على حصاره الى أن هزمه الله عز وجل على يد ابن غانية وظهر بعد ذلك لحسن بلاؤه وبعد صيته ورأس ابنه محمد ونفق في ألفته وكان بينه وبين ابن عياض المتأمر بمرسية صهر ولاه لأجله بلنسية فلما توفى ابن عياض بادرها ابن سعد وبلغه أثناء طريقه غدر العدو بحصن حلال فكرّ اليه وفتحه وعاد فملك بلنسية وقد ارتفع له صيت شهير ثم دخلت مرسية في أمره واستقام له الشرف وعظمت حاله .

﴿ حاله ﴾

قال ابن حمامة ساد من صغره بشجاعته ونجابته وصيت أبيه فمال بذلك الى القيادة وسنه لحدى وعشرون سنة ثم ارتفع الى الملك الراسخ . والسلطان

الشامخ . بباهر شجاعته وشهامته . فسما قدره . وعظم أمره . وفشا في كل أمة ذكره .

وقال غيره كان بعيد الغور قوىّ الساعد أصيل الرأى شديد العزم بعيد الغزو مؤثرا للانتقام مرهوب العقوبة .

وقال فى مختصر نور المريدين كان عظيم القوة في جسمه ذا أيد في عظمته وكانت له فروسية وشجاعة وشهامة ورياسة .

﴿ بطالته وجوده ﴾

قال وكان له يومان فى كل جمعة يوم الاثنين والخميس يشرب مع ندمائه فيهما ويجود على قواده وخاصته وأجناده ويذبح البقر في المواسم ويفرق لحومها على الاجناد ويتخلل ذلك لهو كثير حتى ملك القلوب من الجند وعاملوه بغاية النصح وربما وهب المال في مجالس أنسه .

ذكر انه استدعى يوما ابن الأزرق أحد قواده فشرب معه ومع القرابة في مجلس قد كساه بأحمر الوشى والآنية من الفضة وغيرها وتمادى في لهو وشراب عامة اليوم فلما كمل نهاره معهم وهبهم الآنية وكل ما كان فى المجلس من الوشى وغير ذلك .

﴿ ما نقم عليه ووصم به ﴾

قالوا كان عظيم الانهماك فى ميدان البطالة واتخذ جملة من الجوارى فصار يراقد منهم جملة تحت لحاف واحد وانهمك فى حب القيان والزمر والرقص . قالوا وكان له فتى اسمه حسن ذو رقبة سمينة وقفا كثيف عريض فاذا شرب كان يرزه ويعطيه بعد ذلك عطاء جزيلا وفى ذلك يقول كاتبه

المعروف بالسلامى وكان يحضر شرابه ويخمر .

أدر كؤس المدام والرزّ　　فقد ظفرنا بدولة العزّ
ونمّ الكف من قفا حسن　　فانها فى لينة الخزّ
وصاحب ان طلبت أخدعه　　فلم يكن جيد له يهتزّ
قد انحنى على أخدعى فاطربنى　　وهز عطفي أيما هزّ

فأجزل صلة السلامى حين انشدها اياه واشتهرت هذه الابيات بالشرق واستظر فها الناس (١)

وآثر زى النصارى من الملابس والسلاح واللجم والسروج وكلف بلسانهم والجأه الخروج عن الجماعة والانفراد بنفسه الى الاحتماء بالنصارى ومصانعتهم والاستعانة بطواغيتهم وصالح صاحب برشلونه لاول أمره على ضريبة وصالح ملك قشتالة على أخرى فكان يبذل لهم فى السنة خمسين ألفا من المثاقيل وابتنى لجيشه من النصارى منازل معلومات وحانات للخمور وأجحف برعيته لارزاق من استعان به منهم فعظمت فى بلاده المغارم وثقلت واتخذ حوانيت بعض الادم تختنق بالبيع والمرافق تختص بجانبه وجعل على الاغنام وعروض البقر مؤنا غريبة . وأما رسوم الاعراس والملاهى فحالاتها عجيبة .

حدث بعض المؤرخين عن الثقة قال كنت بجيّان مع الوزير أبى جعفر الوقشى فوصل اليه رجل من أهل مرسية كان يعرفه فسأله الوزير عن أحوال ابن مردنيش وعن سيرته فقال الرجل أخبرك بما رأيت من جور عمّاله وظلمهم وذلك أن أحد الرعية بشاطبة واسمه محمد بن عبد الرحمن كان له بنظر شاطبة ضويعة يعيش بها وكان لازمها أكثر من فائدتها فاعطى لازمها حتى افتقر

(١) بياض فى الاصل

وفر الى مرسية وكان أمر ابن مردنيش أن من فر من الرعية امام العدو أخذ ماله للمخزن قال الرجل الشاطبي فلما رحلت الى مرسية فارا عن وطنى خدمت الناس فى البنيان فاجتمع لى مثقالان سعديان فبينما أنا أمشى فى السوق واذا بقوم من أهل بلدى شاطبة فسألتهم عن أولادى وزوجتي فقالوا انهم فى عافية ففرحت فرحا عظيما وسألتهم عن الضويعة فقالوا انها باقية عند أولادك فقلت لهم عسى أن تبيتوا عندى الليلة فاشتريت لحما وشرابا وضربنا دفا فلما كان عند الصباح اذا بنقر عنيف بالباب فقلت من أنت فقال أنا الطرقون الذي بيده قبالة اللهو وهى متفقة بيدى وأنتم ضربتم البارحة الدف فاعطانا حق العرس الذى عملت فقلت له والله ما كان لى عرس فاخذت وسجنت حتى افتديت بمثقال من الذى خدمت به وجئت الى الدار فقيل لى ان فلانا وصل من شاطبة الساعة فمشيت لأسأله عن الدار وعن قرابتى وعرفته بالأمر الذى طرأ على وبكيت طول ليلتى وبكى معى فلما كان من الغد اذا بناقر بالباب فخرجت فاذا أنا برجل فقال أنا صاحب المواريث أعلمنا أنكم بكيتم البارحة وان قد مات لكم ميت من قرابتكم غنى وأخذتم كل ما ترك فقلت والله مابكيت الانفسى فكذبنى وحملنى الى السجن فدفعت المثقال الثانى ورجعت الى الدار فقلت لامرأة تغسل اغسلى ماعلى وتجردت ودفعت لى زنارا ألبسه فبينما أنا كذلك واذا بالخصى قائد ابن مردنيش يسوق ستين رجلا من أهل الجبل لابسى الزنانير فرآنى على شكلهم فامر بحملى الى السخرة والخدمة بحصن مشقوط عشرة أيام فقمت أحفر وأخدم مدة عشرة أيام وأنا ابكى واشتكى للقائد المذكور حتى رق لى وسرحنى فرجعت أريد مرسية فقيل لي عند باب البلد ما اسمك فقلت محمد بن عبد الرحمن فاخذنى الشرطى

وحملت فقالوا هذا من كتبته (من أرباب الحالى بكذا وكذا ديناراً)[1] فقلت والله ما أنا الا من شاطبة وانما وافق اسمى ذلك الاسم ووصفت ماجرى لى فاشفق وضحك منى وأمر بتسريحى فسرت على وجهى الى هنا

﴿ بعض الاحداث في أيامه ونبذ من أخباره ﴾

استولى على بلاد الشرق مرسية وبلنسية وشاطبة ودانية ثم اتسع نطاق ملكه فولى جيّان وبسطة ووادى آش وملك قرمونة ونازل قرطبة وإشبيلية وكاد يستولى على جميع الاندلس فولى صهره ابن همشك مدينة جيّان وضيق منها على قرطبة واستولى على استجة ودخل غرناطة سنة سبع وخمسين وخمسمائة وثار على يوسف بن هلال من اصهاره بحصن بطرقش وما يليه ثم فسد ما بينه وبين صهره فكان سبب إدبار أمره واستولى العدو في مدة ابن سعد على مدينة طرطوشة عام ثلاث واربعين وخمسمائة وعلى حصن افليج وحصن شرانية

﴿ دخوله غرناطة ﴾

ولما دخل ابن همشك مدينة غرناطة وامتنعت عليه قصبتها وهزم الجيش المُصَرِّخ[2] لمن حصر بها من الموحدين ببرج الرقاد وثاب أثناء ذلك أمر الموحدين فتجهز لنصرهم السيد ابو يعقوب واجاز البحر واجتمعوا بالسيد ابي سعيد بمالقة استصرخ ابن همشك صهره الاسعد أبا عبد الله محمد بن سعد فخرج بنفسه في العسكر الكثير من اهل الشرق والنصارى فوصل الى غرناطة واضطربت محلته بالربوة السامية المتصلة بربض البيازين وتعرف الى اليوم بكدية مردنيش فلحق بجيّان واتصلت عليه الغلبة ففر واتصلت

(١) ا بالاصل (٢) المصرخ المغيث المعين

هزيمته من لدن منتصف عام ستين فلم يكن له بعد ذلك ظهور .

﴿ وفاته ﴾

وظهر عليه أمر الموحدين فاستخلصوا معظم ما بيده وأوقعوا به الوقائع العظيمة وحصر بمدينة مرسية ومات اثناء الحصار في عاشر رجب عام احدى وستين وخمسمائة وله ثمانية واربعون عاما وضد امره ابو القمر[1] هلال وألقى باليدين على الموحدين فنزل على عهد ورسوم حسبما يأتي في موضعه .

﴿ محمد بن يوسف بن هود الجذامى ﴾

أمير المسلمين بالاندلس يكنى ابا عبد الله ويلقب من الالقاب السلطانية بالمتوكل على الله .

﴿ أوليته ﴾

من ولد المستمين بن هود وأوليتهم معروفة ودولتهم مشهورة وأمراؤهم مذكورون خرج من مرسية تاسع رجب عام خمسة وعشرين وستمائة الى الحضور من جهاتها وبقي يسير من الاجناد معه وكان الناس يستشعرون ذلك ويرتقبون ظهور مسمى باسمه واسم أبيه كاسم أبيه ويهتفون بامرته وسلطانه وجرى عليه بسبب ذلك امتحان في زمان الموحدين مرات اذ كان بعض الهاتفين بالامور الكائنة والقضايا المستقبلة يقول لهم يقوم عليكم قائم من صنف

(١) قوله وضد أمره أبو القمر كذا بالاصل وفي كتاب الاستقصا مانصه ولما مات محمد بن مردنيش جاء أولاده واخوته الى أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن وهو باشبيلية فسلموا اليه جميع بلاد شرق الأندلس التي كانت لأبيهم فاحسن اليهم أمير المؤمنين وتزوج اختهم وأصبحوا عنده في أعز منزلة اه

الجند اسمه محمد بن يوسف فقتلوا بسبب ذلك شخصاً من أهل جيّان .

ويقال إن شخصاً ممن ينتحل ذلك لقى ابن هود فأمعن النظر اليه ثم قال له انت السلطان بالاندلس فانظر لنفسك وأنا أدلك على من يقيم ملكك فاذهب الي المقدم القشى فهو القائم بامرك وكان القشى رجلا صعلوكا يقطع الطريق وتحت يده جماعة من انجاد الرجال وسباع البراز قد اشتهر أمرهم فنهض الى المقدم وعرض عليه الامر وقال نستفتح بالغارة على ارض العدو على اسمك وعلى سعدك ففعلوا فجلبوا كثيراً من الغنم والاسرى وانضاف الى ابن هود طوائف مثل هؤلاء وبايعوه في الصخيرات كما ذكر من عمل مرسية وتحرك اليه السيد ابو العباس بعسكر مرسية فاوقع به وشرده ثم ثاب اليه ناسه وعدل بالدعاء الى العباسيين فتبعه اللفيف ووصله تقليد الخليفة المستنصر بالله ببغداد فانتظم الناس في دعوته وشاع ذكره وملك القواعد وجيش الجيوش وقهر الاعداء ووفى للقشيّ بوعده فولاه اسطول اشبيلية ثم اسطول سبتة مضافا الى أمرها وما يرجع اليه فثار به أهلها بعد وخلعوه وفر أمامهم فى البحر وخفى اثره الى ان تحقق استقراره أسيراً في البحر بغربى الاندلس ودام زمانا ثم تخلص في سن الشيخوخة ومات برباط اسف .

﴿ حاله ﴾

كان شجاعا ثبتا كريما حييا فاضلا وفيا متوكلا سليم الصدر قليل المبالاة فاستملى لذلك عليه ولاته بالقواعد كابي عبد الله الرميمى بالمرية وابى عبد الله بن رتون بمالقة وابى يحيي عتبة بن يحيى الجد والى بغرناطة وكان مجدودا لم ينهض له جيش ولا وفق لرأى لغلبة الخفة عليه واستعجاله الحركات ونشاطه الى اللقاء من غير استعداد

﴿ بعض الاحداث فى أيامه ﴾

جرت عليه هزائم منها هزيمة السلطان الغالب بالله مرتين احداهما بظاهر اشبيلية وركب البحر ثم نجا بنفسه ثم هزمه باسرة من احواز غرناطة زعموا كل ذلك في سنة اربع وثلاثين وستمائة ونحوها

وفى سنة خمس وثلاثين كان اللقاء بينه وبين المأمون إدريس أمير الموحدين باشبيلية فهزمه المأمون أقبح هزيمة واستولى على محلته ولاذ منه بمدينة مرسية ثم شغل المأمون الامر وأهمته الفتنة الواقعة بمراكش فصرف وجهه اليها وثاب الامر للمتوكل فدخلت فى طاعته المرية ثم غرناطة ثم مالقة.

وفى سنة سبع وعشرين تحرك بفضل شهامته بجيوش عظيمة لاستصراخ مدينة ماردة وقد نازلها العدو وحاصرها فلقى الطاغية بظاهرها فلم يتأن زعموا حتى دفع بنفسه العدو ودخل فى مضاربه ثم لما كر الى ساقته وجد الناس منهزمين لما غاب عنهم فاستولت عليه هزيمة شنيعة واستولى العدو على ماردة بعد ذلك .

وفتح عليه فى أمور منها تملك اشبيلية سنة تسع وعشرين وستمائة وولى عليها أخاه الامير أبا النجاة سالما الملقب بعماد الدولة .

وفي سنة احدى وثلاثين رجعت قرطبة الى طاعته واستوثق أمره وتملك غرناطة ومالقة عام خمسة وعشرين وستمائة ودانت له البلاد .

وفى العشر الأول من شوال دخل فى طاعته الرئيسان أبو زكريا وأبو عبد الله ابنا الرئيس أبى سلطان بن ابى الحجاج بن سعد وخرجا عن طاعة الامير أبى جميل وأخذا البيعة لابن هود على ما في أيديهما .

وفى سنة ست وعشرين وستمائة تملك الجزيرة الخضراء عنوة يوم الجمعة

التاسع لشعبان من العام المذكور .

وفى العشر الوسط من شوال ورد عليه الخبر ليلا بقصد العدو مدينة وادى آش فأسرى ليله مسرجا بجاية يومه ولحق العدو على ثمانين ميلا فاتى على آخرهم ولم ينج منهم أحد .

﴿ إخوته ﴾

الرئيس ابو النجاة سالم ولقبه عماد الدولة والامير أبو الحسن عضد الدولة أسره العدو فى غزوة وفاداه بمال كثير . والامير أبو اسحاق شرف الدولة وكلهم يكتب عنه من الامير فلان .

﴿ ولده ﴾

أبو بكر الملقب بالواثق بالله أخذ له البيعة على أهل الاندلس وولى عهده وولى بعده واستقل بملك مرسية ثم لم ينشب أن هلك

﴿ دخوله غرناطة ﴾

دخل غرناطة مرات عديدة احداها في سنة أحدى وثلاثين وستمائة وقد وردت عليه الراية والتقليد من الخليفة العباسى ببغداد وبمصلى غرناطة قرأ على الناس كتابه وهو قائم وزيه السواد ورايته السوداء بين يديه وكان يوم استسقاء فلم يستتم على الناس قراءته يومئذ الا وقد جادت السماء بالمطر وكان يوما مشهودا وصنعا غريبا وأمر بعد انصرافه أن تكتب عنه تلك الالقاب التى تضمنها الكتاب المذكور الى البلاد

﴿ وفاته ﴾

اختلف الناس فى سبب وفاته فذكر أنه قد كان عاهد زوجته أن لا

يتخذ عليها امرأة طول عمرها فلما تصير اليه الأمر أعجبته رومية حصلت له بسبب السبي من أبناء زعمائهم من أجمل النساء فسترها عند ابن الرميمي خليفته فزعموا أن ابن الرميمي عاق بها ولما ظهر حملها خاف افتضاح القصة فدبر عليه الحيلة فلما حل بظاهر المرية عرض عليه الدخول اليها فاغتاله ليلا بأن أقعد له أربعة رجال قضوا عليه خنقا بالوسائد ومن الغد ادعى أنه مات فجأة وأوقف عليه العدول والله أعلم بحقيقة ذلك

وكانت وفاته ليلة الرابع والعشرين من جمادى الآخرة عام خمسة وثلاثين وستمائة وفى ارجاف الناس بولاية ابن هود يقول الشاعر

همام به زاد الزمان طلاقة	ولدت لنا فيه الامانيّ موردا
فقل لبني العباس ما هي دولة	أغار بها الحق المبين وأنجدا
فان الذي قد جاء في الكتب وصفه	تمهيد هذى الارض قد جاء فاهتدا
فان بشرتنا بابن هود محمد	فقد أظهر الله ابن هود محمدا

﴿ محمد بن أحمد بن زيد بن الحسن بن أيوب بن حامد بن زيد بن منخل الغافقي يكنى أبا بكر من اهل غرناطة وسكن وادى آش ﴾

﴿ أوليته ﴾

أصل هذا البيت من إشبيلية وذكره الرازى في الاستيعاب فقال وباشبيلية بيت زيد الغافقى وهم هنالك جماعة كثيرة فرسان ولهم شرف قديم وقد تصرفوا فى الخدمة باربونة ثم انتقلوا الى طليطلة ثم قرطبة ثم غرناطة

وذكر الملاحى فى كتابه الحسن بن أيوب بن حامد بن أيوب بن زيد وعده من أهل الشورى وقضاء الجماعة بغرناطة . واحمد بن زيد بن الحسن هو المقتول يوم قيام بنى خالد بدعوة السلطان ابى عبد الله الغالب بالله بن نصر

وكان عامل المتوكل على الله بن هود بها وممن جمع له بين الدين والفضل والمال

﴿ حاله ونباهته ومحنته ووفاته ﴾

كان هـذا الرجل عيناً من أعيان الأندلس وصدراً من صدورها نشأ عفيفا متصاونا عزوفا نزيها طيب الطعمة حر الاصالة نبيه الظهر ثم استعمل فى الوزارة ببلده ثم قدم على من به من الفرسان فاوردهم الموارد الصعبة باقدامه واستباح من العدو الفرصة واكتسب الذكر والشهرة وأنفق فى سبيل الله الى متانة الايمان وصحة العقد وحسن السمت والاسترسال فى ذكر التواريخ والأشمار الجاهلية والأمثال والتمسك باسباب الدين وسحب أذيال الطهارة وهجر الخبائث وايثار الجد والانحطاط فى هوى الجهاد

﴿ مشيخته ﴾

قرأ بغرناطة على شيخ الجماعة أبى عبد الله الفخار وببلده على الأستاذ أبى عبد الله الطرسونى وبه انتفاعه وكان جهورى الصوت متفافلا قايل التهيب فى الحفل ولما حدث بالسلطان أبى عبد الله ما حدث ترك دولته وتلاحق بوادى آش مقلنا فقام بأمره وضبط البلد على دعوته وترك المداهنة فى أمره وجمل حيل عدوه دبر أذنه الى أن خرج عنه الى العدوة فكان أمن طريقه مفديا له بنفسه حتى لحق بأمنه فتركها مغربة (١)

﴿ خبر وفاته ﴾

استأثر به الداخل فشد عليه يد اغتباطه وأغرى به عقد ضنانته وخلطه بنفسه ثم اغرى به لمكانه من الشهامة والرياسة فتقبض عليه وعلى ولده لباب بنى وقته وغرة أبناء جنسه فاوردهما مطبق أرباب الجرائم وهم باغتيالهما

---

(١) كذا بالأصل

ثم نقلهما الى مدينة المنكب ليلة النصف لمحرم سنة اثنتين وستين وسبعمائة في جملة من النبهاء ماخوذين بمثل تلك الجريرة ثم صرف الجميع فى البحر الي بجاية فى العشر الاول لربيع الاول مصفدين ولما حلوا بها اقاموا تحت بر وتجلة ثم ركبوا البحر الى تونس فظفربهم أسطول العدو باحوازنا كرنا ووقعت بينه وبين المسلمين حرب فكرم مقام المترجم يومئذ وحسن بلاؤه قال المخبر عهدى به وقدسل سيفه وهويضرب العدو ويقول اللهم اكتبهالى شهادة واستولى العدو على من كان معه من المسلمين ومنهم ولده وقد أفتك الجميع ببلد العناب وانصرف ابنه الى أضح وآب لهذا العهد بخلال كريمة من سكون وفضل ودين وحياء الى ما كان يجده من الركض (١) من مرؤسيه فمضى على هذا السبيل من الشهادة نفعه الله بها فى ليلة الجمعة الثامن لرجب من عام اثنتين وستين وسبعمائة

﴿ شعره ﴾

أنشدنى قاضى الجماعة أبو الحسن بن الحسن له

يا أيها المرتجى الطاف خالقه	وفضله فى صلاح الحال والمال
ان كنت توقن حقالطف خالقنا	فاشمخ بأنفك عن قيل وعن قال
فان لله لطفا عز خالقنا	عن أن يقاس بتشبيه وتمثال
وكل أمر وان أعياك ظاهره	فالصنع فى ذاك لايجرى على بال

﴿ محمد بن أحمد بن أحمد الاشعرى ﴾

من اهل غرناطة يكني أبا عبد الله ويعرف بابن المحروق الوكيل بالدار السلطانية

(١) بياض بالاصل



المستوزر آخر عمره

﴿ حاله وأوليته وظهوره ﴾

كان رحمه الله من اهل العفاف والتصاون جانحاً الى الخير محباً فى أهل الصلاح مغضوض الطرف عن الحرم عفيفاً عن الدماء مستمسكاً بالعدالة من أهل الخصوصية كتب الشروط وبرز فى عدول الحضرة وكان له خط حسن ومشاركة فى الطلب خصوصاً فى الفرائض وحظ وافر من الأدب امتدح الامراء فترقى الى الكتابة وحرّر مع رؤساء الجملة . وعند الايقاع بالوزير ابن الحكيم تعين لحصر ما استرفع من منتهب ماله وتحصل بالدار السلطانية من أثاثه لحزم واضطلع بما كان داعية ترقيه الى الوكالة فساعده الوقت وطلع له جاه كبير وتملك اموالا كثيرة وارضاً واسعة الرحاب لجمع الدنيا بحزمه ومثابرته على تنمية داخله ورقى الى سماء الوزارة فى الدولة السادسة النصرية بتدبير شيخ الغزاة وزعيم الطائفة عثمان بن أبى العلا فوصله الى ادرار دنياه وقد خبئ له المكروه فى المحبوب وتأذن الله سبحانه بنفاد أجله على يده فاستولى وحجبه السلطان ثم وقعت بينه وبين مرشحه الوحشة الشهيرة عام سبع وعشرين وسبعمائة وكان ان وشى به الى السلطان فأجلى جمهور من كانوا ببابه ومنع من الدخول اليه فاضطربت حاله وأعمل التدبير عليه فهجم عليه بدار الحرة الكبيرة جدة السلطان وكان يفلوضها فى الأمور فتيان من احداث المماليك المستبقين مع محجوبه تناولاه بالخناجر فرمى بنفسه فى صهريج الدار وما زالا يتعاورانه من كل جانب حتى فارق الحياة رحمه الله تعالى

﴿ مشيخته ﴾

قرأ على الاستاذ أبى جعفر بن الزبير وكانت له فيه فراسة صادقة .

﴿ محمد بن فتح بن على الانصارى ﴾

يكنى أبا بكر قاضى الجماعة .

﴿ حاله ﴾

كان طرة فى الدهاء والتخلق بمقاطع الحقوق ومغامز الريب وعلل الشهادات فذا فى الجزالة والصرامة مقدما بصيراً بالأمور حسن السيرة عذب المفاكهة طاهر الخطوة على الرتبة خرج من إشبيلية عند تغلب العدو عليها وولى القضاء بمالقة وبسطة ثم ولى الخدمة بغرناطة ثم جمعت له اليها الشرطه ثم قدم قاضياً واستمرت ولايته مدة ثلاثين سنة .

﴿ وفاته ﴾

توفى ليلة الحادى عشر من شهر ربيع الاول عام ثمانية وتسعين وستمائة .

﴿ محمد بن احمد بن على بن حسن بن على بن الزيات الكلاعى ﴾

ولد الشيخ أبى جعفر بن الزيات من أهل بلش يكنى أبا بكر .

﴿ حاله ﴾

من عائد الصلة من تأليفنا . كان رحمه الله شبيها بأبيه فى هديه وحسن سمته ووقاره إلا أنه كان حافظا للرتبة مقيما للأبهة مستدعياً بأبيه ونفسه للتجلة بقية من أبناء المشايخ ظرفا وأدبا وعزة وحشمة إلى خط بديع قيد البصر ورواية عالية ومشاركة في فنون وقراءة وفقه وعربية وأدب وفرائض ومعرفة بالوثائق والاحكام . تولى القضاء ببلده وخلف أباه على الخطابة والامامة فأقام الرسم والتعمل واستعمل في السفارة فسد مسدّ مثله واقرأ ببلده فانتفع به .

﴿ مشيخته ﴾

قرأ على الأستاذ الخطيب أبى محمد بن أبى السواد الباهلى وبغرناطة علي

شيخ الجماعة الأستاذ أبى جعفر بن الزبير . ومن أعلام مشيخته جده للأم خال أبيه الحكيم العارف ابو جعفر بن الخطيب والخطيب الزياتى أبو الحسن فضل ابن فضية والزبير أبو عبد الله بن رشيد .

﴿ محمد بن على بن عبد الله بن محمد بن الحاج ﴾

يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن الحاج.

كان جده من مدينة إشبيلية وهو من العارفين بالحيل الهندسية بصيراً باتخاذ الآلة الحربية الجافية والعمل بها وانتقل إلى مدينة فاس على عهد أبى يوسف المنصور بن عبد الحق واتخذ له الدولاب المنفسح القطر البعيد المدى والمحيط المتمدد الاكواب الخفىّ الحركة حسبما هو اليوم مؤثل بالبلد الجديد دار الملك بمدينة فاس أحد الآثار التي تحدو إلى مشاهدتها الركاب وبادر الصنعة بسلا وانتقل بعد مهلك أبيه إلى باب السلطان ثانى الملوك من بنى نصر ومتّ اليه بوسيلة أدنت محله وأسنت جراياته إلى أن تولى وزارة ولده أمير المسلمين أبى الجيوش نصر واضطلع بتدبيره ونقم الناس عليه إيثاره لمقالات الروم وانحطاطه فى التشبه بهم فى الاكل والحديث وكثير من الاحوال والهيئات وتطريز المجالس بامثالهم وحكمهم سمة وسم بها طفلا لسكناه بين ظهرانيهم وسبقت إلى قوى عقله المكتسب فى بيوتهم فلم تفارقه بحال وإن كان آية فى الدهاء والنظر بعيد الغور عميق الفكر قائما على الدمنة منطويا على الرضف لين الجانب مبذول البشر وحيد زمانه فى المعرفة بلسان الروم وسيرهم محكم الاوضاع فى أدب الخدمة دربا فى التصرف فى أبواب الملوك .

وكان من ثورة العامة بسلطانه ماتقدم وجهروا باسلامه اليهم وقدلوه سبب الثورة وطوقوه كياد الامة فضن به السلطان ضنانة أعربت عن وفائه

وصان مهجته واستمر الامر الى أن خلع الملك عن الملك وكان نزول المذكور تحت خفارة شيخ الغزاة وكبير الطائفة عثمان بن أبى العلا فانتقل محفوظ الجملة محوط الوفر ولم ينشب أن لجأ الى العدوة واتصل بالامير أبى حفص عمر بن السلطان الكبير أبى سعيد فحركه رغماً على محادة الله والقائه اياه باليد مدة وفل جيشه وفي أثنائه هلك المترجم له .

﴿ وفاته ﴾

توفى بفاس الجديدة فى العشر الاول من شعبان عام أربعة عشر وسبعمائة .

﴿ محمد بن رضوان بن محمد بن أحمد بن ابراهيم بن أرقم ﴾

من أهل وادى آش يكنى أبا يحيي .

﴿ حاله ﴾

كان صدراً شهيراً عالماً علما حسيباً أصيلا جم التحصيل قوى الادراك مضطلعا بالعربية واللغة اماما فى ذلك مشاركا فى علوم من حساب وهيئة وهندسة .

قال الشيخ كان في هذا كله من أبرع من لقيته الى سراوة وفضل وتواضع ودين جاريا فى ذلك على سنن سلفه وعلو محتده . جالسته رحمه الله كثيراً عند ما أدركته بغرناطة لاقامته بها وتكرر لقائى اياه بها وبغيرها فرأيت أصيلا جليلا قد جمع علما وفضلا وحسن خلق وكان حسن التقييد لخطه رونق يمتاز به ويبعد عن غيره . ولى القضاء ببلده ثم ولى بعدها برشانة فحمدت سيرته .

﴿ مشيخته ﴾

أخذ القراآت السبع عن أبى الكرم جودى بن عبد الرحمن وقرأ عليه الغريب واللغة ولازمه فى ذلك وأجاز له اجازة عامة وأخذ عن غيره ببلده

وصحب بفرناطة جملة من العلماء بها أيام اختلافه اليها.

﴿ تآليفه ﴾

ألّف كتابا سماه الاحتفال . فى استيفاء ما للخيل من الاحوال . وهو كتاب ضخم وقفت عليه . واختصر الغريب المصنف . وله تقاييد منثور ومنظوم فى علم النجوم . ورسالة فى الاسطرلاب الخطى والعمل به . وشجرة فى أنساب العرب .

﴿ وفاته ﴾

توفى ليلة السبت السابع عشر اشهر ربيع الآخر عام سبعة وخمسين وستمائة .

﴿ محمد بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن خلف [٢] بن محمد بن سليمان ابن سواد بن أحمد بن حزب الله بن عامر بن سعد بن عياش المكنى بأبى عيشون بن حمود الداخل الى الاندلس صحبة موسى بن نصير ابن عنبسة بن حارثة بن العباس بن مرداس ﴾

يكنى أبا البركات بلفيقى الاصل مرىّ النشأة والولادة والسلف ويعرف بابن الحاج وشهر الآن فى غير بلده بالبلفيقى

﴿ أوليته ﴾

قد تقدم اتصال نسبة بحارثة بن العباس بن مرداس صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد خطبائه وشعرائه رئيس فى الاسلام ورئيس فى الجاهلية . وكان لسلفه وخصوصاً لابراهيم من الشهرة بولاية الله وايجاب الحق من خلقه ماهو مشهور حسبما نطق به الفهارس يعضد هذا الجد من جهة الامومة كابى بكر صهيب وابن عمه أبى اسحق وغيرهم لكثير ممن

(١) قوله ابن خلف في نفح الطيب بعد قوله محمد بن الشيخ الولى أبي اسحق اه فليحرر

صنف فى رجال الأندلس كابى عبد المجيد المالقى وابن الابار وابن طلحة وابن فرتون وابن صاحب الصلة وابن الزبير وابن عبد الملك فلينظر هناك

﴿ حاله ﴾

نشأ ببلده المرية عمود العفة غضيض طرف الحياء حليف الانقباض والازورار آويا الى خالص النشب وبحت الطعمة لايرى الا فى منزل من سأله وفى حانق الاسانيد وفى سفره وفى مسجد من المساجد خارج المدينة المعدة للتعبد لا يجئ سوقا ولا مجمعا ولا وليمة ولا مجلسا لحاكم أو وال ولا يلابس أمرا من الأمور التى جرت عادته أن لا يلابسها بوجه من الوجوه ترامى الى وصلة فجاس خلال القطر الغربي الى بجاية نافضا اياه[1] من العلماء والصلحاء والأدباء والآثار بتقييده وإخمال قيام ذكر واغفال شهرة . ثم صرف عنانه الى الأندلس فتصرف فى الاقراء والقضاء والخطابة وهو الآن نسيج وحده فى أصالة عريقة على السلامة مفطورة ونفس ساذجة وباطن مساو للظاهر ودمعة سريعة وهزل يثمر تجلة وانبساط يفيد حسن نية الى حسن العهد وفضل المشاركة ورقة الحاشية وصلابة العود وصدق العزيمة وقوة الحامية وبلاغة الموعظة وجلة الوقت وفائدة العصر تفننا وامتناعا فارس المنابر غير هيوب ولا جزوع طيب النغمة بالقرآن مجهشا في محال الرقة كثير الشفقة لصالح العامة متأسفا لضياع الاوقات مخولا في رياسة الدين والدنيا هذا ما يسامح فيه الايجاز ويتجافى عنه الاختصار ويكفى فيه الالماع والاشارة أبقى الله شيخنا أبا البركات

(١) كذا بالاصل

﴿ ولايته ﴾

تقدم قاضيا بشالش فى جمادى الثانية عام خمسة وسبعمائة ثم تولى مرسنة والسلونة ثم كانت ولايته ورحلته الى بجاية ثم عاد فقعد بمجلس الاقراء من مالقة للكلام على صحيح مسلم متفقا على اضطلاعه بذلك . ثم رحل الى فاس ثم آب الى الاندلس واستقر ببلده المرية فقعد بمسجدها الجامع للاقراء ثم قدم قاضيا بمالقة ثم قدم بغربها مضافا الى الخطابة ثم اعيد الى قضاء المرية بعد وفاة القاضى أبى محمد بن الصائغ . ومن كتاب طرفة العصر من تأليفنا ما نصه فى خبر ولايته

فتقلد الحكم فى الثالث والعشرين لشعبان من عام سبعة وأربعين وسبعمائة يوم وصوله مستدعى من نبهاء الطلبة ووجوه الحضرة مهنئين بمثواه من دار الضيافة ومحل التجلة احدى دور الملوك بالحمراء فطفقوا يغشونه نهارا زرافات ووحدانا فى اقامة الخير والهام السداد وتسويغ الموهبة وكان بوصوله والأفق قد اغبر والارض قد اقشعرت لانصرام حظ من ايام الشتاء الموافق لشهر ولايته لم يسمح فيه الغمام بقطرة . ولا لمت السماء بنزعة حتى أحضرت الانفس الشح وحسر العسر عن ساقه وتوقفت البذور فساعده الجد بنزول الرحمة عند نزوله من درجات المنبر مجابة دعوة استسقائه ظاهرة بركة خشوعه وما ألذ ما أنشدته فى تلك الحال

ظمئت الى السقيا الاباطح والربى ... حتى دعونا العام عاما مجدبا

والغيث مسدول الحجاب وانما ... علم الغمام قدومكم فتأدبا

وتولى النظر فى الاحكام فأجال قداحها مطلما باصالة النظر وارجاء المشبهات

وسلك فى الخطابة طريقة مثلى يفرغ فى قلوب قوالب البلاغة أغراضها ويصرف على أحكام الكوائن والبساطات اساليبها من المحاكمات باختلاف القبض والبسط وللوعد والوعيد وحظوظها على مقبض العدل وسية الصواب يقوم على كثير مما يصدع به من ذلك شاهد البديهة ودليل الاستيعاب . قال شيخنا ابو البركات ثم صرفت عنها للسبب المتقدم وبقيت بها مقيما لما اشتهر من وقوع الوباء بالمرية ثم أعدت الى القضاء والخطابة بالمرية وكتب لى بذلك فى أوائل رجب عام سبعة وأربعين وبقيت على ذلك الى ان صرفت بسبب ما ذكر . ثم اعدت اليها أواخر رجب سنة ست وخمسين عسى ان يكون الانقطاع لله سبحانه وأنا الآن أتمثل بما قال أبو المطارف بن عميرة رحمه الله

قد نسبنا الى الكتابة يوما ثم جاءت خطة القضاء تليها
وبكل لم نلق للمجد الا منزلا نائيا وعيشا كريها
نسبة بدلت فلم تتغير مثلما يزعم المهندس فيها

بدلت لفظ الخطابة بالكتابة . وأغرب ما رأيت ما أحكى لك وأنت أعلم بذلك ان أفضل ما صدر عنى فى تلك الخطة العمل الذى رجوت المثوبة عليه وفيه مع ذلك مفخر لمن أراد أن يفتخر غير ملتفت للدنيا فعليه سبحانه عولت اه كلامه

﴿ تصانيفه ﴾

كتب الى بخطه مانصه وهو فصل من فصول وأما تآليفي فاكثرها غير متممة فى مبيضات: منها كتاب قد يكبو الجواد فى اربعين غلطة فيما أشكل من نسبة للنسب ومنها كتاب قد رجم فى نظم الجمل . ومنها كتاب خطر فبطر . ونظر فخطار على تنبيهات علي وثائق ابن فتوح . ومنها كتاب الافصاح فيمن عرف بالاندلس بالصلاح . ومنها حركة الدخولية فى المسألة المالقية . ومنها

خطرة المجلس في كلمة وقعت في شعر استنصر به أهل الأندلس في جزء صغير . ومنها تاريخ المرية غير تام . ومنها ديوان شعره المسمى بالعذب والاجاج في شعر أبي البركات ابن الحاج . ومختصره سماه القاضي الشريف اللؤلؤ والمرجان اللذان من العذب والأجاج يستخرجان . ومنها عرائس بنات الخواطر المجلوة على منصات المنابر يحتوي على فصول الخطب التي انشئت طول (١) والخطابة . ومنها المؤتمن على أنباء أبناء الزمن . ومنها تأليف في اسماء الكتب والتعريف بمن ألفها على حروف المعجم . ومنها ما اتفق لأبي البركات فيما يشبه الكرامات . ومنها مارأيت وما رأى لي من المقامات . ومنها المرجع بالدرك على من أنكر وقوع المشترك . ومنها مشبهات اصطلاح العلوم ومنها الفلسفيات . ومنها ماصدر عني من الكلام على صحيح مسلم أيام التكلم عليه . ومنها الفصول والأبواب في ذكر من أخذ عني علما من الشيوخ والأتباع والأصحاب

ثم قال وقد ذهب شرخ الشباب ونشاطه وتقطعت اوصاله ووصل رباطه وأصبحت النفس تنظر في هذا كله بعين الاهمال والاغفال وقلة المبالاة التي لا يصل أحد بها الى منازل الرجال وهذه الاعمال لا ينشط اليها الا المحركات التي هي مفقودة عندي أحدها طلبة مجتمعون معطوشون الى ماعندي متشوفون غاية التشوف واين هذا بالمرية . الثاني طالب رياسة على هذا وأنى يراس احد بهذا اليوم وعلى تقدير أن يراس به وهو محال في عادة هذا الوقت فالتشوق لهذه الرياسة مفقود عندي . الثالث علا يد من يظهر مثل هذا على يده غبطة وما تم هذا (٢) الرابع نية خالصة لوجه الله تعالى في

(١) بياض بالاصل (٢) كذا بالاصل ولا يخفى مافيه

الافادة وهذه أيضاً مفقودة مني ولا بد من الانصاف. الخامس قصد بقاء الذكر وهذا خيال ضعيف بعيد عني. السادس الاشفاق على شيء ابتدئ وسعى فى تحصيل مباد بدان يضيع على قطع ماسوى هذا الاشفاق[1] وهذا السادس فى نفسي منه شيء أنا أقيد أسماء من لقيت وما اخذت ويكون ان شاء الله ابرازهذه اذا الصحف نشرت واكثر زماني يذهب فى الخروج عماانا فيه ينظر الى العاقل في هذا الوقت بعين البصيرة فلا يسعه الا الشفقة علي والرحمة لى فانه يرى رجلا مطرقا اكثر نهاره ينظر الى مآله ولم ينظر الى صلاحه وهو يافع ولم يتلبس بالعبادة وهو فى زمانها المقارب للفوت ولا ينهض الى اقامة حق كما ينبغى لعدم المعين ولا يجنح الى شيء من راحات الدنيا وشاهد من علوم الباطن الذى لا طاقة له على دفعه مما يضيق صدر الحر يقضى نصف النهار محتلا فى مكان غير حسن تارة يفكر وتارة يكتب ما هو على يقين من أنه كذا لا ينتفع به ونصف النهار يقعد للناس تارة يرى ما يكره وتارة يسمع ما يكره لا صديق يذكره بأمر الآخرة ولا صديق يسليه بأمر الدنيا يكفيني من هذه القذارة اللهم اليك المشتكى يامن بيده الخلق والامر ولا حول ولا قوة الا بالله

﴿ شعره ﴾

من مطولاته فى النزعة الغريبة التى انفرد بها منقولة من ديوانه قال وهو مما نظمته بسبتة فى ذى الحجة من عام خمسة وعشرين وسبعمائة فى وصف حالى وأخذها عنى الاستاذ بسبتة أبو عبد الله بن هانئ والاديب البارع أبو القاسم الحسيني وأبو القاسم بن حزب الله وسواهم ولما انفصلت

(١) كذا بالاصل ولا يخفى ما فيه

من سبتة الى بلاد الريف زدت أبياتا فى اولها وكثر ذلك بوادى آش من بلاد الريف وهى

تأسفت لكن حين عزّ التأسف	وكفكفت دمعا حين لاعين تذرف
أُراقب قلبي مرة بعد مرة	فألفيه ذيّاك الذى أنا أعرف
ورام سكونا وهو فى الرحل سائر	ونادى بانس والمنازل ترجف
سقيم ولكن لا يحس بدائه	سوى من له فى حالة الموت موقف
وجاذب قلبا ليس يأوى لمألف	وعالج نفسا داؤها يتضاعف
وأعجب ما فيه استواء صفاته	اذ الهم يشقيه او السرّ يترف
اذا حلّت الضراء لم ينفعل لها	وان حلت السراء لا يتكيف
مذاهبه لم تبد غاية أمره	فؤادى لعمرى لا يرى منه أسرف
فما أنا من قوم قصارى همومهم	بنوهم وأهلوهم وثوب وارغف
ولا لى بالاسراف فكر محدث	سيغدو حبيبي أو بشيرى يطرف (كذا)
وما انا ممن لهوه جُلّ شأنه	بروض أنيق اوغزال مهفهف
ولا أنا ممن أنسه غاية المنى	بصوت رخيم أونديم وقرقف
ولا أنا ممن تزدهيه مصانع	ويسبيه بستان ويدنيه مخرف
ولا أنا ممن همه جمها فان	تراءت له يسعى لها وهو مرجف
على أن دهرى لم تدع لى صروفه	من المال الا مسحة أو مجلّف
ولا أنا ممن هذه الدار همه	وقد غره منها جمال وزخرف
ولا أنا ممن للسؤال قد انبرى	ولا أنا ممن صين عنه التعطف
ولا أنا ممن نجّح الله سعيهم	فهمتهم فيها مصلّى ومصحف
فلا فى هوى أضحى الى اللهو قائدا	ولا فى تقى أمسى الى الله يزلف

أحارب عهدى فى نقيض طباعه وحربك من يقضى عليك تَعجرُف
وأنظره شزرا بأصلف ناظر فيعرض عنى وهو أزهى وأصلف
وأضبطه ضبط المحدث صحفه فيخرج فى التصحيف انى مصحّف
ويأخذ منى كل ما عز نيله ويبدو بجهلى منه فى الاخذ مختف (كذا)
ادور له فى كل وجه لعلنى سأثبته وهو الذى ظل يحذف
ولما يئسنا منه تهنا ضرورة فلم يبق لى فيها عليه تشوف
تكلفت قطع الارض أطلب سلوة لنفسى فما أجدى بتلك التكلف
وخاطرت بالنفس العزيزة مقدما اذا ما تخطى النعل قصر مرهف
وصرّفت نفسى فى شؤن كثيرة لحظى فلم يظفر بذاك التصرف
وخضت لأنواع المعارف أبحرا ففى الحين ما استخرجتها وهى تنزف
ولم أحظ من تلك المعانى بطائل وان كان أهلوها أطالوا وأسرفوا
وقد مرّ من عمرى الالذّ وها أنا على ما مضى من عهده أتلهف
وانى على ما قد بقى منه ان بقى لحرمة ما قد ضاع لى أتخوف
أعدّ ليالى العمر والفرض صومها وحسبك من فرض المحال تعسف
على انها ان سلّمت جدلية تعارض آمالا عليها نهفهف
تحدثنى الآمال وهى كذينها تبدل فى تحديثها وتحرّف
بانى فى الدنيا سأقضى مآربى وبعد يحق الزهد لى والتقشف
وتلك امانٍ لا حقيقة عندها أفى قرنى الضدين يبقى التكلف
ورب ذوى حلم شكوت اليهم ولكن لفهم الحال اذ ذاك لم يفوا
فبعضهم يزرى علىّ وبعضهم يغض ويرثى بعضهم ثم يصدف
وبعضهم يومى الىّ تعجبا وبعض بما قد رابه يتوقف

يسيء استماعا ثم بعد إجابة … على غير ما تحذوه يحذو ويخصف
فلا هو يبدى لى علىّ تعقلا … ولا هو يزرى بى ولا هو يُعنف
وما أمرنا الا سواء وانما … عرفنا وكل منهم ليس يعرف
فلو قد فرغنا من علاج نفوسنا … وحطوا الدنايا من عيوب وانصفوا
أما لهم من علة أرمت بهم … ولم يعرفوا اغوارها وهى تتلف
وقفنالهم فى الكتب عن كنه امرهم … ومثلى عن تلك الحقائق يكشف
وصنفت فى الآفات كل غريبة … فجاء كما يهوى الغريب المصنَّف
وليس عجيبا من تركب جهلهم … اذا نحن مثلناه ازهى واسخف
فما جاءنا الا بامر مناسب … اينهض من كف الجبان المثقّف
ولكن عجيب الامر علمى وغفلتى … فديتكم أسى المحاسن اكشف
الا انما الاضداد يظهر سرها … اذا ماوقى المقدور فالراى يخلف
أيارب ان اللب طاش بما جرى … به قلم الاقدار والقلب يرجف
وانا لندعوهم ونخشى وانما … على رسمك الشرعى من لك يمكف
أقول وفى اثناء ما أنا قائل … رأيت المنايا وهى لى تتخطف
وانى مع الساعات كيف تقلبت … لاسهمها ان فوّقت متهدّف
وما جرذا التسويف الا شبيبتى … تخيّل لى طول المدى فأسوف
اذا جاء يوم قلت هوّ الذى يلى … ووقتك فى الدنيا جلس مخفف
أقدم رجلا عند تأخير أختها … اذا لاح شمس فالكواكب تكسف
كأنى لنجدىّ المراقد منهم … ولم أدعهم والحصن بان ينطف (كذا)
وهبنى اعيش هل اذا شاب مفرقى (كذا) وولى شبابى هل يباح التسوف
وكيف ويستدعى الطريق رياضة … وتلك على عصر الشباب توطف

متى يقبل التقويم غـير مطيقه . . . .
ولو لم يكن الا ظهور لسره اذا ما دنا التدليس هان التنطف
اقول الاسـارى انت اولى بعذرهم وانت على المملوك امرى واعطف
قذفنا بلج البحر والغير آخذ بارجلنا والريح بالموج تعصف
وفى الكون من سر الوجود عجائب اطلّ عليها العارفون وأشرفوا
وقفت عليهم وقفة فتأخروا وددت بأن القوم بالكل اسعفوا
فليس لنا الا نحط رقابنا بابواب الاستسلام والله يلطف
فهـذا سبيل ليس للعبد غيره والا فماذا يستطيع المكلف

وقال وضمنها محاورة بينه وبين نفسه وقيدتها عنه زوال يوم الثلاثاء التاسع والعشرين لمحرم عام خمسة وسبعين وسبعمائة برابطة العقاب متعبد الشيخ ولى الله ابى اسحق الالبيرى رحمه الله

يأبى شجون حديثى الافصاح اذ لا تقوم بشرحه الالواح
قالت صفية ذ مررت بحيها أفلا تنزل ساعة ترتاح
فاجبتها لولا الرقيب لكان ما تبغى له بعد الغدوّ رواح
قالت وهل فى الحىّ حىّ غيره فاسمح فديتك فالسماح رباح
فاجبتها ان الرقيب هو الذى وردت مناهل فيضه الارواح
وهو الشهيد على موارد عبده سيّان ما الاخفاء والافصاح
قالت واين يكون جود الله اذ نخشى ومنه هذه الافراح
فافرح باذن الله جلّ جلاله واشطح فنشوان الهوى شطّاح
وانهج على ذمم الرجاء ولا تخف فالحكم رحب والنوال مباح

وانزل على حكم السرور ولا تُبَلْ[١] فالوقت صافٍ ما عليك جناح
واخلعْ عذارك فى الخلاعة يا اخى باسم الذى دارت به الاقداح
وانظر الى هذا النهار فسنّه ضحكت ونور جبينه وضّاح
أنواره ضحكت واترع كاسه فقد استوى ريحانه والراح
وانظر الى الدنيا بنظرة رحمة لجفاؤها بوفائها ينزاح
لاتعذل الدنيا على تلوينها فلاليلها بعد المساء صباح
فأجبتها لو كنت تدرى ما الذى يبدو لتاركها وما يلتاح
ما كان معنى غامض من اجله قد ساح قوم فى الجبال وصاحوا
حتى لقد سكروا من الامر الذى هاموا به عند العيان وساحوا
لعذرتنى وعلمت انى طالب ما الزهد فى الدنيا له مفتاح
فاترك صفية قارعا باب الرضى والله جلّ جلاله الفتاح
ياحىّ حىّ على الفلاح وخلّنى لجماعتى حثّوا المطىّ وراحوا

وقيّدت من خطه فى جملة ما كتب به الىّ ما نصه

ومما نظمته بغرناطة وبعضه بيرجة وهو مما يعجبنى واظنّه كتب لك وهو غريب المنزع وانه لكما قال

خذها على رغم الفقيه سلافة تجلى بها الاقمار فى شمس الضحى
أبدى أطباء القلوب لاهلها منها شرابا للنفوس مبرحا
واذا امرؤ قد قال فى نشوانها قل انت بالاخلاص فيمن قد صحا
ياقوتة دارت على أربابها فاهتزت الاقدام منها والالحا
مزجت فغار الشيخ من تركيبها فلذاك جرّدها وصاح وصرحا

(١) قوله لاتبل اي لاتبال اه

وبدت مغار الشيخ من اظهارها فاشتد يبدو الحجاب ملوّحا
لا تعترض ابدا على مسترفد قد غار من استارها ان يفتحا
وكذاك لا تعتب على مستهتر لم يدر ما الايضاح لما اوضحا
فالبعض قد يهوى الهروب وبعضهم قد ضاق ذرعا بالغرام فبرّحا
لا تخشين على العدالة هاتفا نظر ارتياح العاشقين لجرّحا
الحب خمر العارفين فوظفت حتما على من ذاقها ان يشطحا
فاشطح على هذا الوجود واهله عجبا فليس براجح من رجحا
كبّر عليهم إنهم موتى على غير الشهادة ما اغرّ واقبحا
واهزأ بهم فتى يقل نصحاؤهم اهجع فقل حتى ألاقى مفلحا
وإذا أريبهم استخف فقل له بالله يايحيي بن يحيي دع جحا
أبى سليم قد نحا مجنونكم مجنون ليلى العارفين به نحا
هل يستوى من لم يبح بحبيبه مع من بذكر حبيبه قد أفصحا
فافرح وطب وابهج وقل ماشئته ما أفلح الفقراء بل ما أملحا

ومن مقطوعاته التى هى آيات العجائب وطرر حلل البدائع فى اسنى الاغراض والمقاصد قوله يعرض لبعض الطلبة وقد استدركه ببعض حلق العلم بسبتة

ان كنت ابصرتك لا ابصرت بصيرتى فى الحق برهانها
لا غرو أنى لم أشاهدكم فالعين لا تبصر انسانها

ومنها قوله فى غرض التورية وهو بديع فى معناه

يلوموننى بعد العذار عن الهوى ومثلى فى وجد به لا يفند
يقولون لى أمسك فذا الصبح قد بدا وكيف يرى الامساك والخيط اسود

ومنها قوله وهو من الغريب البديع

ومصفرة الخدين مطوية الحشا على الجبن والمصفر يؤذن بالخوف
لها هيئة كالشمس عند طلوعها ولكنها فى الحين تغرب فى الجوف

ومنها قوله فى النصح وله حكاية تقتضى ذلك

لا تبذلن نصيحة الا لمن تلقى لبذل النصح منه قبولا
فالنصح ان وجد القبول فضيلة ويكون ان عدم القبول فضولا

ومنها فى الحكم

ما رأيت الهموم تدخل الا من دروب العيون والآذان
غض طرفا وسد سمعا ومهما تلق هما فلا تثق بضمان

ومنها قوله وهو من المعانى المبتكرات

حزنت عليك العين يامغنى الهوى فالدمع منها بعد بعدك مارقا
ولذاك قد صبغت بلون أزرق أو ماترى ثوب المآتم أزرقا

ومنها قوله فى المعانى الغريبة قال مما نظمته فى عام أربعة وأربعين فى التفكر فى المعانى

أبحث فيما أنا حصلته عند انغماض العين فى جفنها
احسبنى كالشاة مجترة تمضغ مايخرج من بطنها

ومنها وقال ومما نظمته بين أندرش وبرجة عام أربعة وأربعين وأنا راكب مسافر وهو مما يعجبنى اذ ليس كل مايصدر عنى يعجبنى قلت ويحق أن يعجبه

تطالبنى نفسى بما ليس لى به يدان فاعطيها الامان فتقبل
عجبت لخصم لج فى طلباته يصالح عنه بالمحال فيفصل

ومنها قال ومما نظمته فى السنة المذكورة فى ذم النساء

ما رأيت النساء يصلحن الا للذى يصلح الكنيف من أجله

فعلى هذه الشريعة صالحـ ـون لا تعد بامرئ عن محله

ومنها قال ومما نظمته فى السنة المذكورة

قد هجوت النساء دهرا فلم أبـ ـلغ لأدنى صفاتهن الذميمة

ماعسى أن أقول فى هجو من قد خصه المصطفى باقبح شيمة

او يبقى لنا من العقل والديـ ـن اذا عدت المثالب قيمة

ومنها قال ومما نظمته فى تاريخ لا أذكره الآن هذين البيتين لم أرمعناهما لمن مضى ولو رحل رجل الى خراسان ولم يأت إلا بهما كان ممن لم يخفق مسماه ولا أجدب مرعاه ينفتح بهما للقلب باب من الراحة فسيح اذا اجهده ما يكابده من المضاضة ونقض العهود واخلاف الوعود وهذه المحنة من شر ما ابتلى به بنو آدم شنشنة نعرفها من أمرهم ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى

رعى الله اخوان الخيانة انهم كفونا مؤنات البقاء على العهد

فلو قد وفوا كنا اسارى حقوقهم نراوح ما بين النسيئة والنقد

وقال يداعبنى وعلى سبيل الكناية يخاطبنى ولقد رأيت رجلا ببلاد الهند يعرف بابى البركات بن الحاج وكان له بركة فى بستان فقلت أهجوه عام اربعة واربعين وسبعمائة

قالوا ابو البركات ملح ماؤه فغدا ابا البركـ ـات لا البركات

قلنا لأن يكنى بموجوداته أولى من أن يكنى بمعد ومأته

قال ومما نظمته عام خمسة واربعين وسبعمائة

قد كنت معد وما بعلمى وما أبت من وعظى بين البشر

من حيث قد املت إصلاحهم بالوعظ والعلم نخار النظر

فلم أجد أوعظ للناس من   أصوات وعاظ جلود البقر

قال ومما نظمته بمرسى تلمى بلد هنين (كذا) عام ثلاثة وخمسين وقد اصابنى هوس فى البحر وخاطبت به بعض الاصحاب

رأسى به هوس جديد لا الذى   تدريه من هوس قديم فيه
قد جل ما ابديه من هذا كما   قد جل من ذاك الذى أخفيه

قال ومن الملح قولى وقد بت بحمام الخندق من داخل المرية ليلة الجمعة الثانى من شهر محرم عام اثنين وثلاثين وسبعمائة منفردا فطفى المصباح وبقيت مفكرا نخطر ببالى ما يقول الناس من تخييل الجن فى الارحاء والحمامات وعدم اقدام الناس الا ما شذ عند دخولها منفردين بالليل لاسيما فى الظلام واستشعرت قوة من نفسى عند ذلك وعرضت لى أوهام فقلت مرتجلا رافعا بذلك صوتى

زعم الذين عقولهم مقدارها   ان عرضت للبيع غير ثمين
ان الرحا معمورة بالجن والـ   ـحمام عندهم كذا بيقين
ان كان ماقالوه حقا فاحضروا   للحرب هذا اليوم من صفين
فلئن حضرتم فاعلموا بحقيقة   انى مضارع قيس المجنون

قال ودخلت يوما رياضا فوجدت كساء منشورا للشمس لم أعرفه من حوائجى ولا من حوائج حارسة البستان فسألتها فقالت لجارتى فقلت

من منصفى من جارة جارت على   مالى كانى كنت من أعدائها
عمدت الى الشمس التى انتشرت على   أرضى وفيها قد رمت بكسائها
لولا غيوم يوم تيبس الكسا   يسرى لحجب السحب جل ضيائها (كذا)
لقضيت من ذاك الخسار لانى   أصبحت مزوارا على بخلائها (كذا)

قال وسرت الى مغنى بحمة بجاية وسار معى كلب كان يحرس رياضى

اسمه قطمير وهو فيما يذكر اسم كلب أهل الكهف فى بعض الاقوال فتبعنى من الحمة الى المرية [١] فقلت

رحلت وقطمير كلبي رفيقي ... يؤانس قلبي بطول الطريق
فلما أنخت أناخ حذائى ... يلاحظنى لحظ خل شفيق
ويرعى أذمة رفقى كما ... راعى الصديق الصدوق الصديق
على حين قومى بنى آدم ... بلؤمهم لم يوفوا حقوقى
ولا فرق بين الاباعد منهم ... وبين أخ مستحب شقيق
أو ابن متى تلقه تلقه ... هوى اشتياق بقلب خفوق
فما منهم من ولى حميم ... ولا ذى إخاء صحيح حقيق
وناهيك ممن يفضل كلبا ... عليهم فياويلهم من رفيق
ألا من يرق لشيخ غريب ... أبى البركات الفتى البلفيق

وقال ومما نظمته بتاريخ لاأذكره هذان البيتان

وانى لخير من زمانى وأهله ... على أننى للشر أول سابق
لحا الله دهرا قد تقدمت أهله ... فتلك لعمر الله احدى البوائق

ومن النزعات الشاذة الاغراض

لا بارك الله فى الزهاد انهم ... لم يتركوا عرض الدنيا افضلهم
بل أثقلتهم تكاليف الحياة فلم ... يصابروها فملوا ثقل حملهم
وعظم الناس منهم تركها فغدوا ... من غبطة الناس فى حرص لاجلهم
نعم أسلم أن القوم قد زهدوا ... ذلا وأغلى أناس فضل تركهم
من حيث قد أحرزوا الترجيح دونهم ... لاشئ أحسن من ترجيح فضلهم

(١) في مجموع عبارته نظر

فالمال والجود والراحات غاية ما ... يحكى لنا الزهـد فى ذا عن أجلّهمُ
والزاهدون براحات القلوب معا ال ... أبدان قرّوا وعزّوا بعد ذلّهم
فـكل مافرّقوا قد عوّضوا غرضا ... منه وزادوا ثناء الناس كلّهم

قال ومما نظمته عام أربعين فى ذم الخمر من جهة الدنيا لا من جهة الدين اذ ليس بغريب

لقد ذم بعض الخمر قوم لانها ... تكر على دين الفتى بفساد
وقد سلموا قول الذى قال انها ... تحل من الدنيا باعظم ناد
وتذهب بالمال العظيم فلن ترى ... لمدمنها من طارف وتلاد
فيمسى كريما سيدا ثم يغتدى ... سفيها حليف الغىّ بعد رشاد
وقالوا تسلّى وهو عاريّة لها ... والا فلم يأتوا لذاك بشاد

. . . .

وخلّ يداوى من مرارتها التى ... أواخرها مضروبة بقتاد
ولو أشرب الانسان مُهلا بعهده ... لاصبح مسرورا باطيب زاد
ومن حسن حال الشاربين أنهم ... يرومونها بالرغم برق وساد (كذا)
ومن حسن ذا المحروم أن مدامه ... اذ غلبت تكسوه ثوب رقاد
فيختلف الندمان طرا لروحه ... ويحدوهم نحو المروءة حادى
ومن حظه بين الورى ضرب ظهره ... فيمسى بلا حرب رهين جلاد
مجانين فى الاوهام قد ضل سعيهم ... يخففون بيعا بحسن وعاد

ومن نظمه فى المناحة على نفسه واستبعاد وجود المطالب فى جنسه قال مما نظمته يوم عرفة عام خمسين وسبعمائة وأنا منزو فى غار ببعض جبال المرية

زعموا أن فى الجبال رجالا ... صالحين قالوا من الأبدال

وادعوا أن كل من ساح فيها   فسيلقاهم على كل حال
فاخترقنا تلك الجبال مرارا   بنعال طورا ودون نعال
ما رأينا بها خلاف الافاعى   وشبا عقرب كمثل النبال
وسباعا يجررن بالليل عدوا   لاتسلنى عنهم بتلك الليالى
ولو أنا كنا لدى العدوة الاخرى رأينا نواجذ الريبال
واذا أظلم الدجا جاء إبليس الينا يزور طيف خيال
هو كالانيس فيها ولولاه أصيبت عقولنا بالخبال
خل عنك المحال يامن تمنى   ليس تلقى الرجال غير الرجال

قال ومن المنازع الغريبة ذم الاصحاب ومدح الاعداء فمن ذلك قولى

جزى الله بالخير أعداءنا   فوردهم رائد المصدر
هم حملونا على العرف كرها   وهم صرفونا عن المنكر
وهم أقعدونا بمجلس حكم   وفيهم رقينا على المنبر
وهم صيرونا ائمة علم   ودين وحسبك من مفخر
عدوى يؤول خيرى بشر   وان جئت بالاثم لم يعذر
وانت ترى فرق من يعدل   بين المسئ وبين البرى
ولا زود الله اصحابنا   بزاد تقى ولا خير
هم جرؤنا على كل اثم   وما كنت لولاهم مجترى
عفوا عن أكابر آثامنا   فكانوا أضر من القاتر
أعارنى القوم ثوب التقى   وانى مما أعاروا برى
اذا خدعونى ولم ينصحوا   وانى بالنصح منهم حرى
فمن كان يكذب حال الرضا   ويصدق فى غضب مفترى

بلى سوف تلقى لدى الحالتين　　بحكم هوى النفس حكم القرى

فيارب أبق علينا عقولا　　نبيع بها ثم لا نشترى

قال وما رأيت هذا المعنى قط لأحد ثم رأيت بعد ذلك لبعضهم ما معناه

عداتى لهم فضل على ومنة　　فلا أذهب الرحمن عنى الاعاديا

فهم بحثوا عن زلتي فاجتنبتها　　وهم نافسونى فاكتسبت المعاليا

فوقع حافرى على ساق هذا قال ومما نظمته متخيلا انى سابق لمعناه

خلسنا ليلة من كف دهر　　ضنين بالليالى الطيبات

سلكنا للهوى والعقل فيها　　مسالك قد بعدن عن الشتات

قضينا بعض حق النفس فيها　　وحق الله مرعى الثبات

فلم نر قبله فى الدهر وقتا　　بدت حسناته في السيئات

ثم اطلعت بعد ذلك على هذا

(١) لاولتان على المصلى (كذا) تسرق فى نسكها الذنوب

فوقعت ساقى على حافر هذا المحروم الا انى جردت ذلك فى المعنى واوضحته وجلوته على كرسى التقميد والتنجيد فلولا التاريخ لعاد سارق البرق وأما نثره فنمط مرتفع عن معتاد عصره استنفارا وبلاغة واسترسالا وحلاوة قلما يعرج على السجع اويمر على التكلف وهو كثير بحيث لا تغيض عيونه لكن نلمع منه بنبذة ونجلب منه يسيرا كتب الىّ عندإيابى من الرسالة الى ملك المغرب متمثلا ببيتين لمن قبله

يا أيتها النفس اليه اذهبي　　فحبه المشهور من مذهبي

أيأسنى التوبة من حبه　　طلوعه شمسا من المغرب

---

(١) قوله لأولتان الخ كذا فى الاصل

بل نجلك عن التمثيل بالشمس فلو كان طلوعك على هذه الاقطار كطلوعها لاصبح جلها لك عبادولو كان نزولك مطرا لتكيفت الصخور ترابا دامثا ولولا معرفتنا معشر اخوان الصفا باسرار أنفسنا لحكمنا بان قلوبنا تحابى لاصدقائنا ولكن سبقت عيون السعادة بالجلال . فلم تصادف بالرضا محلا لان تحصيل الحاصل محال لازلت محروسا بعين الذى لاتأخذه سنة ولا نوم

وكتب الىّ عند ماتقلدت من رياسة الانشاء ماتقلدت تخصكم يامحل الابن الأرضى ولادة والأخ الصادق اخلاصا وودا خصكم الله من السعادة باعلاها مرقى وأفضلها عقبي وأحمدها غنى وأكرمها مسمى تحية اسماد الى أيام لقائه من المسلى عنها بتأميل العود اليها المزجى أوقاته بترديد الفكر فيها محمد بن الحاج أبقاه الله عن شوق والذى لااله الا هو لم أجد قط مثله الى ولىّ حميم والله على مانقول وكيل [١] معرفا أنني بعلاقه ويصليني عن كسره لجامعه لما اغتنى به من توقلكم بالرتبة التى مازال أحباؤكم منطوين على أنك لم تردبذلك رتبة على ما كنت باعتبار الأهلية والمكانة العلية الا عند الاطفال والاغفال والمخانة من النساء والرجال لكن أفرغنا هذه المخاطبة المحيطة في قالب الجمهور فلم تسرفيها على الاصح لكن على الجمهور ولو كانت مصارف الوجود بيدى لوافتك من الوجود منازل سمائه منازل وأوطأتك افلاكه مراكب وأوردتك كوثره مشربا وأحللتك ارفعه معقلا واقبستك بدره مصباحا واهديتك أسراره تحفا وقد تبلغ المقاصد مبالغ لاتنتهى اقاصيها الاعمال فنحن ومانضمره لتلك الجملة الجليلة الفاضلة مما الله رقيب عليه ومحيط برقائقه ولو كانت لهذ العبد الغافل الماسور في قيد نفسه المحزون

---

(١) قوله معرفا انني الخ كذا فى الاصل ولا يخفي ما فيه .

بانتهاب الايام رأس عمره فى غير شئ دعوة فيماعدا هذا الوجه لجد حتى يغلب
على ظنه أن العليم بذات الصدور ولاها من قبوله بارقة يخصك بها والله شهيد
على ماتكنه الأفئدة وهو حسبنا ونعم الوكيل . والفضل جمّ والمحاسن عديدة
فلنقتصر اضطراراً ونكف امتثالا للرسم وانقياداً أمتع الله به

﴿ محمد بن عبد الله بن منظور القيسى من أهل مالقة ﴾

يكنى أبا بكر .

﴿ أوليته ﴾

اصله من اشبيلية من البيت المشهور بالتعين والتقدم والأصالة تشهد
بذلك جملة أوضاع منها الروض المحظور فى اوصاف بنى منظور وغيره

﴿ حاله ﴾

(من كتاب عائد الصلة) كان جمّ التواضع والتخلق كثير البر عظيم الحشمة
مبذول البشر عظيم المشاركة سريع اللسان الى الثناء مسترسلا فى باب الاطراء
دربا على الحكم كثير الحنكة قديم العائلة بصيراً بالشروط . ولى القضاء بجهات
كثيرة وتقدم بمالقة بلده فشكرت سيرته وحمد أمره وكان سريع العبرة كثير
الخشية حسن الاعتقاد معروفا بالايثار والصدقة شائع الاقراء لمن ألم بصقعه
واجتاز على محل ولايته جاريا على سنن سلفه ينظم وينثر فلا يقصر .

﴿ مشيخته ﴾

قرأ على الاستاذ أبى محمد بن أبى السداد ولازمه وانتفع به وسمع
على غيره من الأعلام كالخطيب الولى أبى عبد الله الطنجالى والعدل
الراوية المسن أبى عبد الله بن الاديب والمسن أبى الحكم مالك بن المرحل
وعلى الشيخ الصوفى أبى عبد الله محمد بن أحمد الاقشرى الفاسى ولبس

عنه خرقة التصوف وعلى الخطيب أبى عبد الله بن رشيد وعن الشيخ القاضى أبى المجد الاحوص وعلى ابن مجاهد الرندى المعروف بالسمار والخطيب أبى العباس بن خميس بالجزيرة الخضراء وعلى الخطيب الزاهد أبى عبد الله السلال وكتب اليه بالاجازة أبو عبد الله بن الزبير والفقيه أبو الحسن بن عقيل الرندى والوزير المعمر أبو على الطنجى وأبو الحكم بن منظور ابن عم أبيه والاستاذ أبو عبد بن الكمال . نقلت ذلك من خطه .

﴿ تآليفه ﴾

أخبرنى أنه ألف نفحات المسوك وعيون التبر المسبوك فى أشعار الخلفاء والوزراء والملوك . وكتاب السحب الواكفه والظلال الوارفه فى الرد على ما تضمنه المضنون به على غير أهله من اعتقاد الفلاسفه . وكتاب الصيّب الهتان الواكف بغايات الاحسان المشتمل على أدعية مستخرجة من الاحاديث الصحيحة النبوية وسور القرآن . وكتاب البرهان والدليل فى خواص سور التنزيل . وكتاب يشتمل على أربعين حديثاً فى الرقائق موصولة الاسانيد . وكتاب تحفة الابرار فى مسالة النبوة والرسالة وما اشتملت عليه من الاسرار . وكتاب العمل المبرور والسعى المشكور فيما وصل اليه أو تحصل لديه من نوازل القاضى أبى عمر بن منظور .

﴿ شعره ﴾

من شعره قوله

ماللمطاس ولا للفال من أثر … فثق فديتك بالرحمن واصطبر
وسلم الامر فالاحكام ماضية … تجرى على السنن المربوط بالقدر

﴿ محمد بن على بن الخضر بن هرون الغسانى ﴾

من أهل مالقة يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن عسكر .

﴿حاله﴾

(من كتاب الذيل والتكملة) كان محربا مجوادا نحويا متوقد الذهن متفننا في جملة معارف ذا خط صالح من رواة الحديث تاريخيا حافظا فيها مشاركا في باقي الفنون متين الدين تام المروءة سنيا فاضلا معظما عند الخاصة والعامة حسن الخلق جميل العشرة رحيب الصدر مسارعا الى قضاء الحوائج شديد الاحتمال محسنا الى من أساء اليه نفاعا بجاهه سمحا بذات يده متقدما في عقد الوثائق بصيرا بمعانيها سريع البديهة في النظم والنثر مع البلاغة والاحسان في الفنين .

ولي قضاء مالقة نائبا عن القاضي أبي عبد الله بن الحسن مدة ثم ولي مستبدا بتقديم الامير أبي عبد الله بن نصر يوم السبت لثمانين بقيتا من رمضان عام خمس وثلاثين وستمائة وأشفق من ذلك وامتنع منه فلم يسعفه فتقلدها وسار فيها أحسن سيرة وأظهر الحقوق التي كان الباطل قد غمرها ونفذ الاحكام وكان ماضي العزيمة مقداما مهيبا جزلا في قضائه لا تأخذه في الله لومة لائم واستمر على ذلك بقية عمره .

﴿ مشيخته ﴾

روى عن أبي اسحق [1] وأبي بكر بن عتيق وأبي جعفر الجيان وأبي الحسن الشقوري وأبي الحجاج بن الشيخ وأبي الخطاب بن واجب وأبي زكريا الاصبهاني نزيل غرناطة .

﴿ من روى عنه ﴾

---

(١) بياض بالاصل

روي عنه أبو بكر بن خميس ابن أخته وأبو الدون وأبو عبد الله بن بكر الألبيرى وحدث عنه بالاجازة أبو عبد الله بن الابار وأبو القاسم بن عمران وكتب بالاجازة للعراقيين من أهل بغداد الذين استدعوها من أهل الاندلس حسبما تقدم في رسم أبى بكر بن هشام وضمنها نظما ونثراً اعترف له بالاجادة فيهما.

﴿ تصانيفه ﴾

صنف كتباً كثيرة أجاد فيها وأفاد منها المشرع الروىّ في الزيادة على المروىّ . ومنها أربعون حديثا التزم فيها ما وافق اسم شيخه الصابئ وما أراه سبق الى ذلك وهو شاهد بكثرة شيوخه وسعة روايته . ومنها نزهة الناظر فى مناقب عمار بن ياسر . ومنها الخبير المختصر فى السلو عن ذهاب الصبر . ألفه لابى محمد بن الاحوص الضرير الواعظ . ومنها رسالة في ادخار الصبر وافتخار القصر والفقر . ومنها الاكمال والاعلام فى صلة الاعلام بمجالس الأعلام من اهل مالقة الكرام . وله اسم آخر وهو مطلع الأنوار ونزهة الأبصار فيما احتوت عليه مالقة من الرؤساء والأعلام الاخيار وتقييد المناقب والآثار . اخترمته المنية عن اتمامه فتولى اتمامه ابن اخته أبو بكر محمد بن خميس المذكور وقد نقلت منه فى هذا الكتاب .

ومن شعره وقد نعيت اليه نفسه قبل ان تغرب من سماء معارفه شمسه

ولما انقضى احدى وخمسون حجة ... كأنى منها فمو بئر يحطم
ترقيت أعلاها لأنظر فوقها ... مدى الحتف منى على من أسلم
اذا هو قد أدنى الىّ كأنما ... ترقيت فيه نجوة وهو سلم

وقال فى أحدب

واحدب تحسب فى ظهره سفينة فى نهر عائمه
مثلث الخاتمة لكنه فى ظهره زاوية قائمه

ومن أمثل نظمه قوله وقد استدعيت منه إجازة

أجبتك لا أنى لما رمته أهل ولا أن ما أحببت محتمل سهل
وما العلم الا البحر قد طال مدّه وما لى علّ فى الورود ولا نهل
وكيف أرانى أهل ذاك وقد أتى على النفس أمران البطالة والجهل
وأسأل ربى العفو عنى فانه لما يرتجيه العبد من عفوه أهل

﴿ مولده ﴾

فى نحو أربع وثمانين وخمسمائة .

﴿ وفاته ﴾

ظهر يوم الاربعاء لاربع خلون من جمادى الآخرة عام ستة وثلاثين وستمائة

﴿ محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن أحمد بن محمد بن أبى بكر بن سعد الاشعرى المالقى ﴾

يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن بكر من ذرية باج بن يحيى بن خالد بن عبد الرحمن بن زيد بن أبى بردة واسمه عامر بن أبى عامر بن أبى موسى واسمه عبد الله بن قيس صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره ابن حزم فى جملة من دخل الاندلس من العرب .

﴿ حاله ﴾

(من عائد الصلة) كان من صدور العلماء وأعلام الفضلاء سذاجة ونزاهة فسيح الدرس أصيل النظر واضح المذهب مؤثرا للانصاف عارفا بالاحكام والقراءة مبرزا فى الحديث تاريخا واسنادا وتعديلا وتجريحا حافظا للانساب

والاسماء والكنى قائماً على العربية مشاركا فى الاصول والفروع واللغة والعروض والفرائض والحساب مخفوض الجناح حسن التخلق عطوفا على الطلبة محبا فى العلم والعلماء مجلا لأهله مطرح التصنع عديم المبالاة بالملبس عزيز النفس نافذ الحكم صواله معروفا بنصره تقلد الشياخة ببلده مالقة ناظراً فى أمور الحل والعقد ومصالح الكافة. ثم ولى القضاء بها فاعز الخطة وترك الموادة وانقاد للحق ملازما للقراءة والاقراء محافظا على الاوقات حريصا على الافادة .

ثم ولى القضاء والخطابة بغرناطة فى العشر الاول لمحرم عام سبعة وثلاثين وسبعمائة فقام بالوظائف وصدع بالحق وجرح الشهود فزيف منهم ماينيف على السبعين عدداً واستهدف بذلك الى معاداة ومناضلة خاض ثبجها وصادم تيارها غير مبال بالمغبة ولا حامل للتبعة فناله لذلك من المشقة والكيد العظيم ما نال غيره حتى كان يمشى الى الصلاة ليلا في مسلة[1] لايطمئن على حالة وجرت له فى هذا الباب حكايات الى ان استمرت الحال على ما أراده الله وعزم عليه الامير فى بعض الشهود ليرده الى العدالة فلم يجد فى قناته مغمزا ولا فى عوده معجماً وتصدر لبث العلم بالحضرة يقرأ فنونا منه جمة فنفع وخرج ودرس العربية والفقه والاصول واقرأ القرآن وعلّم الفرائض والحساب وعقد مجالس الحديث شرحا وسماعا على سبيل من انشراح الصدر وحسن التجمل وخفض الجناح

وذكره القاضى المؤرخ أبو الحسن فقال وأما شيخنا وقريبنا مصاهرة أبو عبد الله بن ابى بكر فصاحب عزم ومضاء وحكم صادع وقضاء . كان له

---

(١) قوله فى مسلة كذا بالاصل وفى القاموس المسل محركة خط من الارض ينقاد اه فليحرر

رحمه الله مع كل دولة صوله وعلى كل زائغ جوله . فأحرق قلوب الحسدة وأعزّ الخطة فأزال عنها الشوائب وأظهر كواكب الحق بمعارفه ونفذ فى المشكلات وثبت فى المدهلات واحتج وبكت ونفقه ونكت .

﴿ توقيعه ﴾

حدثنا صاحبنا ابو جعفر الشقورى قال كنت قاعداً فى مجلس حكمه فرفعت اليه امرأة رقعة مضمونها انها محبة في مطلقها وتبتغى من يشفع لها في ردها فتناول الرقعة ووقع فى ظهرها للحين من غير مهلة الحمد لله من وقف على ما فى هذا المكتوب فليصغ لسماعه اصغاء مغيث ويشفع للمراة عند زوجها تأسيا بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لبريرة في مغيث والله يسلّم لنا العقل والدين ويسلك بنا مسالك المهتدين .

قال صاحبنا فقال لى بعض الاصحاب هلا كان هو الشفيع لها فقلت الصحيح أن الحاكم لا ينبغى أن يباشر ذلك بنفسه على المنصوص .

﴿ شعره ﴾

لم يسمع له شعر الا بيتان في وصف قوس عربىّ النسب فى شعر من لاشعر له وهما

لام العواذل بنت النبع والنشم	تزرى بعطف قضيب البان والعلم
قوام قامتها تمام معطفها	من تلق مقتله تصميه أو تصم

﴿ مشيخته ﴾

قرأ على الاستاذ المتفنن الخطيب أبى محمد بن ابى السداد الباهلىّ القرآن العظيم جمعا وإفرادا وأخذ عنه العربية والحديث ولازمه وتأدب به وعلى الشيخ الصالح ابى عبد الله محمد بن عياش الخزرجى القرطبي قرأ عليه كثيراً من

كتب الحديث منها كتاب صحيح مسلم وسمع عليه جميعه الا دولة[1] واحدة.

ومن اشياخه القاضي ابو القاسم قاسم بن احمد بن حسن بن السكوت والفقيه الصدر الكبير ابو عبد الله بن ربيع والفقيه القدوة الولى ابو عبد الله محمد بن احمد الطنجالي والشيخ القاضي ابو الحسن ابن الاستاذ العلامة ابى الحجاج بن مصامد والاستاذ خاتمة المقرئين أبو جعفر بن الزبير والخطيب المحدث ابو عبد الله بن رشيد والخطيب الولى الصالح ابو الحسن بن فضيلة والاستاذ ابو الحسن بن اللباد المشرقي والشيخ الاستاذ ابو عبد الله بن الكمال وأجازه من اهل سبتة شيخ الشرفاء ابو على بن أبي التقى طاهر بن ربيع والعدل الراوية ابو فارس عبد العزيز ابن الهوارى وأبو اسحق التلمساني والحاج العدل الراوية ابو عبد الله بن الحصار والاستاذ المغربي ابو القاسم بن عبد الرحيم القيسي والاستاذ ابو بكر بن عبيد والشيخ المعمر ابو عبد الله بن ابى القاسم ابن عبد الله الانصارى

ومن اهل افريقية الاديب المعمر ابو عبد الله بن هارون وابو العباس احمد بن محمد الالتي ومحمد بن محمد بن سيد الناس اليعمرى وعثمان بن عبد القوى البلوى من اهل مصر والنسابة شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطي وغيرهم من المصريين والشاميين والحجازيين.

﴿ مولده ﴾

فى آخر ذى الحجة من عام اربعة وسبعين وستمائة.

﴿ وفاته ﴾

فقد فى مصاب المسلمين يوم المناجزة بطريف شهيدا. زعموا انه كانت له بغلة

(١) قوله الا دولة واحدة كذا فى الاصل ولعله الا جلة او نحو ذلك اه

عليها وأشار عليه بعض المنهزمين بالركوب فلم يكن عنده قوة عليه فقال انصرف هذا يوم الفرح اشارة الى قوله تعالى فى الشهداء (فرحين بما آتاهم الله من فضله) وذلك ضحى يوم الاثنين السابع من جمادى الاولى سنة احدى وأربعين وسبعمائة ٠

﴿ محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن محمد بن على ابن موسى بن ابراهيم بن محمد بن ناصر بن خبوز بن القاسم بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ﴾

حسبما نقل من خطه ٠ أوليته معروفة

﴿ حاله ﴾

هذا الفاضل جملة من جمل الكمال غريب في الوقار والحصافة وبلوغ المدى استولى على الامم حلماً وبعداً عن الريب وتمسكا بعرى النزاهة مع الارسال وانقباضا مع المداخلة معتدل الطريقة حسن المداراة مالكا أزمة الهوى شديد الشفقة كثير المواساة مغار حبل الصبر جميل العشرة كثيف ستر الحياء قوى النفس ثابت الجاش رقيق الحاشية ممتع المجالسة متوقد الذهن أصيل الادراك قائماً باعباء المشيخة الى جلال المنتمى وكرم الصنف ونزاهة النفس وملاحة الشنشنة وحمل راية البلاغة والاغراق فى ميادين البيان رحلة الوقت في التبريز بعلوم اللسان حائز الفضل فى ميدانها غريب غريزة الحفظ المتممة الشاهد المستحدة النظر الاصيلة التوجيه البريئة من النوك والغفلة مرصعة باللغة والغريب والخبر والتاريخ والبيان وصناعة البديع وميزان العروض وعلم القافية وتقدما فى الفقه ودرساً له وبراعة فى الاحكام وأثقال التدريس والصبر والدؤوب عليه بارع التصنيف حاضر الذهن فصيح اللسان مفخر أهل بيته ٠

﴿ ولايته ﴾

قدم على الحضرة فى دولة الخامس من ملوك بنى نصر كما استجمع شبابه يفهق علما باللسان . ومعرفة بمواقع البيان . وينطق بالعذب الزلال من الشعر فسهّل له كنف البرونظامه فى قلادة كتّاب الانشاء وهو اذ ذاك يتيمة الخرزات فشاع فضله وذاع نبله فنقل من طور الحكمة الى طور الحكم الى أن قلد الكتابة والقضاء والخطبة بالحضرة بعد ولاية غيرها في الرابع من شهر ربيع الآخر عام سبعة وثلاثين وسبعمائة فاضطلع بالاحكام وطبق مفصل الفصل نافذ الامر عظيم الهيبة قليل الناقد ضخم التوفيق يصدع فى مواقف الخطاب بكل بليغ من القول مما ترق ديباجته ويشف صقاله وتبرأ من كلال الخطباء أطرافه . واستعمل فى السفارة للعدو ناجح السعى ميمون النقيبة جزيل الحياء والكرامة الى أن عزل عن القضاء فى شعبان من عام سبعة وأربعين وسبعمائة من غير زلة تخفض ولا هنة تؤثر فتحيز الى التحليق لتدريس العلم وتفرغ لاقراء العربية والفقه ولم ينشب أميره المنطوى على الهاجس المغرى بعدله أن قدمه قاضياً بوادى آش بنت حضرته معززة بسندها الكبير الخطة فانتقل اليه بجملته .

وكانت بينه وبين شيخنا أبى الحسن ابن الجياب صداقة صادقة ومودة مستحكمة فجرت بينهما أثناء هذه النقلة بدائع منها قوله يسليه عن خطة القضاء التى اختزل عنها ويوليها خطة الملامة .

لا مرحبا بالناشز الفارك	ان جهلت رفعة مقدارك
لو أنها قد أوتيت رشدها	ما برحت تمشو الى نارك
أقسمت بالنور المبين الذى	منه بدت مشكاة أنوارك

ومظاهر الحكم الحكيم الذى   يتلى عليه طيب أخبارك
ما لقيت مثلك كفؤاً لها   ولا أوت الى أكرم من دارك

ثم أعيد الى القضاء بالحضرة فوليها واستمرت حالة ولايته على متقدم سمته من الفضل والنزاهة والمراجعة بما يأنف فيه من الخروج عن الجادة الى ان هلك السلطان مستقضيه مأموما به مقتديا بسجدته يوم عيد الفطر من عام خمسة وخمسين وسبعمائة وولى الامر ولده الأسعد فجدد ولايته وأكد تجلته ورفع رتبته واستدعى مجالسته .

مشيخته

قرأ ببلد سبتة على أبيه الشريف الطاهر نسيج وحده وعلى أبى عبد الله ابن هانئ وبه جل انتفاعه وعليه جل استفادته . وأخذ عن الامام شيخ المشيخة أبى اسحق الغافقى وروى عن الخطيب أبى عبد الله الغمارى والخطيب المحدث أبى عبد الله بن رشيد والقاضى أبى عبد الله القرطبى والفقيه الصالح أبى عبد الله ابن حريث وأخذ عن الاستاذ النظار أبى القاسم بن حريث وغيرهم .

محنته

دارت عليه يوم مهلك السلطان المذكور محنة فمركته بالثفال وتخلص من شرها لتطارح الامير المتوثب امام المرية عليه فى السجدة من غير التفات لمحل الوطأة ولا اقتصاد لمحل صلاة تلك الامة فغشيه من الارجل أرجل كثيرة والتف عليه مرسل طيلسانه سادا مجرى النفس فمالح الحمام وقتاً الى أن نفس الله عنه فاستقل من الردى وانتبذ من مطارح ذلك الوغى وبادر بالفصاد وقد أشفى فكانت عسرة لما [1] ولما فسح له المدى أخبر من يوثق

(١) كذا بالاصل

به من مودعات السر من حظيات الملك ان السلطان عرض عليه قبل وفاته في عالم الحلم كونه فى محراب مسجده مع قاضيه المترجم به وقد أقدم عليه كلب أصاب ثوبه ولطخ ثوبه بدمه فاهمته رؤياه وطرقت به الظنون مطارقها فهم بعزل القاضى انقياداً لنزغة الفكر وسداً لابواب التوقيات وقد تأذن الله بارجاء العزم وامضاء الحكم جل وجهه وعزت قدرته فكان من الامر ماتقرر فى محله

﴿ تصانيفه ﴾

وتصانيفه بارعة منها رفع الحجب المستورة فى محاسن المقصورة شرح فيها مقصورة الاديب أبى الحسن حازم بما تنقطع الاطماع فيه . ومنها رياضة (١) في شرح قصيدة الخزرجى أبدع فى ذلك بما يدل على الاطلاع وسداد السهم . وقيد على كتاب التسهيل لأبى عبد الله بن مالك تقييداً جليلا وشرحاً بديعاً قارب التمام . وشرع فى تقييد على الخبر المسمى بدرر السمط في خبر السبط ومحاسنه جمة وأغراضه بديعة

﴿ شعره ﴾

وأما الشعر فله فيه القدح المعلى والحظ الاوفى والدرجة العليا طبقة وقته ودرجة عصره وحجة زمانه كلامه متكافئ فى اللفظ والمعنى صريح الدلالة كريم الخيم متين الحبل خالص السبك واقتنيت منه جزأ خصنى به سماه جهد المقل اشتمل من حر الكلام على مالا كفؤ له منه

الحمد لله الكبير المتعال فهو المسؤل أن يعصمنا من خطل القول وزلل الاعمال والصلاة على سيدنا محمد خاتم الارسال هذه أوراق ضمنتها جملة

---

(١) بياض بالاصل

من بنات فكرى وقطعا مما يجيش فى بعض الاحيان فى صدرى . ولوحزمت لاضربت عن كتبها كل الاضراب ولزمت فى دفنها واخفائها دين الاعراب لكننى آثرت على المحو الاثبات وتمثلت بقولهم ان من أحسن ما أوتيته العرب الابيات . واذا هى عرضت على ذلك المجد وسألها كيف نجت من الوأد . فقدآويتها من حرمكم الى ظل ظليل وأحللتها من بنائكم الى معرس ومقيل وأهديتها علما بان كرمكم بالاغضاء عن عيوبها كفيل فاغتنم قليل الهدية منى ان جهد المقل غير قليل . فحسبها شرفا أن تبوأت فى جنابك كنفا وداراً وكفاها مجداً وفخراً ان عقدت بينها وبين فكرك عقداً وجواراً .

﴿ مولده ﴾

بسبتة فى السادس لشهر ربيع الاول عام سبعة وتسعين وستمائة .

﴿ وفاته ﴾

توفى قاضياً بغرناطة فى أوائل شعبان من عام ستين وسبعمائة .

﴿ محمد بن أحمد بن عبد الملك القشتالى ﴾

قاضى الجماعة ببيضة الاسلام فاس يكنى أبا عبد الله .

﴿ حاله ﴾

هذا الرجل له أبوة صالحة وأصالة زاكية قديم الطلب ظاهر التخصيص مفرط فى الوقار صدر الصدور فى الوثيقة والادب فاضل النفس ممحض النصح جميل العشرة لاخوانه مجرى الصدقة مديد الباع فى فن الادب شاعر مجيد كاتب بليغ عارف بالتجنيس والتنقيح من أدركه أدرك علما من أعلام المشيخة قدمه السلطان الكبير العالم أبو عنان فارس قاضياً بحضرته واختصه واشتمل عليه فاتصل سعده استطالة وعرف حقه وتردد الى الاندلس فى

سبيل السفارة عنه فذاع فضله وعرف قدره .

ولما كان عام الازعاج من الاندلس عند النكبة التى أصابت الدولة بلوت من فضله ونصحه وتأنيسه ماأكد الغبطة وأوجب الثناء وخاطبته بما نصه .

من ذا يمدّ فضائل الفشتالى والدهر كاتب آيها والتالى
علم اذا التمسوا الفنون بعلمه مرعى المشيح ونجعة المكتال
نال التي لافوقها من رفعة ما أملها حيلة المحتال
وكني بارث تراثه عن جده أن المقدم فيه عين التالى

قاضي الجماعات. بماذا أثني على خلالك المرضاة أبقديمك الموجب لتقديمك أم بحديثك الداعى لتحمل حديثك وكلاهما غاية بعد مرساها وتحامى التصور حماها. والضالع لايسام سبقاً . والمنبتّ لاأرضا قطع ولا ظهرا أبقى . وما الظن باصالة تعترف بها الآثار وتشهد وأبوة صالحة كانت في غير ذات الحق تزهد وفي نيل الاتصال به تجهد ومعارف تقرر قواعد الحق وتمهد وتهزم الشيب اذا تشهد قد علم الله أن جوارك لم يبق للدهر على جورا ولاحتّ عن غصني ورقا ولا نورا ولو زأر على أسدا أو حمل ثورا فقد أصبحت فى ظل الدولة التى وقف على سيدى اختيارها وأظهر خلوص ابريزه معيارها تحت كنف وعز مؤتنف وجوار أبى دلف وعلى ثقة من الله أن يحسن الخلف . ومامنع من انتسابى لما لديه من الفضائل الارحلة لم يبرك بعد جملها ولا قر عملها وأوحال حال بيني وبين مسود البلد القديم مهلها . ولولا ذلك لاغتبطت الزائد واقتنيت الفوائد . والله يطيل بقاءه حتى تتأكد القربة التي تنسي الغربة . وتعظم الوسيلة التى لاتذكر معها الفضيلة . وأما ماأشار به من تقييد القصيدة التي نفق سوقها احسانه وآنس باستطرافها احسانه فقد أعمل

وما أهمل • والقصور باد اذا تأمل • والاغضاء أولى ماأمل • فانما هى فكرة قد أخمدت نارها الايام • وغيرت آثارها الليالى • وقد كان الحق اجلال مطالعة سيدي عن خللها وتنزيه رجله عن تقبيل مرتجلها • لكن أمره ممتثل • وأتي من المجد أمر لامرد له مثل • والسلام على سيدى من معظم قدره وملتزم بره محمد بن الخطيب ورحمة الله فكتب الى مراجعاً وهو الملئ بالاحسان

وافت بجر الزهو فضلة بردها ... حسناء قد أضحت نسيجة وحدها
لله أى قصيدة أهديت لم ... يهد المعارض نحو غاية قصدها
لابن الخطيب بها محاسن جمة ... يلقى الخطيب فهاهة فى عدها
سر البلاغه عنه أودع حافظا ... قد صانه حتى فشا من عندها
فى غير عقد نفثته بسحرها ... فلذا أتى سلسا منظم عقدها
لم أدر مافيها فقمت معاودا ... من طرسها أو معلما من بردها
حتى دفعت بها لأبعد غاية ... باعا تقصر فى البلوغ بجدها
حداني من نظم ونثرانت من ... يلقاهما يرجع بذلة عبدها
أولى يدا بيضاء موليها فما ... لى قدرة حتى أقوم بحمدها
ورفضت تكذيب الذى متشبثا ... لعلى مرآها بصادر وعدها
فبذات شعرى رافلا من قدرها ... وهززت عطفى رافلا فى بردها

خذها أعز الله جنابك وادال للانس على الوحشة اغترابك كغبة الطائر المتجمد ونهبة السائل المسترفد رميكية اللحظ قليلة الحظ وليتنى اذا جادت سحابة ذلك الخاطر الماطر الودق وانجاب المشا عن قريحة فكرتي بتقاضى الجواب انجياب الطوق أيقنت انى قدسد على باب القول وارتج وقلت هذه السالبة المكاية لكنى قلت وجد المكثر لجهد المقل •

والواجب قد يكفي الامتثال فيه بالأقل . فبعثت بها على علاتها وأبلغتها عذرها اذ كنيت عن شوقها بلغاتها . وهي لاتمدم من سيدى افضاء كريم ورضاء سليم . والله عزوجل يصل بالتأنيس الحبل ويجمع الشمل . والسلام الكريم يخص تلك السياده ورحمة الله وبركاته محمد بن أحمد القشتالى . وهو الآن قاض بفاس المذكورة محمود السيرة ابقاه الله تعالى وأمتع به .

﴿ محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيي بن عبد الرحمن ابن أبي بكر بن على القرشي المقرى ﴾

يكنى أبا عبد الله قاضى الجماعة بفاس تلمساني

﴿ أوليته ﴾

نقلت من خطه قال وكان الذى اتخذها من سلفنا قرارا بعد ان كانت لمن قبله مزارا عبد الرحمن بن أبى بكر بن على المقرى صاحب الشيخ أبى مدين الذي دعاله ولذريته بما ظهر فيهم قبوله وتبين . وهو أبى الخامس فانا محمد بن محمد بن أحمد بن أبى بكر بن يحيي بن عبد الرحمن وكان هذا الشيخ عروى الصلاة حتى أنه ربما امتحن بغير شئ فلم يؤنس منه التفات ولا استشمر منه شعور ويقال ان هذا الحضور مما أدركه من مقامات شيخه أبى مدين ثم اشتهرت ذريته على ما ذكر من طبقاتهم بالتجارة فمهدوا طريق الصحراء بحفر الآبار وتأمين التجار . واتخذوا طبلا للرحيل وراية تقدم عند المسير وكان ولد يحيي الذين كان أحدهم أبا بكر خمسة رجال . فعقدوا الشركة بينهم فيما ملكوه أو يملكونه على السواء بينهم والاعتدال . وكان أبو بكر ومحمد وهما أرومتا نسبي من جميع جهات أمي وأبى بتلمسان وعبد الرحمن وهو شقيقهما الاكبر بسجلماسة وعبد الواحد وعلى وهما شقيقاهما الصغيران بايوالاتن فاتخذوا بهذه

الاقطار الحوائط والديار فتزوجوا النساء واستولدوا الاماء وكان التلمسانى يبعث الى الصحراوى بما يرسم له من السلع ويبعث اليه الصحراوى بالجلد والعاج والجوز والتبر والسجاماسى كلسان الميزان يعرفهما بقدر الرجحان والخسران ويكاتبهما بأحوال التجار والبلدان . حتي اتسعت أموالهم . وارتفعت في الضخامة أحوالهم . ولما افتتح التكرور كورة ايوالاتن وأعمالها أصيبت أموالهم فيما أصيب من أموالها بعد أن جمع من كان بها منهم الى نفسه الرجال . ونصب دونها ودون ماله القتال . ثم اتصل بملكهم فأكرم مثواه ومكنه من التجارة ببلاده وخاطبه بالصديق الاحب . والخلاصة الاقرب ثم صار يكاتب من بتلمسان يستقضى منهم مآربه فيخاطبه بمثل تلك المخاطبة وعندى من كتبه وكتب ملوك المغرب ماينبئ عن ذلك . فلما استوثقوا من الملوك . تذللت لهم الارض للسلوك : فخرجت أموالهم عن الحد . وكانت تفوق الحصر والعد . لان بلاد الصحراء قبل ان يدخلها أهل مصر كان يجلب اليها من المغرب ما لابال له من السلع فيتعاوض عنه بماله بال من الثمن (1) اي مدبر دنيا ضم جنبا أبي حم وشمل ثوباه كان يقول لولا الشناعة لم أزل في بلادى تاجراً من غير تجار الصحراء الذين يذهبون بخبيث السلع ويأتون بالتبر الذى كل أمر الدنيا له تبع ومن سواهم يحمل منها الذهب ويأتى اليها بما يضمحل عن قريب ويذهب ومنه مايغير من العوائد . ويجر السفهاء الى المفاسد)

ولما درج هؤلاء الاشياخ جعل ابناؤهم ينفقون مما تركوا لهم . ولم

(1) قوله أى مدبر الخ هكذا هذه العبارة في الاصل الذى بيدى ولينظر معناها ويحرر اه من هامش نفح الطيب

يقوموا بأمر التشيير قيامهم . وصادفوا توالى الفتن ولم يسلموا من جور السلاطين فلم تزل حالهم فى نقصان الى هذا الزمان فها أنا ذا لم أدرك من ذلك الا أثر نعمة اتخذنا فصوله عيشاً وأصوله حرمة ومن جملة ذلك خزانة كتب كبيرة من الكتب . وأسباب كثيرة تعين على الطلب . فتفرغت بحول الله عز وجل للقراءة فاستوعبت أهل البلد لقاء وأخذت عن بعضهم عرضا والقاء سواء المقيم القاطن والوارد والظاعن .

﴿ حاله ﴾

هذا الرجل مشار اليه في العدوة الغربية اجتهاداً ودءوبا وحفظا وعناية واطلاعا ونقلا ونزاهة سليم الصدر قريب الغور صادق القول مسلوب التصنع كثير الهشة مفرط الخفة طاهر القلب ذاهب أقصى مذاهب التخلق محافظ على العمل مثابر على الانقطاع حريص على العبادة مضايق فى العقد والتوجه يكابد من تحصيل النية بالوجه واليدين مشقة ثم يفاقص الوقت فيهاويوقعهادفعة متبعا اياها زعقة التكبير برجفة ينبو عنها سمع من لم تؤنسه بها العادة بما هو دليل على حسن المعاملة وارسال السجية قديم النعمة متصل الخيرية مكب على النظر والدرس والقراءة معلوم الصيانة والعدالة منصف فى المذاكرة حاسر الذراع عند المباحثة رحب الصدر فى وطيس المناقشة غير مختار للقرن ولا ضان بالفائدة كثير الالتفات متقلب الحدقة جهير بالحجة بعيد عن المراء والمباهتة قائل بفضل أولى الفضل من الطلبة يقوم أتم القيام على العربية والفقه والتفسير ويحفظ الحديث ويتهجر بحفظ الاخبار والتاريخ والآداب ويشارك مشاركة فاضلة فى الاصلين والجدل والمنطق ويكتب ويشعر مصيباً غرض الاجادة ويتكلم في طريق الصوفية

كلام أرباب المقال ويعتنى بالتدوين فيها شرّق وحجّ ولقى جِلّة واضطبن رحلة مفيدة ثم آب الى بلده فاقرأ به وانقطع الى خدمة العلم فلما ولى ملك المغرب السلطان محالف الصنع ونشيدة الملك وأثير الله من بين القرابة والاخوة أمير المؤمنين أبو عنان اجتذبه وخلطه بنفسه واشتمل عليه وولاه قضاء الجماعة بمدينة فاس فاستقل بذلك أعظم الاستقلال وأنفذ الحق وألان الكلمة وآثر التسديد وحمل الكل وخفض الجناح فحسنت عنه القالة وأحبته الخاصة والعامة حضرت بعض مجالسه للحكم فرأيت من صبره على اللدد وتأنيه للحجج ورفقه بالخصوم ماقضيت منه العجب .

﴿ دخوله غرناطة ﴾

ثم لما أخرّ عن القضاء استعمل بعد لأى فى الرسالة فوصل الى الاندلس أوائل جمادى الثانية من عام سبعة وخمسين وسبعمائة فلما قضى غرض رسالته وأبرم عقد وجهته واحتل مالقة فى منصرفه بداله فى نبذ الكلفة واطراح وظيفة الخدمة وحل التقيد الى ملازمة الامرة فتقاعد وشهر غرضه وبت في الانتقال طمع من كان صحبته وأقبل على شأنه فخلى بينه وبين همه وترك وما انتحله من الانقطاع الى ربه وطار الخبر الى مرسله فأنف من تخصيص ايالته بالهجرة والعدول عنها بقصد التخلى والعبادة وأنكر ماحقه الانكار من ابطال عمل الرسالة والانقباض قبل الخروج عن العهدة فوغر صدره على صاحب الامر ولم يبعد حمله على الظنة والمواطاة على النفرة وتجهزت جملة من الخدام المجلين في مازق الشبهة المضطلعين باقامة الحجة موالين خطة الملام مخيرين بين سحائب عادمن الاسلام مظنة اعلاق النقمة وايقاع العقوبة أو الاشادة بسبب اجارته بالقطيعة والمنابذة وقد كان المترجم به لحق بغرناطة فتذمم

بمسجدها وجار بالانقطاع الى الله وتوعد من يجبره بنكير من يجير ولا يجار عليه سبحانه فاهم امره وشغلت القلوب أبدته وأمسك الرسل بخلال ما صدرت شفاعة اقتضى له فيها رفع التبعة وتركه الى تلك الوجهة .

ولما تحصل ماتيسر من ذلك انصرف محفوفاً بمعالى القطر قاضى الجماعة أبي القاسم الحسنى المترجم به قبله والشيخ الخطيب أبي البركات ابن الحاج مسلمين لوروده مشافهين بالشفاعة فى غرض ، فانقشعت الغمة وتنفست الكربة واستصحبا من المخاطبة السلطانية فى أمره من املائي مايذكر حسبما ثبت فى الكتاب المسمى بكناسة الدكان . بعد انتقال السكان . المجموع لسلاما صورته

المقام الذى يحب الشفاعة ويرعى الوسيله . وينجز العدة ويتمم الفضيله ويضفى مجده المنن الجزيله . ويعي حمده المادح العريضة الطويله . مقام محل والدنا الذى كرم مجده . ووضح سعده . وصح فى الله تعالى عقده . وخلص فى الاعمال الصالحة قصده ، وأعجز الالسنة حمده . السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى لوسيلة يرعاها . وشفاعة يكرم مسعاها . واخلاق جميلة تجيب دعوة الطبع الكريم اذا دعاها . معظم سلطانه الكبير وممجد مقامه الشهير . المتشيع لأبوته الرفيعة قولا باللسان واعتقادا بالضمير المعتمد منه بعد الله على الملجأ الاحمى والولى النصير . فلان سلام كريم . طيب برّ عميم . يخص مقامكم الاعلى . وأبوتكم الفضلى ورحمة الله وبركاته .

اما بعدحمدالله الذى جعل الخلق الحميدة دليلا على عنايته بمن حلاه حلاها . وميّز بها النفوس النفيسة التي اختصها بكرامته وتولاها . حمدا يكون كفؤا للنعم التي أولاها وأعادهاو والاها . والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد عبده

ورسوله المترقى من درجات الاختصاص ارفعها وأعلاها . الممتاز من انوار الهدايه بأوضحها واجلاها مطلع آيات السعادة يروق مجتلاها . والرضا عن آله وصحبه الذين خبر صدق ضمائرهم لما ابتلاها . وعسل ذكرهم فى الافواه فما أعذب أوصافهم على الالسن وأحلاها والدعاء لمقام أبوتكم حرس الله تعالى علاها . بالسعادة التى يقول الفتح أنا طلاّع الثنايا وابن جلاها . والصنائع التى تخترق المفاوز بركائبها المبشرات فتفلى فلاها . فانا كتبنا اليكم كتب الله تعالى لكم عزة مشيدة البناء . وحشد على أعلام صنائعكم الكرام جيوش الثناء . وقلدكم من قلائد مكارم الاخلاق مايشهد لذاتكم منه بسابقة الاعتناء . من حمراء غرناطة حرسها الله والود باهر السنا ظاهر السناء . مجد على الانا والتشيع رحب الدسيعة والفناء .

والى هذا وصل الله سعدكم . وحرس مجدكم . فاننا خاطبنا مقامكم الكريم فى شأن الشيخ الفقيه الحافظ الصالح أبى عبد الله المقرى خار الله لنا وله . وبلغ الجميع من فضله العميم أمله . جوابا عما صدر عن مثابتكم فيه من الاشارة الممتثله . والمآرب المعمله . والقضايا غير المهمله . نصادركم بالشفاعة التى مثلها بأبوابكم لا يرد . وظمآها عن منهل قبولكم لاتجلى ولا تصد . حسبما سنه الاب الكريم والجد . والقبيل الذى وضح منه فى المكارم الرسم والحد . ولم نصدر الخطاب حتى ظهر لنا من أحواله صدق المخيلة وتبلج صبح الزهادة والفضيلة . وجود النفس الشحيحة بالعرض الادنى البخيلة . وظهر تخليه عن هذه الدار . واختلاطه باللفيف والغمار . واقباله على مايعنى مثله من صلة الاوراد ومداومة الاستغفار . وكنا لما تعرفنا اقامته بمالقة لهذا الغرض الذى شهره . والفضل الذى ابرزه للعيان وأظهره . أمرنا أن يعتنى

بأحواله . ويعان على فراغ باله . ويجرى عليه سيب من ديوان الاعشار الشرعية وصريح ماله . وقلنا ماأتاك من غير مسألة مستند صحيح لاستدلاله . فقر من مالقة على ماتعرفنا لهذا السبب . وقعد بحضرتنا مستور المنتمى والمنتسب . وسكن بالمدرسة بعض الأماكن المعدة لسكنى المتسمين بالخير والمحترفين ببضاعة الطلب . بحيث لم يتعرف وروده ووصوله الا ممن لا يؤبه بتعريفه ولم تحقق زوائده وأصوله لقلة تصريفه . ثم تلاحق ارسالكم الجلة فوجبت حينئذ الشفاعه . وعرضت على سوق الحلم والفضل من الاستلطاف والاستعطاف البضاعه . وقررنا ماتحققناه من أمره . وانقباضه عن زيد الخلق وعمره . واستقباله الوجهة التي من ولى وجهه شطرها فقد آثر أثيرا . ومن ابتاعها بمتاع الدنيا فقد نال فضلا كبيراً وخيراً كثيرا . وسألنا منكم ان تبيحوه ذلك الغرض الذى رماه بعزمه وقصر عليه أقصى همه فما أخلق مقامكم أن يفوز منه طالب الدنيا بسهمه . ويحصل منه طالب الآخرة على حظه الباقي وقسمه . ويتوسل الزاهد بزهده والعالم بعلمه . ويعول البرئ على فضله ويثق المذنب بحلمه

فوصل الجواب الكريم بمجرد الامان وهو أرب من آراب . وفائدة من جراب . ووجه من وجوه الاعراب . فرأينا ان المطل بمدجفاء . والاعادة ليس يشملها خفاء . ولمجدكم بماضمنا عنه وفاء . وبادرنا الآن الى العزم عليه في ارتحاله . وان يكون الانتقال عن رضا منه من صفة حاله . وأن يقتضى له ثمرة المقصد . ويبلغ طية الاسعاف في الطريق ان قصد . اذ كان الامان لمثله ممن تعلق بجناب الله من مثالكم حاصلا . والدين المتين بين نفسه وبين المخافة فاصلا . وطالب كيمياء السعادة باعانتكم واصلا . ولما مدت اليد في تسويغ حالة هديكم عليها أبداً يحرض . وعلمكم يصرح بمزيتها ولا يعرّض . فكملوا أبقاكم

الله مالم تسعنا فيه مشاحة الكتاب . وألحقوا بالاصل حديث هذه الاباحة فهو أصح حديث فى الباب . ووفوا غرضنا من مجدكم وخلوا بينه وبين مراده من ترك الاسباب . وقصد غافر الذنب وقابل التوب باخلاص المتاب . والتشمير ليوم العرض وموقف الحساب . وأظهروا عليه عناية الجناب . الذى تعلق به أعاق الله به يدكم من جناب . ومعاذ الله ان تعود شفاعتنا من لدنكم غير مكملة الآراب . وقد بعثنا من ينوب عنا فى مشافهتكم بها أحمد المناب . ويقتضى خلاصها بالرغبة لابالغلاب . وهما فلان وفلان . ولولا الأعذار لكان فى هذا الغرض اعمال الركاب يسبق الكتاب . وانتم تولون هذا القصد من مكارمكم مايوفر الثناء الجميل . ويربى على التأميل . ويكتب على الود الصريح العقد وثيقة التسجيل . وهو سبحانه يبقيكم لتأييد المجد الأثيل . وانالة الرفد الجزيل . والسلام الكريم يخص مقامكم الاعلى . ومثابتكم الفضلى . ورحمة الله تعالى وبركاته فى الحادى والعشرين لجمادى الآخرة من عام سبعة وخمسين وسبعمائة . والله ينفع بقصده . وييسر علينا الرجعة الى وجهه وفضله .

﴿ مشيخته ﴾

قال . فممن أخذت عنه واستفدت منه علماها (يعنى تلمسان) الشامخان وعالماها الراسخان أبو زيد عبدالرحمن وأبو موسى عيسى ابنا محمد بن عبدالله ابن الامام وحافظها ومدرسها ومفتيها عمران بن موسى بن يوسف المشدالى صهر شيخ المتأخرين أبى على ناصر الدين على ابنته ومشكاة الانوار . التى يضيء زيتها ولو لم تمسسه نار . الاستاذ أبو اسحق ابراهيم بن حكيم الكنانى السلوى رحمه الله . ومنهم القاضى أبو عبدالله محمد بن عبد الله بن عبد النور

والشيخ أبو عبد الله محمد بن الحسن البرونى . وأبو عمران موسى المصمودى الشهير بالبخارى قال سمعت البرونى يقول كان الشيخ أبو عمران يدرس البخارى ورفيق له يدرس صحيح مسلم وكانا يعرفان بالبخارى ومسلم فشهدا عند قاض فطالب المشهود عليه الاعذار فيهما فقال له أبو عمران أتمكنه من الاعذار فى الصحيحين البخارى ومسلم فضحك القاضي وأصلح بين الخصمين . ثم قال ومن شيوخي الصلحاء الذين لقيت بها خطيبها الشيخ أبو عثمان سعيد بن ابراهيم بن على الخياط أدرك أبا اسحاق الطيار . ومنهم أبو عبد الله محمد بن محمد الغزمونى وكان بصيرا بتعبير الرؤيا . ومن عجائب شأنه فيه أنه كان فى سجن أبي يعقوب يوسف بن عبد الحق مع من كان فيه من أهل تلمسان أيام محاصرته لها فرأى أبو جمعة بن على التلالسى الجرائحى منهم كانه قائم على ساقية دائرة وجميع قواديسها تصب في نقير في وسطها فجاء ليشرب فلما اغترف الماء اذا فيه فرث ودم فارسله واغترف فاذا هو كذلك ثلاثا أو أكثر ثم عدل عنه فرأى حصة ماء وشرب منها ثم استيقظ وهو النهار [1] فاخبره فقال ان صدقت الرؤيا فنحن عن قليل خارجون من هذا المكان قال كيف قال الساقية الزمان والنقير السلطان وأنت جرائحى تدخل يدك في جوفه فينالها الفرث والدم وهذا مالا تحتاج معه الى دليل فلم تكن لا ضحوة النهار واذا النداء عليه فخرج فوجد السلطان مطعونا بخنجر فادخل يده في جوفه فنالها الفرث والدم فخاط جراحته ثم خرج فرأى حصة ماء فغسل يديه وشرب ثم لم يلبث السلطان أن توفى وسرحوا من كان فى سجنه .

(١) قوله وهو النهار هكذا فى النسخ ولعل معناه والوقت النهار فيكون الضمير راجعا الي مفهوم من المقام اه من هامش نفح الطيب

ومن اشياخه الامام نسيج وحده أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن أحمد العبدرى الابلى التلمسانى وهو رحلة الوقت فى القيام على الفنون العقلية وادراكه وصحة نظره حدث قال قدم على مدينة فاس شيخنا أبو عبد الله محمد ابن يحيي الباهلى عرف بابن المسفر رسولا من صاحب بجاية وزاره الطلبة فكان فيما حدثهم انهم كانوا على زمان ناصر الدين يستشكلون كلاما وقع فى تفسير سورة الفاتحة من كتاب فخر الدين ويستشكله الشيخ معهم وهذا نصه . ثبت فى بعض العلوم العقلية ان المركب مثل البسيط فى الجنس والبسيط مثل المركب في الفصل وان الجنس أقوى من الفصل فرجعوا به الى الشيخ الابلى فتأمله ثم قال هذا كلام مصحف وأصله أن المركب قبل البسيط فى الحس والبسيط قبل المركب فى العقل وان الحس أقوى فاخبروا ابن المسفر فلج فقال لهم الشيخ التمسوا النسخ فوجدوا فى بعضها كما قال الشيخ .

﴿ رحلته ﴾

رحل الى بجاية مشرقا فلقى بها جلة منهم الفقيه أبو عبد الله محمد بن يحيي الباهلى بن المسفر . ومنهم قاضيها أبو عبد الله محمد بن الشيخ أبى يوسف يعقوب الزواوى فقيه ابن فقيه . ومنهم أبو على حسن بن حسن امام للمعقولات بعد ناصر الدين .

وبتونس قاضى الجماعة وفقيهها أباعبدالله بن عبد السلام وحضر درسه . وقاضى المناكح أبو محمد الأجمى وهو حافظ فقهلتها فى وقته . . والفقيه أبوعبدالله بن هارون شارح ابن الحاجب في الفقه والاصول وحج فلقى بمكة امام الوقت أباعبدالله محمد ابن محمد بن عبدالرحمن التوزرى المعروف بخليل وامام المقام اباالعباس بن رضى

الدين الشافعي وغير واحد من الزائرين والمجاورين واهل البلد .

ثم دخل الشام فلقي بدمشق شمس الدين ابن قيم الجوزية صاحب ابن تيمية وصدر الدين العمادي المالكي وابا القاسم بن محمد اليماني الشافعي وغيرهم . وببيت المقدس الاستاذ ابا عبد الله بن مثبت والقاضي شمس الدين ابن سالم والفقيه ابا عبد الله بن عثمان وغيره .

﴿ تصانيفه ﴾

ألف كتاباً يشتمل على ازيد من مائة مسألة فقهية ضمنها كل اصل من الرأى والمباحثة . ودون في التصوف اقامة المريدين . ورحلة المتبتل وكتاب الحقائق والرقائق .

﴿ شعره ﴾

نقلت من ذلك قوله هذه لمحة العارض . لتكملة ألفية ابن الفارض . سلب الدهر من فوائدها مائة وسبعة وسبعين . فاستعنت على ردها بحول الله المعين . (من فصل الاقبال)

رفضت السوى وهو الطهارة عندما	تلمت في مرط الهوى وهو زينتي
وجئت الحمى وهو المصلّى ميمما	بوجهة قلبي وجهها وهو قبلتي
وقت وما استفتحت الا بذكرها	وأحرمت احراما لغير تحلة
فديني ان لاحت ركوع وان دنت	سجود وان لاحت قيام بحسرة
على أننا في القرب والبعد واحد	تألّفنا بالوصل عين التشتت
وكم من هجير خضت ظمآن طاويا	اليها وديجور طويت برحلة
وفيها لقيت الموت أحمر والعدا	بزرقة أسنان الرماح وحدة
وبيني وبين العذل فيها منازل	تنسيك أيام الفجار ومؤتة

ولما اقتسمنا خطتينا لخامل فجار بلا أجر وحامل برّة
خلا مسمعى من ذكرها فاستعدته فعاد ختام الامر أصل القضية
وكم لى على حكم الهوى من تجلد دليل على ان الهوى من سجيتى
يقول سميرى والاسا سالم الاسى ولا توضع الاوزار الا لمحنة
لو أن مجوسا بتّ موقد نارها لما ظل الامنهلا ذا شريعة
ولو كنت بحرالم يكن فيه نضحة لعين اذا نام الغرام استحرّت
فلا ردم من نقب المعاول آمن (ولاهدم الاك شيد بقوة) كذا
فم تقول الاسفطسات منك أو غلام مزاج ركبت أو طبيعة
فان قام لم يثبت له منك قاعد والافانت الدهر صاحب قعدة
(فماأنت ياهذا الهوى ماءأوهوى) كذا أم النار أم دساس عرق الامومة
وانى على صبرى كما أنت واصف وحالى أقوى القائمين بحجة
اقل الضنى ان عج من جسمى الضنى وماشاكه معشار بعض شكيتى
وأيسر شوقى أننى ماذ كرتها ولم أنسها الا احترقت بلوعتى
وأخفى الجوى قرع الصواعق منك فى جواى وأخفى الوجد صبر المودة
وأسهل ما ألقى من العذل أننى أحب أفلى ذكرها وفضيحتى
وأوج حظوظى اليوم منها حضيضها بالأمس وسل حر الجفون الغزيرة
وأوجز أمرى ان دهرى كله كما شاءت الحسناء يوم الهزيمة
أروح وما يلقى التأسف راحتى وأغدو ومايعدو التفجع خطتى
وكالبيض بيض الدهر والسمر سوده مساءتها فى طى طيب المسرة
وشأن الهوى ماقدعرفت ولاتسل وحسبك ان لم يخبر الحب رؤيتى
سقام بلا برء ضلال بلا هدى أوام بلارىّ دم لا بقيـــــة

ولا عتب فالايام ليس لها رضا وان ترض منها الصبر فهو تمنتى
ألا أيها اللوّام عنى قوّضوا ركاب ملامى فهو أول محنتى
ولا تعذلونى فى البكاء ولا البكى وخلوا سبيلى ما استطعتم ولوعتى
فما سلسلت بالدمع عينى ان جنت ولكن رأت ذاك الجمال فجنت
تجلى وأرجاء الرجاء حوالك ورشدى غاو والعمايات عمت
فلم يستبن حتى كانى كاسف وراجعت أبصارى له وبصيرتى

(ومن فصل الاتصال)

وكم موقف لى فى الهوى خضت دونه عباب الردى بين الظبا والاسنة
فجاوزت فى حدى مجاهدتى له مشاهدتى لما سمت بى همتى
وحل جمالى فى الجلال فلا أرى سوى صورة التنزيه فى كل صورة
وغبت عن الاغيار فى تيه حالتى فلم أنتبه حتى امتحى اسمى وكنيتى
وكانت ناسوتى بامارة الهوى وعدت الى اللاهوت بالمطمئنة
وعلم يقينى صار عينا حقيقة ولم يبق دونى حاجب غير هيبتى
وبدلت بالتلوين تمكين عزة ومن كل أحوالى مقامات رفعة
وقد غبت بعد الفرق والجمع وقفى مع المحو والاثبات عند تثبتى
وكم جلت فى سم الخياط وضاق بى لبسطى وقبضى بسط وجه البسيطة
وما اخترت الادنى بقراط زاهداً وفى ملكوت النفس أكبر عبرة
وفقرى مع الصبر اصطفيت على الغنى مع الشكر اذلم يحظ فيه مثوبتى
وأكتم حبى ما كنى عنه أهله وأكنى اذاهم صرحوا بالحبيبة
وانى فى جنسى ومنه لواحد كنوع ففصل النوع علة حصتى
تسببت فى دعوى التوكل ذاهباً الى أن أجدى حياتى ترك حيلتى

وآخر حرف صار منى أولا | مريداً وحرف فى مقام المعبودة
تعرفت يوم الوقف منزل قومها | فبت بجمع سدّ طرق التشتت
فأصبحت أقضى النفس منها منى الهوى | وأقضى على قلبى برعى الرعية
فبايعتها بالنفس داراً سكنتها | وبالقلب منه منزلا فيه حلّت
تخلص الاستحقاق نفسى من الهوى | وأوجب الاسترقاق تسليم شفعة
فيانفس لا ترجع تقطع بيننا | وياقلب لا تجزع ظفرت بوحدة

﴿ ومن فصل الادلال ﴾

تبدت لعينى من جمالك لمحة | أبادت فؤادى من سناها بلفحة
ومرت بسمعى من حديثك ملحة | تبدت لها فيك القران وقرت
ملامى بن عذرى استبن وجدى استمن | سماعى أعن حالى أبن قائلى اصمت
فمن شاهدى سخط ومن قائلى رضا | وتلوين أحوالى وتمكين رتبتى
مرامى اشارات مرامى تفكر | مراقى نهايات مراسى تثبت
وفى موقفى والدار أقوت رسومها | تقرب أشواقى تبعد حسرتى
معانى أمارات مغانى تذكر | مبانى بدايات مثانى تلفت
وبث غرام والحبيب بحضرة | ورد سلام والرقيب بغفلة
ومطلع بدر فى قضيب على نقا | فويق محل عاطل دون دجية
ومكمن سحر بابلى له بما | حوت اضلعى فعل القنا السمهرية
ومنبت مسك من شقيق ابن منذر | على سوسن غض بجنة وجنة
ووصف اللآلى فى اليواقيت كلما | تملّ بصرف الراح فى كل سحرة
سل السلسبيل العذب عن طعم ريقه | ونكهته يخبرك عن علم خبرة
ورمان كافور عليه طوابع | من الندّ لم تحمل به بنت مزنة

ولطف هواء بين خفق وبانة ورقة ماء فى قوارير فضة
لقد عز عنك الصبر حتى كانه سراقة لحظ منك للمتلفت
وأنت وان لم تبق منى صبابة مُنى النفس لم تقصد سواك بوجهة
وكل فصيح منك يسرى لمسمعى وكل مليح منك يبدو لمقلتى
تهون علىّ النفس فيك وانها لتكرم أن تمشى سواك بنظرة
فان تنظرينى بالرضا تشف علتى وان تظفرينى باللقا تطف غلّتى
وان تذكرينى والحياة بقيدها عدلت لأمنى منيتى بمنيتى
وان تذكرينى بعد ماأسكن الثرى تجلّت دجاه عند ذاك وولّت
صلينى والا جددى الوعد تدركى صُبابة نفس أيقنت بتفلت
فما أم بو هالك بتنوفة أقيم لها خاف الحلاب فدرّت
فلما رأته لاينازع خلفها اذا هى لم ترسل عليه وضنّت
بكت كلما راحت عليه وانها اذا ذكرته آخر الليل حنت
بأكثر منى لوعة غير أننى رأيت وقار الصبر أحسن حلية
فرحت كما أغدو اذا ماذكرتها أطامن أحشائى على ماأجنّت
أهوّن ماألقاه الا من القلى هوى ونوى نيل الرضا منك بغيتى
اخوض الصلى اطفى الملا والملوّلا أصلّ السلا ارعى الخلى بين عبرتى
الا قاتل الله الحمامة غدوة لقد أصلت الاحشاء نيران لوعة
وقاتل مغناها وموقف شجوها على الغصن ماذا هيجت حين غنّت
فغنت غناء أعجمياً فهيجت غرامى من ذكرى عهود تولّت
فارسلت الاجفان سحباً وأوقدت جوَاى الذى كانت ضلوعى أكنّت
نظرت بصحراء البريقين نظرة وصلت بها قلبى فصلّ وصلّت

فيالهما قلبا شجيا ونظرة ... حجازية لو جُنّ طرف لجنّت
وواعجبا للقلب كيف اعترافه ... وكيف بدت أسراره خلف سترة
وللعين لما سوئلت كيف أخبرت ... وللنفس لما وطنت كيف دلّت
وكنا سلكنا في صعود من الهوى ... يسامي باعلام العلا كل رتبة
الى مستوى مافوقه فيه مستوى ... فلما توافينا ثبتّ وزلّت
وكنا عقدنا عقدة الوصل بيننا ... على نحو قربان لدى قبر شيبة
مؤكدة بالنذر أيام عهده ... فلما توافقنا شددت وحلّت

﴿ ومن فصل الاحتفال ﴾

أزور اعتمارا أرضها بتنسك ... وأقصد حجا بيتها بتحلة
وفي نشأتي الاخرى ظهرت بماعات ... له نشأتي الاولى على كل فطرة
ولولا خفاء الرمز من لاوان ولم ... تجدهما اشملي مسلكا بتشتت
ولو لم يجدد عهدنا عقد خلة ... قضيت ولم يقض المنى صدق توبة
بعثت الى قلبي بشيرا بما رأت ... على قدم عيناي منه فكفّت
فلم يعد ان شام البشارة شام ما ... جفا الشام من نور الصفات الكريمة
فيالك من نور لو أن التفاتة ... تعارض منه بالنفوس النفيسة
تحدث انفاس الصبا ان طيبها ... بما حملته من حراقة حرقة
وتنبئ آصال الربيع عن الربا ... وأشجاره ان قد تجلت فجلّت
وتخبر أصوات البلابل انها ... تغنت بترجيعي على كل أيكة
فهذا جمالي منك في بعد حسرتي ... فكيف به ان قربتني بخلة
تبدى وما زال الحجاب ولا دنا ... وغاب ولم يفقده شاهد حضرتي
له كل غير في تجليه مظهر ... ولا غير الا ما محت كف غيرة

تجلى دليل واحتجاب تنزه ... وإثبات عرفان ومحو تثبت
فما شئت من شئ وآليت انه ... هو الشئ لم تحمد فجاو أليق
وفى كل خلق منه كل عجيبة ... وفى كل خلق منه كل لطيفة
وفى كل خاف منه مكمن حكمة ... وفى كل باد منه مظهر جلوة
أراه بقلب القلب واللغز كامنا ... وفى الزجر والفال الصحيح الادلة
وفى طى أوفاق الحساب وسرّما ... يتمّ من الاعداد فابدأ بستّة
وفى نفثات السحر فى العقد التى ... تطوع لها كل الطباع الابية
يصوّر شكلا مثل شكل ويعتلى ... عليه باوهام النفوس الخبيثة
وفى كل تصحيف وعضو بذاته اخـ ... ـتلاج وفى التقويم مجلى لرؤية
وفى خضرة الكمون ترجى شرابه ... مواعيد عرقوب على اثر صفرة
وفى شجر قد خوّفت قطع أصلها ... فبان بها حمل لاقرب مدة
وفى النخل فى تلقيحه واعتبر بما ... اتى فيه عن خير البرية واسكت
وفى الطابع السبتى فى الاحرف التي ... يبيّن منها النظم كل خفية
وفى صنعة الطلسمّ والكيمياء وللـ ... ـكنوز وتنوير المياه المعينة
وفى حرز اقسام المؤدب محرز ... وحزب اصيل الشاذلىّ وبكرة
وفى سيمياء الحاتمىّ ومذهب ابـ ... ـن سبعين اذ يعزى الى شرّ بدعة
وفى الملل الاولى وفى النحل الألى ... بها اوهموا لما تسلموا بسنة
وفى كل ما فى الكون من عجب وما ... سوى الكون الا ناطق بعجيبة
فلا سرّ الا وهو فيه سريرة ... ولا جهر الا وهو فيه كحلية
سل الذكر عن انصاف اصناف ما بقى ... عليه الكلام من حروف سليمة
وعن وضعها فى بعضها وبلوغ ما ... اتت فيه امضى عدّها وتثبت

فلا بد من رمز الكنوز لذى الحجا ولا ظلم الا ظالم صاحب حكمة
ولو لا سلام ساق للامن خيفتى لعاجل مسّ البرد خوفى بليتى
ولو لم تداركنى ولكن بعطفها درجت وجاثى ان نعتنى خيبتى
ولولم تؤانسنى عنا قبل لم ولم قضى الشب مني بغية بعدو حشتى
ونم أقامت أمر ملكى بشكرها كما هوّنت بالصبر كل بلية

﴿ ومن فصل الاعتقال ﴾

سرت بفؤادى اذ سرت فيه نظرتى وسارت ولم تثن العنان بعطفة
وذلك لما أطلع الشمس فى الدجى محيًا ابنة الحيين فى خير ليلة
يمانية لو أنجدت حين أنجدت لما أبصرت عيناك حيًا كميت
لأصحمة فى نصحها قدم بنى لكل نجاشىّ بها حصن فمنة
ألمت لحطّت رحلها ثم لم يكن سوى وقفة التوديع حتى استقلت
فلو سمحت لى بالتفات وحلّ من مهاوى الهوى والهون جد تفلتى
ولكنها همّت بنا فتذكرت قضاء قضاة الحسن قدما فصدّت
اجلت خيالا انى لا أجله ولم أنتسب منه لغير نحلة
على انى كلى وبعضى حقيقة وباطل أوصافى وحق حقيقتى
وجنسى وفصلى وللعوارض كلها ونوعى وشخصى والهواء وصورتى
وجسمى ونفسى والحشا وغرامه وعقلى وروحانيتى القدسية
وفى كل لفظ عنه ميل لمسمعى وفى كل معنى منه معنى لوعتى
ودهرى به عيد ليوم عروبة وأمرى أمرى والورى تحت قبضتى
ووقتى شهود فى فناء شهدته ولا وقت لى الا مشاهد غيبة
أراه معى حسًا ووهمًا وانه منلط الثريا من مدارك رؤيتى

وأسمعه من غير نطق كأنه يلقن سمعي مايوسوس مهجتي
مـلأت بانوار المحبـة باطني كأنك نور في سرار سريرتي
وجليت بالاجلال ارجاء ظاهري كانك في أفقي كواكب زينـة
فانت الذي اخفيه عند تستري وأنت الذي أبديه في حين شهرتي
فته أحتمل واقطع أصل واعل أستفل ومر أمتثل واملل أمل وارم أثبت
فقلبي ان عاتبته فيك لم اجـد لعتبي فيـه الدهر موقع نكتة
ونفسي تنبو عن سواك نفاسـة فلا تنتمي الا اليك بعزة
تعلقت الآمال منك بفوق ما أرى دونه مالا ينـال بحيـلة
وحامت حواليها وما وافقت حمى سحائب يأس امطرت ماء عبرتي
فلو فاتني منك الرضا ولحقتني بعفو بكيت الدهر فوت فضيلة
ولو كنت في اهل اليمين منعما بكيت على ماكان من سبقية
وكم من مقام قمت عنك مسائلا أرى كل حي كل حيّ وميت
اتيت بفاراب أبا نصرها فلم اجد عنده علما يبرد غلتي
ولم يدر ماقولي ابن سيناء سائلا فقل كيف أرجو عنده برء علتي
فهل في ابن رشد بعد هذين مرتجى وفي ابن طفيل لاحتثاث مطيتي
لقد ضاع لولا أن تداركني حمى من الله سعي بينهم طول مدتي
فقيض لي نهجاً الى الحق سالكا وأيقظني من نوم جهلي وغفلتي
فحصنت أنظارا الجند جنيدها بترك فلي من رغبة ريح رهبة
وكسرت عن رجل ابن أدهم أدهما وانقذته من اسر حب الاسرّة
وعدت على حلاّج سكري بصلبه وألقيت بلعام التفاتي بهوّة
فقوليَ مشكور ورأيي ناجح وفعلي محمود بكل محلّة

رضيت بعرفانى فاعليت للعلا ... واجلسنى بعد الرضا فيه جلتى

فعشت ولا ضير أخاف ولا قلى ... وصرت حبيبا فى ديار أحبتى

فها أنا ذا أمسى واصبح بينهم ... مبلغ نفسى منهم ماتمنت

﴿ وأنشدنى قوله فى حال قبض وقيدتها عنه ﴾

اليك بسطت الكف استنزل الفضلا ... ومنك قبضت الطرف استشعرا لذلا

وهاأنا ذا قد قمت يقدمنى الرجا ... ويحجم بى الخوف لذى خامر العقلا

أقدم رجلا ان يضئ برق مطمع ... وتظلم أرجائى فلا انقل الرجلا

ولى عثرات لست آمل ان هوت ... بنفسى أن لا استقيل وأن أصلى

فان تدركنى رحمة انتعش بها ... وان تكن الاخرى فاولى بى الأولى

﴿قال ومما نظمته من الشعر﴾

وجد تسعره الضلو ... ع وما تبرده المدامع

همّ تحركه الصبا ... بة والمهابة لا تطاوع

أمل اذا وصل الرجا ... أسبابه فالموت قاطع

بالله ياهذا الهوى ... ماأنت بالعشاق صانع

﴿ قال ومما كتبت به لمن بلغنى عنه بعض الشئ ﴾

نحن ان تسأل بناس معشر ... أهل ماء فجرته الهمم

عرب من بيضهم أرزاقهم ... ومن السمر الطوال الخيم

عرضت أحسابهم أرواحهم ... دون نيل العرض وهى الكرم

أورثونا المجد حتى اننا ... نرتضى الموت ولا نزدحم

مالنا فى الناس من ذنب سوى ... اننا نلوى إذا ماافتحموا

﴿ قال ومما قلته مذيلا به قول القاضى أبى بكر بن العربي ﴾

أما والمسجد الاقصى ... وما يتلى به نصّا
لقد رقصت بنات الشو ... ق بين جوانحي رقصا

قولي

فأقلع بي اليه هوى ... جناحاً عزمه قصّا
أقلّ القلب واستمدى ... على الجثمان فاستعصى
فقمت أجول بينهما ... فلا أدنى ولا أقصى

﴿قال ومما قلته في التورية بشأن راوي المدوّنة﴾

لا تعجبنّ لظبي قد دها أسداً ... فقد دها أسداً من قبل سحنون

قال ومما قلته من الشعر

أنبت عوداً بنعماء بدأت بها ... فضلا وألبستها بعد اللحى الورقا
فظل مستشعراً مستدثراً أرجا ... ريان ذا بهجة يستوقف الحدقا
فلا تشنه بمكروه الجنى فلكم ... عوّدته من جميل من لدن خلقا
وانف القذى عنه واثر الدهر منبته ... وغذّه برجاء واسقه غدقا
واحفظه من حادثات الدهر أجمعها ... ماجاء منها على ضوء وما طرقا

ومما قيدت عنه أيام مجالسته ومقامه بغرناطة أنه شهد مجلسا بين يدي السلطان أبي تاشفين عبد الرحمن بن أبي حم ذكر فيه أبو زيد بن الامام ان ابن القاسم مقلد مقيد النظر باصول مالك ونازعه أبو موسى عمران بن موسى المشدالي وادعى انه مطلق الاجتهاد واحتج له بمخالفته لبعض مايرويه ويبلغه عنه لما ليس من قوله وأتى من ذلك بنظائر كثيرة قال فلو تقيد بمذهبه لم يخالفه لغيره فاستظهر أبو زيد بنص لشرف الدين التلمساني مثل فيه الاجتهاد المخصوص باجتهاد ابن القاسم بالنظر الى مذهب مالك والمزني الى الشافعي فقال

عمران هذا مثال والمثال لاتلزم صحته فصاح به أبوزيد بن الامام وقال لابى
عبد الله بن عمرو تكلم فقال لاأعرف ماقال هذا الفقيه والذى أذكره من
كلام أهل العلم انه لايلزم من فساد المثال فساد الممثل له فقال أبوموسى للسلطان
هذا كلام أصولى محقق فقلت لهما يومئذ وأنا حديث السن ماأنصفتما
الرجل فان المثل كماتؤخذ على جهة التحقيق كذلك تؤخذ على جهة التقريب
ومن ثم جاء ماقاله هذاالشيخ أعنى ابن أبى عمرو وكيف لا وهـذا سيبويه
يقول وهذا مثال ولايتكلم به فاذا صح أن المثال قد يكون تقريباً فلا يلزم
صحـة المثال ولا فسادالممثل لفساده فهذان القولان من أصل واحد .

وقال شهدت مجلساً آخر عند هذا السلطان قرئ فيه على ابى زيد بن الامام
حديث لقنوا موتاكم لااله الاالله من صحيح مسلم فقال له الاستاذ أبو
اسحاق بن حكم السلوى هذا الملقن محتضر حقيقة ميت مجازاً فما وجه ترك
محتضريكم الى موتاكم والاصل الحقيقـه فأجابه أبو زيد بجواب لم يقنعه
وكنت قد قرأت على الاستاذ بعض التنقيح فقلت زعم القرافى أن المشتق انما
يكون حقيقة فى الحال مجازاً فى الاستقبال مختلفا فيه فى الماضى اذا كان محكوما
به أما اذا كان متعلق الحكم كما هنا فهو حقيقة مطلقاً اجماعا وعلى هذا التقدير
لامجاز ولا سؤال . لا يقال انه احتج على ذلك بما فيـه نظر . لانا نقول
انه نقل الاجماع وهو أحد الاربعة التي لايطالب مدعيها بالدليل كما ذكر أيضا
بل نقول انه أساء حيث احتج في موضع الوفاق كما أساء اللخمى وغـيره فى
الاحتجاج على وجوب الطهارة ونحوها بل هذا أشنع لكونه مما علم
من الدين بالضرورة . ثم انا لو سلمنا نفى الاجماع فلنا ان نقول ان ذلك اشارة الى
ظهور العلامات التى يعقبها الموت عادة لان تلقينه قبل ذلك ان لم يدهش قد

يوحش فهو تنبيه على وقت التلقين أى لقنوا من تحكمون بانه ميت أو يقال انما عدل عن الاحتضار لما فيه من الابهام ألا ترى اختلافهم فيه هل أخذ من حضور الملائكة أو حضور الاجل أو حضور الجلاس ولا شك ان هذه حالة خفية يحتاج في نصبها دليلا على الحكم الى وصف ظاهر يضبطها وهو ما ذكرناه أو من حضور الموت وهو أيضا مما لا يعرف بنفسه بل بالعلامات فلما وجب اعتبارها وجب كون تلك التسمية اشارة اليها والله تعالى أعلم .

قال وكان أبو زيد يقول فيما جاء من الاحاديث من معنى قول ابن أبى زيد واذا سلم الامام فلا يثبت بعد سلامه ولينصرف ان ذلك بعد ان ينتظر بقدر ما يسلم من خلفه لئلا يمر بين يدى أحد وقد ارتفع عنه حكمه فيكون كالداخل مع المسبوق جمعا بين الادلة .

قلت وهذا من ملح الفقيه . وكان أبو زيد يعنى (ابن الامام) يصحف قول الخونجي في الجمل والمقارنات التي يمكن اجتماعه معها فيقول والمفارقات ولعله فى هذا كما قال أبو عمرو بن العلاء للاصمعى لما قرأ عليه .

وغررتنى وزعمت انـــــك لابن في الصيف تامر

فقال وغررتنى وزعمت انك لا بن بالضيف تامر . فقال أنت في تصحيفك أشعر من الحطيئه أو كما حكى عمن صلى بالخليفة فى رمضان ولم يكن يومئذ يحفظ القرآن فكان ينظر في المصحف فصحف آيات . صنعة الله . أصيب بها من أساء . انما المشركون نحس . وعدها أباه . تقية الله خير لكم . هذا ان دعوا للرحمن ولدا . لكل امرئ منهم يومئذ شأن يعنيه . وقال ذكر أبو زيد بن الامام في مجلسه يوما انه سئل بالمشرق عن هاتين الشرطيتين « ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون » فانهما يستلزمان بحكم الانتاج ولو علم الله

فيهم خيراً لتولوا وهو محال ثم أراد ان يرى ماعند الحاضرين فقال ابن حكم قال الخونجي والاهمال باطلاق لفظ لو وان (كذا) فى المتصلة فهاتان القضيتان على هذا مهملتان والمهملة في قوة الجزئية ولا قياس عن جزئيتين فلما اجتمعت ببجاية بابى على حسين بن حسين واخبرته بهذا وبما اجاب به الزمخشري وغيره مما يرجع الى انتفاء تكرر الوسط قال لى الجوابان فى المعنى سواء لا ن القياس على الجزئيتين انما امتنع لانتفاء امر تكرر الوسط فأخبرت بذلك شيخنا ابا عبدالله الابلى فقال انما يقوم القياس على الوسط ثم يشترط فيه بعد ذلك ان لا يكون من جزئيتين ولا سالبتين الي سائر مايشترط فقلت ما المانع من كون هذه الشروط تفصيلا لمجمل ماينبنى عليه الوسط والا فلا مانع غير ماقاله ابن حسين قال الابلى وقد أجبت بجواب السلوى ثم رجعت الى ماقاله الناس لوجوب كون مهملات القرآن كلية لأن الشرطية لاتنتج جزئية فقلت هذا مما يساق منها للحجة مثل « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » أما فى مثل هذا فلا . قلت [1] وكان يلزم السؤال الاول لو لم يكن تأخير حسبما تبين في مسألة لو لم يطع الله فلينظر ذلك في اسم شيخنا أبي بكر يحيي بن هذيل

قال ولما ورد تلمسان الشيخ الاديب ابو الحسن ابن فرحون نزيل طيبة على تربتها السلام سأل ابن حكم عن معنى هذين البيتين

رأت قمر السماء فأذكرتنى ليالى وصلها بالرقمتين
كلانا ناظر قمراً ولكن رأيت بعينها ورأت بعينى

ففكر ثم قال لعل هذا الرجل كان ينظر اليها وهي تنظر الى قمر السماء فهى تنظر الى القمر حقيقة وهو لافراط الاستحسان يرى انها الحقيقة فقد رأى

---

(١) قوله قلت الخ هكذا في الاصل فليحرر اه

بعينها لانهاناظرة الحقيقة وايضافهو ينظر الى قمر مجازاً وهو لافراط الاستحسان يرى ان قمر السماء هو المجاز فقد رأت بعينه لانهاناظرة المجاز. قلت ومن ههنا نعلم وجه الفاء فى قوله فاذكرتنى لانه لما صارت رؤيتها رؤيته وصار القمر حقيقة اياها كان قوله رأت قمر السماء فأذكرتنى بمثابة قولك اذكرتنى فتأمله فان بعض من لا يفهم كلام الاستاذ كل الفهم ينشده واذكرتني فالفاء فى البيت الاول مبنية على معنى البيت الثانى وهذا النحو يسمي الايذان في علم البيان .

وقال سألني ابن حكم المذكور عن نسب هذا المجيب في هذا البيت

ومهفهف الاعطاف قلت له انتسب ... فأجاب ماقتل المحب حرام

ففكرت ثم قلت أراه تميميا لاثباته ماالنافية فاستحسنه مني لصغر سني يومئذ .

وسأل ابن فرحون ابن حكم يوما هل تجد فى التنزيل ست فاآت مرتبة ترتيبها في هذا البيت .

رأى فخبّ فرام الوصل فامتنعت ... فسام صبراً فاعيا نيله فقضى

ففكر ثم قال نعم قوله عز وجل (فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون) الى آخرها فمنعت له البناءفى فتنادوافقلت لابن فرحون هل عندك غيره قال نعم قوله عزوجل (فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها) الى آخر السورة فمنع له بناء الآخرة لقراءة الواو فقلت لهامنع ولا تسند فيقال لك ان المعانى قد تختلف باختلاف الحروف وان كان السند لايسمع الكلام عليه واكثر ماوجدت الفاء تنتهى في كلامهم الى هذا العدد سواء بهذا الشرط وبدونه كقول نوح عليه السلام (فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم)

وكقول امرئ القيس

غشيت ديار الحي بالبكرات .. البيتين لايقال قوله فعامب سابع لانا نقول انه عطف على عاقل المجرد منها ولعل حكمة الستة كونها أول الاعداد التامة كما قيل في حكمة خلق السموات والارض وشأن اللسان عجيب

وقال سمعت ابن حكم يقول بعث بعض أدباء فاس لى صاحب له

ابعث الى بشيء . مداو فاس عليه

وليس عندك شيء مما أشير اليه

فبعث اليه ببطة من مري يشير بذلك الى الرياء وحدثت ان قاضيها أبا محمد عبد الله بن أحمد ابن الملجوم دعى لوليمة وكان كثير البلغم فوضع بين يديه صهره أبو العباس بن الاشقر غضاراً من اللون المطبوخ بالمري لمناسبته لمزاجه فخاف أن يكون عرض له بالريا وكان ابن الاشقر يذكر بالوقوع في الناس فناوله القاضي غضار المقروض فاستحسن الحاضرون فطنته

وقال عند ذكر شيخه أبي محمد عبد الله بن عبد الواحد المجاصي دخلت عليه بالفقيه أبي عبد الله السطى في أيام عيد فقدم لنا طعاماً فقلت لو أكلت معنا فرجونا بذلك مايرفع من حديث من أكل مع مغفور له غفر له فتبسم وقال لى دخلت على سيدي ابي عبد الله الفاسي بالاسكندرية فقدم طعاماً فسألته عن هذا الحديث فقال وقع في نفسي منه شيء فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فسألته عنه فقال لى لم أقله وارجو ان يكون كذلك وصافحته بمصافحته الشيخ ابا عبد الله زيان بمصافحته ابا سعيد عثمان بن عطية الصعيدي بمصافحته ابا العباس احمد الملثم بمصافحته المعمر بمصافحته رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدث عن شيخه أبي محمد الدلاصي انه كان للملك العادل مملوك اسمه محمد

فكان يخصه لدينه وعقله بالنداء باسمه وانما كان ينعق بمماليكه ياساقى ياطباخ
يامزين فناداه ذات يوم يافراش فظن ذلك لموجدة عليه فلم ير أثر ذلك
وتصورت له به خلوة فسأله عن مخالفته لعادته فقال له لا عليك، كنت يومئذ
جنباً فكرهت أن أذكر اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم على تلك الحالة
وقال أنشدنى المجاصى قال أنشدنى الامام نجم الدين الواسطى قال أنشدنى
شرف الدين الدمياطى قال أنشدنى تاج الدين الارموى مؤلف الحاصل قال
أنشدنى الامام فخر الدين لنفسه

نهاية اقدام العقول عقال ... وأكثر سعى العالمين ضلال
وأرواحنا فى وحشة من جسومنا ... وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قال وقالوا
وكم من رجال قد رأينا ودولة ... فبادوا جميعاً مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علت شرفاتها ... رجال فماتوا والجبال جبال

وقد مر ذكر الشريف القاضى أبى على حسن بن يوسف بن يحيى الحسينى
عدد شيوخه قال حدثنى القاضى ابو العباس الرندى قال لما قدم القاضى
ابو العباس بن الغماز من بلنسية نزل بجاية فجلس بها فى الشهود مع عبد الحق
ابن ربيع فجاء عبد الحق يوما وعليه برنس ابيض وقد حسنت شارته وكملت
هيئته فلما نظر اليه ابن الغماز انشده

لبس البرنس الفقيه فباهى ... ورأى انه المليح فتاها
لو زليخا رأته حين تبدى ... لتمنته ان يكون فتاها

وقال أيضا ان ابن الغماز جلس لارتقاب الهلال بجامع الزيتونة فنزل الشهود
من المئذنة واخبروا انهم لم يهلوه وجاء حفيد له صغير فاخبر انه اهله فرده

معه فاراهم اياه فقال ما اشبه الليلة بالبارحة وقع لنا مثل هذا مع ابى الربيع بن سالم فانشدنا فيه

نوارى هلال الافق عن اعين الورى وارخى حجاب الغيم دون محيّاه
فلما تصدى لارتقاب شقيقه تبدى له دون الانام فحيّاه

وجرى في مجلس ابى عبد الله بن النجار انى ذكرت يوما قول ابن الحاجب فيما يحرم من النساء بالقرابة وهى اصول وفصول وفصول اول فصوله واول فصل من كل اصل وان علا فقال ان تركب لفظ التسمية العرفية من الطرفين حلت والا حرمت فتأملته فوجدته كما قال لان أقسام هذا الضابط أربعة تركب من الطرفين كابن العم وابنة العم مقابله كالاب والبنت التركب من قبل الرجل كابنة الاخ والعم مقابله كابن الاخت والخالة (كذا) .

وذكر الشيخ الرئيس ابا محمد عبد المهيمن بن محمد الحضرمى وقال كان ينكر اضافة الحول الى الله عز وجل فلا يجيز أن يقال بحول الله وقوته قال ولم يرد اطلاقه والمعنى يقتضى امتناعه لان الحول كالحيلة أو قريب منها .

وحكى عن شيخه أبى زيد عبد الرحمن الصنهاجى عن القاضى أبى زيد عبد الرحمن بن على الدكالى انه اختصم عنده رجلان فى شاة ادعى أحدهما انه أودعها الآخر وادعى الآخر انها ضاعت منه فاوجب اليمين على المودع انها ضاعت من غير تضييع فقال كيف أضيع وقد شغلتنى حراستها عن الصلاة حتى خرج وقتها فحكم عليه بالغرم فقيل له فى ذلك فقال تأولت قول عمر رضى الله عنه ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع .

وحكى عن الشيخ الفقيه رحلة الوقت أبى عبد الله الأبلى حكاية فى قوة الادراك قال كنت يوما مع القاسم بن محمد الصنهاجى فوردت عليه طومارة

من قبل القاضى أبي الحجاج الطرطوشى فيها

خيرات ماتحويه مبذولة ومطلبي تصحيف مقلوبها

فقال لى مامطلبه نقلت نارنج . ودخل عليه وانا عنده بتسلملن الشيخ أبو عبد الله الدباغ المالقى المتطبب فاخبرنا ان أديبا استجدى وزيراً بهذا الشطر . ثم حبيب قلما ينصف . فاخذته فكتبته ثم قلبته وصحفته فاذا هو قصبتا ملف شحمى (كذا)

وقال قال شيخنا الابلى لما نزلت تازى بت مع أبي الحسن بن برى وأبى عبد الله الترجالى فاحتجت الى النوم وكرهت قطعهما عن الكلام فاستكشفتهما عن معنى هذا البيت للمعرّى

أقول لعبـد الله لما سقاؤنا ونحن بوادى عبد شمس وهاشم

فجعلا يفكران فيه فنمت حتى أصبحا ولم يجداه فسألانى عنه فقلت معناه أقول لعبد الله لما وهى سقاؤنا ونحن بوادى عبد شمس شم لنا برقا . قلت وفى جواز مثل هذا نظر وان استقصينا مثل هذا خرجنا عن الغرض

نقلت من خطه كان مولدى بتلمسان أيام أبى حمو (كذا) موسى بن عثمان بن يغمراسن بن زيان وقد وقفت على تاريخ ذلك ورأيت الصفح عنه لان أبا الحسن بن موسى سأل أبا الطاهر السلفى عن سنه فقال اقبل على شأنك فانى سألت أبا الفتح بن زيان عن سنه فقال اقبل على شأنك فانى سألت محمد بن على بن محمد اللبان عن سنه فقال اقبل على شأنك فانى سألت حمزة بن يوسف السهمى عن سنه فقال أقبل على شأنك فانى سألت أبا بكر محمد بن على المنقرى عن سنه فقال أقبل على شأنك فانى سألت أبا اسماعيل الترمذى عن سنه فقال أقبل على شأنك فانى سألت الشافعى عن سنه فقال أقبل على شأنك فانى سألت مالك بن أنس

عن سنه فقال أقبل على شأنك ليس من المروءة للرجل أن يخبر بسنه انتهى

﴿ وفاته ﴾

توفى بمدينة فاس فى أخريات محرم من عام تسعة وخمسين وسبعمائة وأراه توفى فى ذى الحجة من العام قبله ونقل الى تربة سلفه بمدينة تلمسان حرسها الله

﴿ محمد بن عياض بن محمد بن عياض بن موسى اليحصبى ﴾

من أهل سبتة حفيد القاضى الامام أبى الفضل عياض يكنى أبا عبد الله

﴿ حاله ﴾

قال الاستاذ أبو جعفر بن الزبير كان من عدول القضاة وجلة سراتهم وأهل النزاهة منهم شديد التحرى فى الاحكام والاحتياط صابراً على الضعيف والملهوف شديداً على أهل الجاه وذوى السطوة فاضلا وقورا حسن السمت يعرب كلامه أبداً ويزينه ذلك لكثرة وقاره محبا فى العلم وأهله مقربا لاصاغر الطلبة ومكرما لهم ومعتنياً بهم معملا جهده فى الدفع عنهم لما عسى أن يحبب اليهم العلم وأهله والتمسك به وما رأينا بعده مثله سكن مالقة مع أبيه عند انتقاله اليها الى أن مات أبوه سنة خمس وخمسين وستمائة

حدثنى شيخنا أبو الحسن بن الجياب قال دخلت على القاضى المذكور فسأل أحدنا عن أبيه فقال فلان بن فلان وذكر معرفة مشتركة بين تجار فاس فقال أيهما الذى ينحت فى الخشب أو الذى يعمل السلاح فما فطن لقصده لسذاجته وحدثنى من ذكر جزالته انه كانت تقع له مع السلطان مستقضيه مع كونه مهيبا شديد السطوة وقائع تنبئ عن تصميمه وبعده عن الهوادة منها ان السلطان أمر باطلاق محبوس كان قد سجنه فانفذ للسجان وتوعده ان أطلقه ومنها اذاعة ثبوت في أخريات يوم كان قد أمل السلطان البروز الى العيد في صباحه فنزل

[1] عن القلعة ينادى عبد الله ياميمو اخبر الناس عن عيدهم اليوم وامثال ذلك

﴿ مشيخته ﴾

قرأ بسبتة واسند بها فأخذ عن أبى الصبر أيوب بن عبد الله الفهرى وغيره ورحل الى الجزيرة الخضراء فاخذ بها كتاب سيبويه وغيره تفقها على النحوى الجليل أبى القاسم عبد الرحمن بن القاسم القاضى المتفنن . وأخذ بها كتاب ايضاح الفارسى عن الاستاذ أبى الحجاج بن مغرور . وأخذ باشبيلية وغيرها عن آخرين . وقرأ على القاضى أبى القاسم بن بقى بن نافجة وأجازله .

وكتب له من أهل المشرق جماعة كثيرة منهم أبو جعفر محمد بن أحمد بن نصر بن أبى الفتح الصيدلانى . وأجاز له باصبهان وهو سبط حسين بن منده أجاز له فى شوال سنة ثمان وتسعين وخمسمائة . وتحمل عن أبى العلاء الحداد شيخ السلفى الحافظ عن محمود الصيرفى ونظائرهما وجماعة من اصبهان كثيرة كتبوا له بالاجازة .

وكتب له من غيرها من البلاد ماينيف على ثمانين رجلا . منهم احد وستون رجلا كتبوا له مع الشيخ المحدث أبى العباس المغربى والقاضى أبى عبد الله الازدى .

﴿ من روى عنه ﴾

قال الاستاذ أبو جعفر رحمه الله أجاز لى مرتين اثنتين . وقال حدثنى أبو عبد الله مشافهة بالاذن أنبأنا أبو الطاهر بركات بن ابراهيم الخشوعى كتابة من دمشق أنبأنا عبد الله محمد بن أحمد الرازى المعروف بابن الحطاب بالحاء المهملة أخبرنا محمد بن أحمد بن عبد الوهاب البغدادى المعروف بالفسطاط

---

(١) قوله فنزل عن القلعة الخ كذا فى الاصل وليحرر

أخبرنا موسى بن محمد بن عرفة السمسار ببغداد قال أنبأنا أبو عمران بن أحمد ابن الفضل النزى أخبرنا اسماعيل بن موسى أخبرنا عمر بن شاكر عن أنس ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى على الناس زمان القابض منهم على دينه كالقابض على الجمر .

هذا الاسناد قريب يعز مثله فى القرب لامثالنا ممن مولده بعد الستمائة . واسماعيل بن موسى من شيوخ الترمذى قد خرج عنه الحديث المذكور .

﴿ مولده ﴾

بسبتة سنة أربع وثمانين وخمسمائة .

﴿ وفاته ﴾

توفى بغرناطة يوم الخميس الثامن والعشرين لجمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة

﴿ محمد بن عياض بن موسى بن عياض بن عمر بن موسى بن عياض اليحصبى ﴾

من أهل سبتة ولد الامام أبى الفضل عياض يكنى أبا عبد الله

﴿ حاله ﴾

كان فقيها جليلا أديبا كاملا دخل الاندلس وقرأ على ابن بشكوال كتاب الصلة ولى قضاء غرناطة قال ابن [1] وقفت على جزء ألفه فى أخبار أبيه وحاله فى أخذه وعلمه ومايرجع الى هذا أوقفنى عليه حفدته بمالقة .

﴿ مشيخته ﴾

روى عن أبيه أبى الفضل عياض

﴿ وفاته ﴾

توفي سنة خمس وسبعين وستمائة

(١) بياض بالاصل

﴿ محمد بن أحمد بن جبير بن سعيد بن جبير بن محمد بن عبد السلام الكنانى الواصل الى الاندلس ﴾

﴿ أوليته ﴾

دخل جده عبد السلام الاندلس فى طالعة بلج بن بشر بن عياض القشيرى فى محرم سنة ثلاث وعشرين ومائة وكان نزوله بكورة شذونة وهو من ولد ضمرة بن كنانة بن بكر بن عبد [1] بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بلنسى الاصل ثم غرناطى الاستيطان شرق وغرب وعاد الى غرناطة .

﴿ حاله ﴾

كان أديباً شاعراً مجيداً سنياً فاضلا نزيه الهمة سرى النفس كريم الاخلاق أنيق الطريقة كتب بسبتة عن ابى سعيد عثمان بن عبد المؤمن وبغرناطة عن غيره من ذوى قرابته وله فيهم امداح كثيرة ثم نزع عن ذلك وتوجه الى المشرق وجرت بينه وبين طائفة من أدباء عصره مخاطبات ظهرت فيها براعته واجادته ونظمه فائق ونثره بديع وكلامه المرسل سهل حسن وأغراضه جليلة ومحاسنه ضخمة وذكره شهير ورحلته نسيجة وحدها طارت كل مطار رحمه الله .

﴿ رحلته ﴾

قال من عنى بخبره رحل ثلاثا من الاندلس الى المشرق وحج فى كل واحدة منها فصل عن غرناطة لأول ساعة من يوم الخميس لثمان خلون من شوال سنة ثمان وسبعين وخمسمائة صحبة أبى جعفر بن حسان ثم عاد الى وطنه غرناطة لثمان بقين من محرم عام احد وثمانين ولقى بها أقواما يأتى التعريف بهم فى مشيخته وصنف الرحلة المشهورة وذكر مانقله فيها وما شاهده من

---

(١) بياض بالاصل

عجائب البلدان وغرائب المشاهد وبدائع الصنائع وهو كتاب مؤنس ممتع مثير سواكن الانفس الى تلك المعالم

ولما شاع الخبر المبهج بفتح المقدس على يد السلطان الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن غازى قوى عزمه على اعمال الرحلة الثانية فتحرك اليها من غرناطة يوم الخميس لتسع خلون من ربيع الاول سنة خمس وثمانين وخمسمائة ثم آب الى غرناطة يوم الخميس لثلاث عشرة خلت من شعبان سنة سبع وثمانين وسكن بغرناطة ثم مالقه ثم سبتة ثم فاس منقطعاً الى اسماع الحديث والتصوف وتروية ماعنده وفضله بديع وورعه يحقق اعماله الصالحة ثم رحل الثالثة من سبتة بعد موت زوجه عاتكة أم المجد بنت الوزير أبي جعفر الوقيسى وكان كلفه بها جما فعظم وجده عليها فوصل مكة وجاور بها طويلا ثم بيت المقدس ثم تحول لمصر والاسكندرية فاقام يحدث ويؤخذ عنه الى ان لحق بربه .

(مشيخته)

روى بالاندلس عن أبيه وأبى الحسن بن محمد بن أبي العيش وأبى عبد الله بن أحمد بن عروس وابن الاصيلى . واخذ العربية عن الحجاج بن يسمون بسبتة عن ابى عبد الله بن عيسى التميمى السبتى وأجاز له ابو الوليد بن [1] وابو ابراهيم بن اسحاق بن عبد الله بن عيسى التميمى السبتي الفاسى التونسى وأبو حفص عمر بن عبد المجيد عم القرشى الميانجى نزيل مكة وأبو جعفر أحمد بن على القرطبي الفتكى وابو الحجاج يوسف بن أحمد بن على بن ابراهيم ابن محمد البغدادى وصدر الدين أبو محمد عبد اللطيف الحجرى رئيس الشافعية

(١) بياض بالاصل

باصبهان . وببغداد العالم الحافظ أبو الفرج . وكناه أبو الفضل بن الجوزى وحضر بعض مجالسه الوعظية فشاهد رجلا ليس بعمرو ولا زيد . وكل الصيد في جوف الفرا . وبدمشق ابو الحسن احمد بن حمزة بن على عبد الله ابن عباس السلمى الجوارى وأبو سعيد عبد الله بن محمد بن أبي عصرون وأبو الطاهر الخشوعى وسمع عليه وعماد الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد الاصبهانى من ائمة الكتاب وأخذ عنه بعض كلامه وغيره وأبو القاسم عبد الرحمن ابن الحسين بن الاخضر بن على بن عساكر وسمع عليه وابو الوليد اسماعيل بن على بن ابراهيم .

﴿ من أخذ عنه ﴾

قال ابن عبد الملك أخذ عنه أبو اسحق بن مهيب وابن الواعظ وأبو تمام ابن اسمعيل وأبو الحسن بن نصر بن فاتح بن عبد الله البجائى وأبو الحسن على الشادى وأبو سليمان بن حوط الله وأبو زكريا وأبو بكر يحيى بن محمد ابن أبي الغمر وأبو عبد الله بن حسن بن مجبر وأبو العباس بن عبد المؤمن البنانى وأبو محمد بن الحسن اللوابى وأبو محمد بن سالم وعثمان بن سفيان بن أشقر التميمى التونسى .

وممن اخذ عنه بالاسكندرية رشيد الدين ابو محمد عبد الكريم بن عطاء الله وبمصر رشيد الدين بن العطار وفخر القضاة بن الجياب وابنه جمال القضاة .

﴿ تصانيفه ﴾

منها نظمه قال ابن عبد الملك وقفت منه على مجلد على قدر ديوان ابى تمام حبيب بن اوس . وجزء سماه نتيجة وجد الجوانح فى تأبين القرين الصالح فى مراثى زوجه ام المجد . وجزء سماه نظم الجمان فى التشكى

من اخوان الزمان • وله ترسل بديع وحكم مستجادة • وكتاب رحلته وكان ابو الحسن الشادى يقول انها ليست من تصانيفه وانما قيد معانى ماتضمنته فتولى ترتيبها وتنضيد معانيها بعض الآخذين عنه على ماتلقاه والله اعلم •

﴿ شعره ﴾

من ذلك القصيدة الشهيرة التى نظمها وقد شارف المدينة المكرمة طيبة على سا كنها أفضل الصلاة وازكى التسليم •

أقول وآنست بالليل نارا ... لعل سراج الهدى قد أنارا
والا فما بال أفق الدجى ... كأن سنا البرق منه استنارا
ونحن من الليل فى حندس ... فما باله قد تجلى نهارا
وهذا النسيم شذا المسك قد ... أعير أم المسك منه استعارا
وكانت رواحلنا تشتكى ... وجاها فقد سبقتنا ابتدارا
وكنا شكونا عناء السرى ... فعدنا نبارى سراج المهارا
اظن النفوس قد استشعرت ... بلوغ هوى تخذته شعارا
بشائر صبح السرى آذنت ... فان الحبيب تدانى مزارا
جرى ذكر طيبة مابيننا ... فلاقلب فى الركب الا وطارا
حنينا الى أحمد المصطفى ... وشوقا يهيج الضلوع استعارا
ولاح لنا أُحُدٌ مشرقا ... بنور من الشهداء استعارا
فمن أجل ذلك ظل الدجى ... عود[1] النجوم انتشارا
ومن طرب الركب حث الخُطَى ... اليها ونادى البدار البدارا
ولما حللنا فناء الرسول ... نزلنا بأكرم مجد جوارا

(١) كذا بالاصل وهو غير موزون اه

وحين دنونا لفرض السلام ... قصرنا الخُطَى ولزمنا الوقارا
فما نرسل اللحظ الا اختلاسا ... وما نرجع الطرف الا انكسارا
ولا نظهر اللفظ الا اختلاسا ... وما نرجع القول الا سرارا
سوى اننا لم نطق اعينا ... بادمعها غلبتنا انفجارا
وقفنا بروضة دار السلام ... نعيد السلام عليها مرارا
ومن به (١) فى النفوس ... لثمنا الثرى والتزمنا الجدارا
قضينا بزورته حجنا ... وبالعمرتين ختمنا اعتمارا
اليك اليك نبيَّ الهدى ... ركبت البحار وجبْت القفارا
وفارقت اهلى ولا منّة ... ورب كلام يجر اعتذارا
وكيف نمنّ على من به ... نؤمل للسيئات اغتفارا
دعانى اليك هوى كامن ... أثار من الشوق ماقد أثارا
فناديت لبيك داعى الهوى ... علىّ وقلت رضيت اختيارا
أخوض الدجى وأروض السرى ... ولا أطعم النوم الا غرارا
ولو كنت لاأستطيع السبيل ... لطرت ولو لم أصادف مطارا
عسى لحظة منك لى فى غد ... تمهد لى فى الجنان الوقارا
فما ضل من بسراك اهتدى ... ولا ذل من بذراك استجارا

وفى غبطة من منّ الله عليه بحج بيته وزيارة قبر نبيه صلى الله عليه وسلم

هنيئا لمن حج بيت الهدى ... وحطّ عن النفس أوزارها
فان السعادة مضمونة ... لمن حج طيبة أوزارها

وفى مثل ذلك يقول

(١) قوله ومن به كذا بالاصل اه

اذا بلغ المرء أرض الحجاز فقد نال أفضل ماأمّـله
وان زار قبر نبيّ الهدى فقـد كمـل الله ماأمّ له

وقال فى تفضيل المشرق

لايستوى شرق البلاد وغربها الشرق حاز الفضل باستحقاق
انظر ترى للشمس عند طلوعها زهوا يعجب بهجة الاشراق
وانظر لها عند الغروب كهيئة صفراء تعقب ظلمة الآفاق
وكفى بيوم طلوعها من غربها أن تؤذن الدنيا بعزم فراق

وقال فى الوصايا

عليك بكتمان المصائب واصطبر عليها فما أبقى الزمان شـقيقا
كفاك بشكوى الناس اذ ذاك أنها تسر عدوا أو تسىء صديقا

وقال

ومصانع المعروف فائتة عاقل ان لم تضـعها فى محل عاقل
كالنفس فى شهواتها ان لم تكن وقفالها عادت بضر عاجـل

﴿نثره﴾

من حكمه قوله ان شرف الانسان فبشرف واحسان. وان فاق فبفضل وارفاق. ينبغى أن يحفظ الانسان لسانه كما يحفظ الجفن انسانه. فرب كلمة تقال تحدث عثرة لاتقال. كم كست فلتات الالسنة الحداد من ورائها ملابس حداد نحن فى زمان لايحصل فيه نفاق الا من عامل بالنفاق. شغل الناس عن الطريق بزخارف الاعراض يمحو الصدور عنها والاعراض. آثروا دنيا هى أضغاث احلام وكم هفت فى حبها من أحلام. وأطالوا فيها آمالهم وقصروا أعمالهم مابالهم لم يتفرغوا لغيرها مالهم في غير ميدانها استباق ولا لشواهـدها اشتياق. تالله لو

كشف الاسرار لما كان هـذا الاسرار لسهرت العين وتفجر من شؤنها الجفن لو أن عين البصيرة من سنتها هابة لرات مافى الدنيا ريحا هابة . ولكن استولى العمي على البصائر ولا يعلم الانسان ماالبه صائر اسأل الله هداية سبيله ورحمة تورد نسيم الفردوس وسلسبيله . انه الحنان المنان لارب سواه

ومنها

فلتات الهمات أشبه شيء بفلتات الشهوات . منها نافع لا يعقب ندما ومنها ضار يبقي في النفس ألما . فضرر الهمة وقوعها عند من لا يعتقد لحقها أداء وربما أثرت عنده اعتداء . وضرر الشهوات أن لا توافق ابتداء فتصير لمتبعها داء . مثالها كمثل المسكر يلتذ صاحبه بحلاوة جناه فاذا اصحا عرف ما قد جناه . وعكس هذه القضية هي الحالة المرضية .

﴿ مولده ﴾

ببلنسية سنة تسع وثلاثين وخمسمائة . وقيل بشاطبة فى هذا التاريخ .

﴿ وفاته ﴾

توفى بالاسكندرية ليلة الاربعاء التاسع والعشرين شعبان سنة أربع عشرة وستمائة.

﴿ محمد بن احمد بن محمد بن احمد بن محمد بن عبد الرحمن بن على بن شيرين ﴾

يكني أبا بكر شيخنا القاضى المؤرخ الكاتب البارع رحمة الله عليه .

﴿ أوليته ﴾

اصله من اشبيلية من حصن شلب من كورة باجة من غربي صقعها يعرفون ببنى شيرين معرفة قديمة ولى جده القضاء باشبيلية وكان من كبار اهل العلم وانتقل ابوه منها عند تغلب العد وعليها عام ستة واربعين وستمائة فاحتل

رندة ثم غرناطة ثم انتقل الى سكنى سبتة وبها ولد شيخنا ابو بكر وانتقل عند الحادثة الى غرناطة ثم انتقل [1] فارتسم فى الكتابة السلطانية وولى القضاء بعد ذلك بجهات وتأثل مالا وشهرة حتى جرى مجرى الاعيان من اهلها.

﴿ حاله ﴾

كان فرد دهره ونسيج وحده فى حسن السمت والرواء وكمال الظرف وجمال الشارة وبراعة الخط وطيب المجالسة ووقورا عظيم الابهة عذب التلاوة لكتاب الله من اهل الدين والفضل والعدالة تاريخيا مقيدا طلعة اختيار اصحابه محققا لما ينقله فكها مع وقار غزلا لوذعيا على شان الكتابة جميل العشرة اشد الناس على الشعر ثم على المحافظة [2] مالا يحفظه من الابيات من غير احتياج ولا تنقيح يناجى فى اثباتها مقررة التواريخ حتى عظم حجم ديوانه مليح الكتابة سهلها صانعا سابقا في ميدانها راجحا كفة المنثور وكانت له رحلة الى تونس اتسع بها نطاق روايته وتقلب بين الكتابة والقضاء منحوس الحظ في الاستعمال مضيقا فيه وان كان وافر الجدة موسعا عليه.

وجرى ذكره فى كتاب التاج المحلى بما نصه

خاتمة المحسنين وبقية الفصحاء اللسنين . ملأ العيون هديا وسمتا وسلك من الوقار طريقة لا ترى فيها عوجا ولا أمتا . ماشئت من فصل ذات وبراعة أدوات . ان خط نزل ابن مقلة عن درجته . وان نظم أونثر تبعت البلغاء ذلك الاثر . وان تكلم أنصت الحفل لاستماعه وسمع لدرره النفيسة صدق أسماعه . وفد على الاندلس عند كائنة سبتة وطرحت النوى حاله وظعن عن ربعه لتوالى امحاله . والمستولى على طارفها وتالدها أبو عبدالله بن

(١) بياض بالاصل (٢) قوله على المحافظة الى قوله التواريخ كذا في الاصل وليحرر اهـ

الحكيم قدس الله صداه وسقى منتداه . فاهتز لقدومه اهتزاز الصارم وتلقاه تلقى الاكارم . وأنهض الى لقائه آماله وأمنى له قبل الوسادة ماله . ونظمه فى عقد الكتاب وأ . لاه عن اعمال الاقتاب . ونزل ذمامه تأكداً فى هذه الدول ووفى له الآتيـة منها على الأول . فتصرف فى القضاء بجهاتها وناداته السيادة هاك وهاتها . فجدد عهد حكامه العدول من سلفه وقضاتها . وله الأدب الذى تحلت بقلائده النحور وقصرت عن جواهره البحور وسيمر من ذلك فى تضاعيف هذا المجموع مايشهد سعة ذرعه ويخبر بكرم عنصره وطيب نبعه

﴿ مشيخته ﴾

قرأ على جده لامه الاستاذ الامام ابى بكر بن عبيدة الاشبيلى وسمع على الرئيس ابى حاتم وعلى اخيه ابى عبد الله الحسين وعلى الاستاذ ابى اسحق الغافقى وعلى الشريف ابى على بن ابى الشرف وعلى الامام ابى عبد الله بن حريث وسمع على العدل ابى فارس عبـد العزيز الجزيرى وسمع بحضرة غرناطة على الاستاذ ابى جعفر بن الزبير وعلى الوزير ابى محمد بن المؤذن وعلى الخطيب ابى عبد الله بن رشيد وبمالقة على الخطيب ولى الله تعالى ابى عبد الله الطنجالى وعلى الوزير الصدر ابى عبد الله بن ربيع وعلى القاضى العدل ابى عبد الله بن برطال وببجاية على الامام ابى على ناصر الدين المشدالى وعلى ابى العباس الغبرينى وبتونس على ابى على بن علوان وعلى قاضى الجماعة ابى اسحق بن عبد الرافع وسمع على الخطيب الصوفى ولى الله تعالى ابى عبد الله بن مرطال وعلى الصدر ابى القاسم بن محمد بن قائد الكلاعى واجازه علماء من اهل المشرق

﴿ شعره ﴾

وشعره متمدد الاسفار كثير الاغراض وفى الا كثار مجلل الاختيار

فمنه قوله

أخذت بكظم الروح ياساعة النوى وأضرمت في طي الحشا لاعج الجوى
فمن مخبري ياليت شعري متى اللقا وهل تحسن الدنيا وهل يرجع الهوى
سلا كل مشتاق وا كثر وجده وعند النوى وجدى وفي ساكن الهوى
ولى نيـة ماعشت حفظ عهودهم الى يوم ألقاهم وللمـرء مانوى

وقال

قل لمن كان باكيا يبكى هـذا ركاب السرى بلا شك
كن بالذى حدثوا على ثقة مافي حديث الفراق من افك
من النوى قبل لم أزل حذرا هذا النوى حل من مالك الملك

وقال

أيهـا المعـرض اللاهى يسـوءنى هجرك والله

وقال

مـن يرد الله فتنتـــه يشغله في الدنيـا بتيـاه
ياغصـن البـان ألاعطفـة على معنى جسـمه واهى
ذكرك لاينفك عن خاطرى وأنت عنى غافل ساهى
يكفيك ياعثمان من جفوتى لو كان ذنبي ذنب جهجاه
هيهـات لامعـترض على حكمك أنت الآمر الناهى

قلت جهجاه المشار اليه رجل من غفار حكى أنه تناول عصى الخطبة من يد عثمان رضى الله عنه فكسرها على ركبته فوقعت فيها الاكاة فهلك

وقال

يامن أعاد ضيائى فقـده حلكا قتلت عبدك لكن لم تخف دركا

مصيبة الصب ليست كالمصائب لا ولا بكائي عليها مثل كل بكا
فمن أطالب في شرع الهوى بدمي لحظي ولحظك في قتلي قد اشتركا

وقال وقد سبقه اليه الرصافي وهو ظريف

أشكو الى الله فرط اهتبالي ولوعة لا تزال تذكي لي
بمهجتي حائك شغلت به حلو المعاني طرازه عالي
سألته لثم خاله فأبى وظل في عزة وادلال
وقال حالي يصون خالي ان يدني وأحمي الخال بالحال
يقربني الآل من مواعده وأتقي منه سطوة الآل
لكن على ظلمه وقسوته ما ست عنه الزمان بالسالي

وقال أيضا مضمنا

لي همة كلما حاولت أمسكها على المذلة في أوحال أرضيها
قالت ألم تكن ارض الله واسعة حتى يهاجر عبد مؤمن فيها

وقال مسترجعا من ذنبه . ومستوحشا من شيبه

قد كان عيبي قبل في غيب فمذ بدا شيبي بدا عيبي
لا عذر لي اليوم ولا حجة فضحتني والله يا شيبي

وقال

أثقلتني الذنوب ويحي وويسي ليتني كنت زا هدا كأويس

وجرت بينه وبين السلطان ثالث الامراء من بني نصر مودة بعد خلعه من ملكه . وانتثار سلكه . واستقراره بقصبة المنكب غريبا من قومه . معوضا بالسهاد من نومه . قد قلل الدهر سباته . وتركه يندب مافاته . والقاضي المترجم به يومئذ مدير أحكامها . وعلم أعلامها . ومتولي نقضها وابرامها . فارتاح يوما

الى ايناسه . واجتناء أدبه والتماسه. وطلب منه أن يعبر عن حاله ببيانه . وينوب في بثه عن لسانه . فكتب اليه

قفا نفساً فالخطب فيه يهون ... ولا تعجلا ان الحديث شجون

علمنا الذى قد كان من صرف دهرنا ... ولم تعلما هذا الذى سيكون

ذكرنا نعيما قد تقضى نعيمه ... فاقلقنا شوق له وحنين

وكنا بامس كيف شئنا وللدنا ... حراك على أحكامنا وسكون

واذ بابنا مثوى النوادى ونحونا ... تمد رقاب أو تشير عيون

فنغص من ذاك السرور مهنأ ... وكدر من ذاك النعيم معين

وبنا عن الاوطان بين ضرورة ... وقد يقرب الانسان ثم يبين

أيا معهد الايناس حييت معهدا ... وجادك من سيب الغمام هتون

تريد الليالى ان تهين مكاننا ... رويدك ان الحر ليس يهون

فان تكن الايام قد لعبت بنا ... ودارت علينا للخطوب فنون

فمن عادة الايام ذل كرامها ... ولكن سبيل الصابرين مبين

لئن خاننا الدهر الذى كان عبدنا ... فلا عجب إن العبيد تخون

وما غص منا مخبر غير أنه ... تضاعف ايمان وزاد يقين

وقفنا على فضل الاله ظنوننا ... وفي فضل ربى ما تخيب ظنون

وكتب الى أبي الحكم بن مسعود وهو شاهد بالمواريث بهذه الدعابة التى تستخف الوقور. وتلج السمع الموقور .

أطال الله بقاء أخي وسيدى لاهل الفرائض يحسن الاحتيال في مداراتهم. وللمنتقلين الى الدار الآخرة يامر بالاحتياط في أمواتهم. ودامت أقلامه مشروعة لصرم الاجل المنسأ. معدة لتحليل هذا الصنف المنشأ من الصلصال

والحمأ . فمن ميت يغسل وآخر يقبر . ومن أجل يطوى وكفن ينشر . ومن رمس يفتح وباب يغلق . ومن عاصف يفتح ٣ ونعش يطاق . فكلما خربت ساحة . نشأت في الحانوت راحة . وكلما قامت في شعب مناحة . اتسعت للرزق مساحة . فيباكر سيدى الحانوت وقد احتسى مرقته . وأسبل عنفقته . فيرى(١) الصعبة بالمناصب شطرا . فيلحظ هذا برفق وينظر الى هذا شزرا . ويامر بشق الجيوب تارة والبحث عن المناطق أخرى . ثم ياخذ القلم أخذا رفيقا . ويقول وقد خامره السرور رحم الله فلانا لقد كان لنا صديقا . وربما واراه بالازعاج الحثيث . وقال مستريح كما قد جاء في الحديث . وتختلف عند ذلك المراتب . وتتبين الاصدقاء والاجانب . فينصرف هذا وحظه التهديد . والنظر الحديد . ثم يغشى دار الميت . ويسأل عن الكيت والكيت . ويقول على بما في البيت . أين رعاء الثاغية والراغية . أين عتود الاملاك بالبادية . وقد كانت لهذا الرجل حال أى حال . وقد ذكر في الاسماء الخمسة فقيل ذومال . وعيون الاعوان ترنوا من خلال . وأعناقهم تشرئب الى ماخلف الكلال . وأرجلهم تدب الى الاسفاط دبيب الصقر الى الحجل . والموتى قد وجبت منهم الجنوب . وحضر الموروث والمكسوب . وقيد المطعوم والمشروب . وعدت الصحاح . ووزن بالارطال وكيل بالاقداح . والشهود يغلظون على الورثة في الاليه . ويسيؤنهم بالسباب في النشأة الاوليه . والروائح حينئذ تفغم الارض طيبا . وتهدى الى الارواح شذا يفعل في الابدان فعلا عجيبا . والدلال يقول هذا مفتاح الباب . والسمسار يصيح قام النداء فما تنتظرون بالسباب . والشاهد يصيح

(١) قوله فيرى الصعبة الخ هكذا في الاصل

فتعلوا صيحته . والمشرف يشرق فتسقط سبحته . والمحتضر يسأل اللاجئين ماهـذا النشيج والضجيج . قائلا أنا لم أمت ومن حج له الحجيج . فترفع الاصوات . كيلا يفسح (١) قبيح الممات ويبقر بطنه برغمه . ويحفر له بجانب أبيه وبحذاء أمه . ثم يشرع في تقسيم الفرض . ولو اكفئت السموات على الارض . ويقال لاهل السهام . أحسنوا فالاحسان ثالث مراتب الاسلام. وقد نص ابن القاسم على أخذ أجرة القسام. وسوغه أصبغ وسحنون. ولم يختلف فيه مطرف وابن الماجشون. ولعل الخروج الى الانبساط يجر عذرا . ونسأل الله حمداً يوجب المزيد من نعمائه وشكراً . ولولا أن أعقل عن الخصم. وأثقل رحل الفقيه أبي النجم. لتوسعنا فى المجال شرحا. ولكان لنا فى بحر المباسطة سبحا . ولأفضنا فى ذكر الوراث . وبينا العلة فى اقسام الشهود مع المشتغل بنسبة الذكور مع الاناث . والله يصل عز أخي ومجده . ويهب له قوة تخصه بالفوز عنده . ويزيده بصيرة يتبع بها الحقوق الى اقصاها . وبصراً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها . ودام يحصى الخراريب والفلوس والاطمار. ويملأ الطوامر باقلامه البديعة الصنعة ويقرن الطومار بالطومار

« قات والشيء بالشيء يذكر»

ومن أظرف ماوقفت عليه فى هذا المعنى قول بعض كتاب الدولة الحكيمية بميورقة وقد ولاه خطة المواريث فكتب اليه راغبا فى الاعفاء .

وما نلت من شغل المواريث رفعة   سوى سوق نعش كلمات ميت

واكتب للموتى صكاكا كأنهم   يخاف عليهم فى الجباب التفلت

(١) قوله كيلا يفسح قبيح الممات كذا بالاصل وليحرر

كانى لعزرائيل صرت مناقضا بما هو يمحو كل يوم وأثبت

واحسان هذا الرجل كثير ونظمه ونثره كذلك

﴿ مولده ﴾

فى أواخر عام أربعة وسبعين وستمائة .

﴿ وفاته ﴾

ومضى رحمه الله لسبيله شهابا من شهب هذا الافق. وبقية من بقايا حلبة السبق . فى ليلة السبت الثانى من شهر شعبان المكرم عام سبعة وأربعين وسبعمائة وخلف وفرا لم يشتمل على شيء من الكتب لايثاره اقتناء النقدين وعين جراية لمن يتلو كتاب الله على قبره ودفن بباب البيرة في دار اتخذها لذلك .

﴿ محمد بن أحمد بن قطبة الرؤسى من أهل غرناطة ﴾

يكنى أبا القاسم

﴿ حاله ﴾

مجموع خلال بارعة وأوصاف كاملة حسن الخط ذاكر للتاريخ والاخبار مستول على خصال حميدة من سلامة صدر الى نزاهة الهمة وارسال السجية والبعد عن المصانعة والتحلى بالوقار والحشمة شاعر كاتب ومناقبه يقصر عنها الكثير من أبناء جنسه كالفروسية والنجدة والبسالة والرماية والشطرنج مع البراعة على المروءة مواس للمحاويج من معارفه ارتسم فى الديوان فظهر غناؤه وانتقل الى الكتابة معززة بالخطط النبيهة العلمية وحاله الموصوفة متصلة الى هذا العهد وهو معدود من حسنات قطره

وثبت فى التاج المحلى بما نصه

سابق ركض المجلى أتى من ذلك بالعجائب . وأصبح صدرا فى الكتاب وشهما فى الكتائب . وكان أبوه رحمه الله بهذه البلدة قطب أفلاكها . وواسطة أسلاكها . ومؤتم رؤسائها وأملاكها . وصدر رجالها . وولى أرباب مجالها . قد نثل ابنه سهما . فحاز عدالة وبراعة وفهما . والقاه بينهم قاضيا شهما . فظهر منه نجيبا . ودعاه الى الجهاد سميعا مجيبا . فصحب السرات المغيرة . وحضر فى هذا العهد من الوقائع الصغيرة والكبيرة . وأقام على مصاحبة البعوث . وجوب السهول والوعوث . فما رفض البراعة والبواتر . ولا ترك الدفاتر للزمان الفاتر .

﴿ شعره ﴾

وله أدب بارع المقاصد . قاعد للاجادة بالمراصد . قال من الروضيات وما في معناها .

دعيني ومطلول الرياض فانني ... انادم فى بطحائها الآس والوردا
أعال من هذا بخضرة شارب ... وأحكى بهذا فى تورده الخدا
وان حنى غصن البان رائد نسمة ... ذكرت به لين المعاطف والقدا

وقال

وليلا أدرناها سلافا كأنها ... على كف ساقيها تضرم نار
غنينا عن المصباح فى صبح ليلها ... بخد مدير لا بكاس عقار

وقال

يومنا يوم سرور فاتقم ... تصدع الهم بكاسات المدام
انما الدنيا منام فلتكن ... مغرما فيها باحلام المنام

وقال

وبى منك مالو كان للشرب ماصحا — وبالهيم ماروّت صداها المناهل
أحبك ماهبت من الروض نسمة — وماهتز غصن فى الحديقة مائل
فان شئت أن تهجر وان شئت فلتصل — فانى لما حملتنى اليوم حامل

وقال

كم قات للبدر المنير اذا بدا — هيهات وجه فلانة تحكى لنا
فأجابنى بلسان حال واعتنى — لاالشمس تحكيها فأحكيها أنا
وصرفت وجهى نحو غصن أماد — قد رام يشبه قدّها لماانثنى
فضحكت هزأ عندهز قوامه — اذ رام أن يحكى قواما كالقنا

وكتبت اليه فى غرض يظهر من الابيات

جوانحنا نحوا للقاء جوانح — ومقدار مابين الديار قريب
وتمضى الليالى والتزاور معوز — على الرغم منا ان ذا لغريب
فديتك عجلها لعينى زيارة — ولو مثل مارد اللحاظ رقيب
وان لقاءجاءعن ضرب موعد — لاكرم مايهدى الاريب أريب

فراجعنى بقوله

لعمرى مايومى اذا كنت حاضرا — سوى يوم صب من عداه بغيب
أزور فلا ألقى لديك بشاشة — فيبعد منى الخطو وهو قريب
فلا ذنب للايام فى البعد بيننا — فانى لداعى القرب منك مجيب
وان لقاء جاء من غير موعد — ليحسن لكن مرة ويطيب

واحسانه كثير وفيما ثبت كفاية لئلا نخرج عن الغرض .

﴿ محمد بن محمد بن أحمد بن قطبة الرؤسى ﴾

يكنى أبا بكر أخو الذى قبله .

﴿ حاله ﴾

تلوه في الفضل والشرف وحسن الصورة غرب عليه بمزيد البشاشة والتنزه وبذل التودد والتبريز في ميدان الانقطاع متاخر عنه فى بعض خلال غير هذا ذكى الذهن مليح الكتابة سهلها جيد العبارة مطلق اليد حسن الخط سريع بديهة المنثور معم مخول في التخصيص والعدالة كتب الشروط بين يدى أبيه ونسخ كثيرا من أمهات الفقه واستظهر كتبا من ذلك المقامات الحريرية وكتب بالدار السلطانية واختص بالمراجعة عن من بها والمفاتحة أيام حركات السلطان عنها الى غيرها حميد السيرة حسن الواسطة نجدى الجاه مشكور التصرف خفيف الوطأة وولى الخطابة العلية مع الاستمساك بالكتابة ولم يؤثر عنه الشعر ولا عول عليه .

﴿ محمد بن محمد بن قطبة الرؤسى ﴾

يكنى أبابكر وقد ذكرنا أباه وعمه ويأتى ذكر جده

﴿ حاله ﴾

نبيل المقاصد فى الفن الادبى مشغول به مفتوح من الله عليه فيه مطبوع مكثر نقاد له ركب النظم بحسن المرافقة واشتهر بالاجادة وأنشد السلطان وأخذ الصلة وارتسم بهذا العهد فى الكتابة وشرع فى تأليف يشتمل على أدباء عصره .

﴿ شعره ﴾

ومما خاطب به بعض أصحابه

اذاشمت من نحو الحمى فى الدجا برقا　　أبى الدمع الا أن يسيل ولا يرقى

ومهما تذكرت الزمان الذى مضى　　تقطعت الاحشاء من حر ما ألقى

خايلى لاتجزع لمحل فادمعى　　تبادر سقيا فى الهوى لمن استسقى

وما ضر من أصبحت ملك يمينه　　اذا زارنى يوما وقد حازنى رقا

فنيت به عشقا وان قال حاسد　　أضل الورى من مات فى هاجر شنقا

تاهب قلبى من تاهب قدّه　　فيا نعم ذاك الخدقاض بأن أشقى

ومنها

وكم من صديق كنت أحسب أنه　　اذا كذبت أو هامنا دفع الصدقا

﴿ محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن قطبة الرؤسى ﴾

أخو الفقيه أبى بكر بن محمد المذكور

﴿ حاله ﴾

شاب حسن فاضل ذو ذمة متخلق جميل الصورة حسن الشكل أحمر الوجنتين حفظ كتابا من المبادى النحوية وكتب خطا حسنا وارتسم في ديوان الجند مثل والده وهو الآن بحاله الموصوفة .

﴿ شعره ﴾

قيد أخوه لى من الشعر الذى زعم انه من نظمه قوله .

حلفت بمن ذادعنى الكرى　　وأسهر جفنى ليلا طويلا

وألبس جسمى ثياب النحول　　وعذب بالهجر قلبي العليلا

وما حلت عن حبه ساعة　　ولا اعتضت منه سواه بديلا

﴿ محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف ابن جزى الكلبي ﴾

من أهل غرناطة وأعيانها يكنى أبا عبد الله .

﴿ أوليته ﴾

تنظم اسم أبيه في ترجمة المقرئين والعلماء .

﴿ حاله ﴾

من أعلام الشهرة على الفتاوة وانتشار الذكر على الحداثة تبريزا فى الادب واضطلاعا بمعاناة الشعر واتقان الخط وايضاحا للاحاجى والملغزات نشأ بغرناطة في كنف والده رحمه الله مقصور التدريب عليه مشارا اليه في ثقوب الذهن وسعة الحفظ ينطوى على نبل لايظهر أثره .

ولما فقد والده رحمه الله ارتسم في الكتابة فبزجلة الشعراء اكثارا واقتدارا ووفور مادة مجيدا في الامداح عجيبا في الاوضاع صدوقا في النسيب مطبوعا في المقطوعات معتدلا في الكتابة نشيط البنان جالدا على العمل سيال المجاز جموع عنان الدعابة غزلا مؤثرا للفكاهة انتقل الى المغرب فحظى لدى بعض ملوكها ومن عليه من قسم الحظوظ سبحانه بشهرة في هذه البلاد فاستقر بباب ملكه مرعي الجانب أثير الرتبة مطلق الجراية مفخر أهل وطنه

﴿ تواليفه ﴾

أخبرنى عند لقائه اياى بمدينة فاس فى غرض الرسالة عام خمس وخمسين وسبعمائة انه شرع في تاليف تاريخ غرناطة ذاهبا هذا المذهب الذى انتدبت اليه ووقفت على أجزاء منه تشهد باضطلاعه وقيد بخطه من الاجزاء الحديثية والفوائد والاشعار ما يفوت الوصف ويفوق الحد .

وجرى ذكره في التاج المحلي بما نصه

شمس بلاغة بازغة . وحجة على بقاء الفطرة الغريزية فى هذه البلاد المغربية بالغة . وفريدة وقت اصاب من لقيها نادرة أو نابغة . قد فاق القارح . وجارى في المعرفة كل بارح . لو تعلقت الغوامض بالثريا لنالها . وقال أنالها . وربما غلبت الغفلة على ظاهره . فتنطق اكمامها على أزاهره . حتى اذا قدح في الادب زنده . تقدم المراتب نقده . الى خط بارع . ترنو اليه عيون المطالع

﴿ شعره ﴾

فمن غرامياته وما في معناها قوله .

متى يتلاقى شائق ومشوق	ويصبح عير الحب وهو طليق
أما انها أمنية عز نيلها	ومرمى لعمرى في الرجاء سحيق
ولكنني خادعت قلبي تعلة	أخاف انصداع القلب فهو رقيق
وقد يرزق الانسان من بعد ياسه	وروض الربا بعد الذبول يروق
تباعد لما زاد في القرب لوعة	لعل فؤادى من جواه يفيق
ورمت شفاء الداء بالداء مثله	وانى بأن لا أشتفي لحقيق
وتالله ما للصب في الحب راحة	على كل حال انه لمشوق
ويارب قد ضاقت على مسالكي	فها أنا في بحر الغرام غريق
ولا سلوة ترجى ولا صبر ممكن	وليس الى وصل الحبيب طريق
ولا الحب عن تعذيب قلبي بمنسلي	ولا القلب بالتعذيب منه يطيق
شجون يضيق الصدر عن زفراتها	وشوق نطاق الصبر عنه يضيق
نثرت عقود الدمع ثم نظمتها	قريضا فصار لون ذاك عقيق
بكيت أسى حتى بكى حاسدى معى	كأن عذولى عاد وهو صديق

ولو أن عند الناس بعض محبتي | لما كان يلقى في الانام مفيق
أيا عين كفى الدمع مابقى الكرا | اذا منعوك اليوم سوف تذوق
ويانائما عن ناظرى أماترى | لشمسك من بعد الغروب شروق
رويدك رفقا بالفؤاد فانه | عليك وان عاديته لشفيق
نقضت عهودى ظالما بعد عقدها | ألا ان عهدى كيف كنت وثيق
كتمتك حتى يعلم الله مدة | وبين ضلوعى من هواك حريق
فما زلت بى حتى فضحت فان اكن | صبرت فبعد اليوم لست أفيق

وقال

ومورد الوجنات معسول اللما | فتاك لحظ العين فى عشاقه
الخمر بين لثاته والزهر في | وجناته والسحر في أحداقه
ويميس غصن البان في أثوابه | ويلوح بدر التم في أطواقه
قد فاقه في ثغره أو خده | هيهات أن يحكيه في اشراقه
ولقد تشبهت الظبا ءبشبهة | من خلقه وعجزن عن أخلاقه
نادمته وسنا محيا الشمس قد | قد ألقى على الآفاق فضل رواقه
في روضة ضحكت ثغور اقاحها | وأمال فيها المزن (١) وافاقه
اسقيه كأس سلافة كالمسك في | نفحاته والشهد عند مذاقه
صفراء لم يدر الفتى اكواسها | الا تداعى همه لفراقه
ولقد يلين الضحر من سطواته | فيعود للمعهود من اشفاقه
وأظل أرشف من سلافة ثغره | خمرا تداوى القلب من احراقه
ولربما عطفته عندى صبوة | فشفى الخبال بضمه وعناقه

(١) قوله المزن الخ كذا بالاصل.

ارجو نداه اذا تبسم ضاحكا ... وأخاف منه العتب في اطراقه
أشكو القساوة من هواى وقلبه ... والضعف من جلدى ومن ميثاقه
ياهل لعهد قد مضى من عودة ... أم لا سبيل بحالة للحاقه
ياليت شعرى لو لذلك حيلة ... أو كان يعطى المرء باستحقاقه
فلقد يروق الغصن بعد ذبوله ... ويتم بدر التم بعد محاقه

ومما اشتهر له في هذا المعنى

ذهبت حشاشة قلبي المصدوع ... بين السلام ووقفة التوديع
ماأنصف الاحباب يوم وداعهم ... صبا يحدث نفسه برجوع
أسعف بغيثك ياغمام فانني ... لم أرض يوم البين قلّ دموعى
من كان يبكى الظاعنين بادمع ... فأنا الذى أبكيهم بنجيع
ايه وبين الصدر منى والحشا ... شجن طويت على شجاه ضلوعى
هات الحديث عن الذين تحملوا ... واقدح بزند الذكر نار ولوعى
عندى شجون في التي جنت الهوى ... أشكو الغرام وهىّ فى تنويع
من وصلي الموقوف اومن سهدي الـ ... موصوف أو من نومى المقطوع
ليت الذى بينى وبين صبابتى ... بعد الذى بينى وبين هجوعى
ياقلب لاتجزع لما فعل الهوى ... فالحر ليس لحادث بجزوع
هل بعد ماغادرت فيّ شراكه ... تبغى النزوع ولات حين نزوع
ومهفهف مهما هفت ريح الصبا ... أبدى له عطفاه عطف مطيع
جمع المحاسن وهو منفرد بها ... فاعجب لحسن مفرد مجموع
والشمس لولا قسرها ما آذنت ... خجلا واجلالا له بطلوع
مازلت أسقى خده من أدمعى ... حتى تفتح عن رياض ربيع

ان كان يرنو عن نواظر شادن ... فلرب ضرغام بهن صريع
عجبا لذاك الشعر زاد بفرقه ... حسنا كحسن الشعر بالتصريع
منع الكرا ظلما وقد منح الضنا ... فشقيت بالممنوح والممنوع
جردت ثوب العز عنى طائعا ... أتراه يولى عطفة لخضوعى
لم انتفع لبسا من الملبوس في ... .
بجماله استشفعت في اجماله ... ليحوز أجر مشفع وشفيع
يا خادعى عن سلوتى وتصبرى ... لولا الهوى ما كنت بالمخدوع
اوسعتنى بعد الوصال تفرقا ... وانبتنى سوأ لحسن صنيعى
أسرعت فيما ترتضى فجزيتنى ... بطويل هجران الىّ سريع
وشرعت رمحا قبل رميك دائلا ... فمنعت من ماء الرضاب شروعى
خذ من حديث تولعى وتولهى ... خبرا صحيحا ليس بالموضوع
يروى حديثا مسندا عن أدمعى ... عن مقلتى عن قلبى المصدوع
كم من ليال في هواك قطعتها ... وانا لذكراهن في تقطيع
لا والذى طبع الكرام على الهوى ... ومن سو (١) الهوى المطبوع
ما غيرتنى الحادثات ولم أكن ... بمذيع سر للعهود مضيع
لا خير في الدنيا وساكنها معا ... ان كان قلبي منك غير جميعى

وله في غرض يظهر من الابيات .

وقالوا عداك البحث والحزم عندما ... غدوت غريب الدار منزلك الفنت
ألم يعلموا أن اغترابى حرمة ... وان ارتحالى عن ديارى هو البخت
نعم لست أرضى عن زمانى أوأرى ... مكانا به السفن المواخر واليخت

(١) قوله ومن سو كذا بالاصل

فقد سئمت نفسي المقام ببلدة ‏ بها العيشة النكداء والمكسب السحت
يذل بها الحر الشريف لعبده ‏ ويجفوه بين السمت من سنه ست
اذا اصطافها المرء اشتكى من سمومها ‏ اذى ويرى فيها اذا ماشتا الزفت
ولست كقوم في تعصبهم عتوا ‏ يقولون بغداد لغرناطة أخت
رغبت بنفسي أن أساكن معشرا ‏ مقالهم زور وودهم مقت
يدسون في لين الكلام دواهيا ‏ هي السم بالآل المشور لهالت
فلا درّ درّ القوم الا عصيبة ‏ الى باخلاص المودة قدمتوا
وآثرت أقواما حمدت جوارهم ‏ مقالهم صدق وودهم بحت
لهم عن عيان الفاحشات اذابدت ‏ تعام وعن ماليس يعنيهم صمت
فما ألفوا لهوا ولا عرفوا خنا ‏ ولا علموا أن الكروم لها بنت
به كل مرتاح الى الضيف والوغى ‏ اذا ما أتاه منهما النبأ البغت
وأشعث ذو طمرين أغناه زهده ‏ فلم يتشوق للذي ضمه التخت
صبور على الايذا بغيض على العدا ‏ معين على ما يتقي جاشه الشت
ولي صاحب مثلي يمان جماته ‏ جليسي نهارا أوضجيعي اذا أبت
واجرد جرار الأعنة قارح ‏ كميت وخير الخيل قداحها الكمت
تسامت به الاعذار في آل اعوج ‏ ولا عوج في الخلق منه ولاأمت
وحسبي لعضات النوائب منجدا ‏ عليها الكميت الهندو الصارم الصلت
قطعت زماني خبرة وبلوته ‏ فبالغدر والتعنيف عندي له نعت
ومارست أبناء الزمان مباحثا ‏ فأصبح حبلي منهم وهو منبت
وذي صاف يمشي الهوينا ترفقا ‏ على نفسه كيلا يزايلها السمت

اذا غبت فهو المرء والقرم عندهم ‏ له الصدر من ناديهم وله الدست

وان ضمني يوما واياه مشهد ... هو المعجم السكيت والفسكل الشخت
فحسب عداتي أن طويت مآربي ... على عرفهم حتى صفا لهم الوقت
وقلت لدنياهم اذا شئت فاغربي ... ولا تظهري فالصرم مني هو البت
وأغضيت عن زلاتهم غير عاجز ... فماذا الذي يبغونه لهم الكبت

وقال

لاتعد ضيفك ان ذهبت لصاحب ... تعتده لكن تخير واتق
أو ماترى الاشجار مهما ركبت ... ان خوالفت أصنافها لم تعلق

ومنه في المقطوعات .

وشادن تيمني حبه ... حظى منه الدهر هجرانه
مورد الخدين حلو اللما ... أحور مضنى الطرف وسنانه
لم تنثني الاغصان في الروض بل ... هوت له تسجد أغصانه
يا أيها الظبي الذي حبه ... تضرم في القلب نيرانه
هل عطفة ترجى لصب شج ... ليس يرجى عنك سلوانه
يود أن لو زرته في الكرى ... اذا لمتعت بالنوم أجفانه
قد رام يكتم ما نابه ... والحب لا يمكن كتمانه
فضحت أسراراه فاستوى ... اسراره الآن واعلانه

وقال

نهار وجه وليل شعر ... بينهما الشوق يستثار
قد طابا بالهوى فؤادي ... فأين لي عنهما الفرار
وكيف يبغي النجاة شيء ... يطلبه الليل والنهار

وقال

أقبلت ليلا وأبدت فجرها   جمعت بين صباح وظلام
مذ رأتني ناظراً للشمس قا   لت يافتى جمعك أختين حرام

وقال في غرض التورية .

أبح لى في روض المحاسن نظرة   الى ورد ذاك الخد أروى به الصدى
ووالله لا تبخل على بقطره   فانى رأيت الروض يوصف بالندا

وقال

يقولون لى أصبحت بالآس مولعا   فقلت وهل في حي الآس من باس
ألم يعلموا أن الهوى قد أعلنى   وكيف ترى شوق العليل الى الآسى

وقال

وعاشق صلى ومحرابه   وجه غزال ظل يهواه
قالوا تعبدت فقلت انهم   تعبدا يفهم معناه

وقال وهو مليح جدا

وصديق شكا بما حملوه   من قضاء يقضى بطول العناء
قلت فاردد ما حملوك عليهم   قال من يستطيع رد القضاء
ولسانان يخصمان من خاصماه   لسان ٣الغنى ولسان القضاء

وقال

تلك الذؤابة ذبت من شوقى لها   واللحظ يحميها بأىّ سلاح
ياقلب فانجح لا اخا لك ناجحا   من فتنة الجعدىّ والسفّاح

﴿ وفاته ﴾

اتصل بنا خبر وفاته بفاس مبطونا في أوائل ثمان وخمسين وسبعمائة ثم

تحققت ان ذلك في أوائل ربيع الاول من ذلك العام .

﴿ محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن ابراهيم ﴾
(ابن يحيي بن محمد بن الحكيم اللخمى)

يكنى أبا القاسم

﴿ حاله ﴾

من كتاب عائد الصلة فرع دوحة الخصوصية والاصالة . والعلم والدين والمكانة والجلالة . رب مجد ومآثر . ومحاسن ومفاخر . نبغ في جملة من الفنون من حساب وفرائض وأدب وقراءة ووثيقة الى خط حسن وأدب تكاتمه حتى انقادله

وجرى ذكره في التاج المحلى . بما نصه

من فروع مجد وجلاله . روى الفضل لا عن كلاله . شريف مجيد معم مخول في العشيره . وصل لباب المجد بفرائد الخلال الاثيره . وأصبح فردا في الخير والعفاف . واتصف من العدالة باحسن اتصاف . وسلك من سنن سلفه مسلكا لا يزال يرشده ويدله . ويسدده فيما يعقده أويحله . واتسم بوسم الحياء والحياء خير كله . الى نزاهة لا ترضى الدون . ونجابة تتهالك في صون الفنون . وطمح في هذا العهد الى نمط في البلاغة رفيع . وجنح الى مساجلة ما يستحسنه من مخترع وبديع . وصدرت منه طرف تستملح . ونحن نورد ما أمكن من آياته . ونجلو بعض غرره وشياته .

(شعره)

ومن مقطوعاته وباهر آياته .

تجلّت فهزت عند مارأت الطلا ودارت كمثل الطفل يلعب في المهد

وروض حباه المزن خلعة برقه　　وباتت رباه من حباه على
يحدثها عن كرمه (١) مامن قرية　　فتبدى ابتسام الزهر من لثمة
عجبت لما عاينته من فعالها　　بدور حباب الكاس تلعب ب

وقال

شربنا وزنجىّ الدياجى موقد　　مصابيح من زهر النجوم الط
عقارا رأته حين أقبل حالكا　　فجاءت بمصفرّ من اللون
عجبت لها ترتاع منه وانها　　هى البدر قد قرت بأسنى المو

وقال

لاح كالدر والعقيق فحيا　　أم مزاج أداه صرف المحيا
من بنات الكروم والروم بكر　　. . . . .
خلتها والحباب يطفو عليها　　شفقا فوقه نجوم الثريا
قهوة كالعروس في الكاس تجلى　　صاغ من لؤليها المزج حليا

وقال

ويوم أنس صقيل الجو من نظر　　كانه من وميض البرق قد خ
مازلت فيه بشمس الطست مصطحبا　　وبالنجوم وبالاكواس مد
صفراء كالعسجد المسبوك ان شرقت　　تبدى احمرارا على الخدين مؤ
كذلك الشمس في أخرى عشيتها　　اذا توارت أثارت بعدها شد

وقال

بنفسى حبيبا صال عامل قده　　علىّ ولما ينعطف وهو كالغصن
وياعجبا منه لقد صار ذابلا　　ونظرته تمتاز عن خوطة اللدن

---

(١) قوله عن كرمه الخ كذا بالاصل

وأعجب من ذا أن سيف لحاظه　　يفرق افلاذ الحشا وهو في الجفن

وقال

بأبى وغير أبى غزال نافر　　بين الجوانح يغتدى ويروح
قمر تلألأ واستنار جبينه　　غارت به بين الكواكب بوح
لم يرض غير القلب منزله فهل　　ياليت شعرى للعيون يلوح

(ومما نسب لنفسه وأنشد فيه)

ليل الشباب انجاب أول وهلة　　عن صبح شيب لست عنه براضى
ان سرنى يوما سواد خضابه　　فنصوله من ساق ببياض
هلا اختفى فهو الذى سرق الصبا　　والقطع فى السراق أمر ماضى
فعليه ما استطاع الظهور بامتى　　وعلى أن أنصال بالمقراض

(وفاته)

توفي رحمه الله بغرناطة في التاسع عشر من شهر ربيع الآخر سنة خمس وسبعمائة في دقيقة الطاعون ودفن بباب البيرة رحمة الله عليه

﴿ محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد ﴾
(ابن محمد بن على بن محمد اللوشى)

يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن اللوشى

﴿ أوليته ﴾

من لوشة قرأ العلم بها وتعرف بالسلطان الغالب بالله محمد قبل تصيير الامر اليه وجرى ذكره في الكتاب المسمى بطرفة العصر في اخبار بنى نصر. وتقرر ذلك في حرف الحاء في اسم أبى عمر اللوشي كاتب الدولة

﴿ حاله ﴾

من كتاب عائد الصلة . كان رحمه الله من أهل الحسب والاصالة شاعرا مداحا نشأ في حجر الدولة النصرية مقربا من أبوابها مفضلا على مداحها ثم تجنب بآخرة ولزم طورا من الخمول في غير تشك وأعرض عن أرباب الدنيا واقتصر على تبلغ من الفلاحة مؤثل له كان خارجه غير رائب فساد ثلمه ولا مصلحا من خلاله وأخذ نفسه بالتقشف وسوء المسكن والتهاون بالملبس حملا لها على أبواب الرياضة مجانبا أرباب الخطط واقيالان لحقته من السلطان موجدة تختلف معاملاته لمن يعرفه في اليوم مرات من اعراض عنه واقبال عليه ولصوق به كل ذلك على سلامة وتهيب تنس مليح الدعابة ذاكرا لفنون من الاناشيد حسن الجد متجافيا عن الاعراض .

وجرى ذكره في التاج المحلى بما نصه .

شاعر مفلق . وشهاب في أفق البلاغة متألق . طبق مفاصل الكلام بحسام لسانه . وقلد نحوره ما يزرى بجواهر الملوك من احسانه . ونشأ في حجور الدولة النصرية جامعا لاشتاته . مقابلا من العز في أفانينه وأشتاته . اذ أسلفه الذمام . الذى صفت منه الحياض والخيام . والوداد الذى قصرت عنه الاقران . والسابقة التى أزرى بخبرها العيان . وشهدت بها أرجونة وجيان . وله همة عالية بعيدة المرمى . كريمة المنتمى . حماته بآخرة على الانقباض والازورار . والزهد في الازدياد والاستكثار . مع الاقتصاد والاقتصار . فعطف على استثمار غلاته . والتزام محاته . ومباشرة فلاحة صان بها وجهه . ووفاه الدهر حقه ونجهه . واحتجبت عقائل بيانه لهذا العهد وتقنعت . وراودتها النفس فتمنعت . وله فكاهات آنس من مناجاة

القينات . عندالبيات . وأعذب من معاطات الراح . في الاقداح .

﴿ شعره ﴾

وله أدب بلغ في الاجادة الغاية . ورفع للحين من الملاحة الراية . ومن مقطوعاته يودع شيخنا الفقيه القاضي أبا البركات ابن الحاج .

رأوني وقد أغرقت في عبراتي ‏ وأحرقت في ناري لدى زفراتي

فقالوا سلوه تعلموا كنه حاله ‏ فقلت سلوا عني أبا البركات

فمن قال انى بالرحيل محدث ‏ روت عنه أجفاني غريب ثبات

ونادى فؤادى ركبه فأجابه ‏ ترحل وكن في الركب بعد عداتي

ومن مقطوعاته البديعة من قصيدة

سيخطب قس العزم في منبر السرى ‏ وهل في الدنا (١) يوم السير اطيق

ويقطع زند الهجر والقطع حقه ‏ فما زال طيب العمر عنى يسبق

﴿ مولده ﴾

في حدود ثمانية وسبعين وستمائة

﴿ وفاته ﴾

في الموفي عشرين من شهر ربيع الثاني من عام اثنين وخمسين وسبعمائة .

﴿ محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن يحيى بن الحكيم اللخمى ﴾ يكنى أبا بكر .

﴿ أوليته ﴾

في اسم ذي الوزارتين

﴿ حاله ﴾

من كتاب عائد الصلة . كان صدراً أبناء النعم وبقية اعلام البيوت امتاع

---

(١) قوله يوم السير الخ كذا في الاصل

محاضرة وصحة وفاء وشياع مشاركة في جملة علوم فاضلة محدثا تاريخيا كاتبا بليغا حسن الخط مليح الدعابة ظريف التوقيع متقدم الحملة في باب التحسين والتنقيح يقرض الشعر ويفك المعمى ويقوم على جمل الكتاب العزيز حفظا وتجويدا واتقانا ويسرد شذور التاريخ وعيون الاخبار الى حسن الخلق وكمال الابهة وحلاوة المباسطة واحتمال المنابذة والمثابرة على حفظ المودة والاقالة من الهفوة والتمسك بالاستعتاب والمعذرة كتب بالدار السلطانية اكثر عمره وتصدر بعد في قيادة المواضع النبيهة ذا قدرة في ذلك وهو مع ذلك شائع المعروف ذائع المشاركة قيد الكثير ودون وصنف وحمل عن الجلة ممن يشق احصاؤهم وكان غرة من غرر هذا القطر وموكبا من مواكب هذا الافق لم يخلف بعده مثله .

وجرى ذكره في التاج بما نصه .

ماجد أقام رسم المجد بعد عفائه . ووفى الفضل حق وفائه . بيته في رندة أشهر في الاصالة من بيت امرئ القيس . وأرسى في بحبوحة الفضل من قواعد رضوى وأبي قبيس . استولى على الجود البديع البعيد المدى وحجت اليه من كل فج طلاب الندى . وعشت الى ناره فوجدت على النار التقى والهدى . ولي الوزارة النصرية التي اعتصر منها الطريف والتالد . فأحيت مآثره الخالدة مآثر يحيي بن خالد . ولما أدار عليها الدهر كاس النوائب . وخاص اليها سمومه بين صحائف الكتب وصفائح الكتائب . تطلعت من خلالها الرائقة الخود . وبكته بسيل أجفانها عين البأس والجود . وطلع(١) على أعقاب هذه النصال نحلي من صفحاتها . واعاد لو ساعده الدهر من لمحاتها . وارتقى من الكتابة الى المحل النبيه . واستحقها من بعض ميراث أبيه . وبنى وشيد . ودون

(١) قوله وطلع الخ كذا بالاصل

فيها وقيد. وشهر في كتب الحديث ورواته. وجنى ثمرة رحلة أبيه وهو في حجر ذؤابته. وأنشأ الفهارس. وأحيا الآثار الدوارس. وألف كتابه المسمى « بالموارد المستعذبة. والمقاصد المنتخبة » وله شعر أنيق الحلية. جار في نمط العلية. وبيني وبين هذا الفاضل وداد صافي الحياطة. وفكاهة ودعابة سحبت الدالة أذيالها. وأدارت الثقة والمقة جريالها. وسيمر منه في هذا الديوان رائق الحيا. عاطر الريا.

﴿ مشيخته ﴾

قرأ على الاستاذ أبي جعفر الحريري والاستاذ أبي الحسن القيجاطي والاستاذ أبي اسحق بن أبي العاصي. وأخذ عن الطم والرم من مشايخ المشرق والمغرب منهم الولي الصالح فضل بن فضيلة المعافري الى العدد الكثير من أهل الاندلس كالخطباء الصلحاء أبي عبد الله الطنجالي وأبي جعفر الزيات وأبي عبد الله بن الكمال وغيرهم من الرنديين والمالقيين والغرناطيين حسبما نظمه برنامجه.

﴿ تواليفه ﴾

ألف الكتاب المسمى «الفوائد المنتخبة. والموارد المستعذبة» وكمل التاريخ المسمى «بميزان العمل» لابن رشيق ودون كتابا في عبارة الرؤيا سماه «بشارة القلوب. بما تخبر به الرؤيا من الغيوب» والاخبار المذهبة والآثار الصوفية والنكت الأدبية. وانموذج في الكتب والاشارة

﴿ شعره وكتابته ﴾

وقال في التاريخ مانصه

وتهادته الى هذ العهد رتب السياده. واستعمل في نبيهات القياده. فوجه الى

معقل قرطبة من كورة رندة وهو واليه . وبطاحه مجرى جياده ومجرعواليه وقد حللت مالقة صحبة الركاب السلطاني في بعض التوجهات الى تلك الجهات في بعض ما أتحف(١) من مقعده المتصل المشتمل بهديه على ضروب من البر فخاطبته مقيما لسوق الانبساط . غير حائد عن الوداد والاغتباط . على ماعول عليه من حمل الافراط . والانتظام في هذا المعنى والانخراط .

ألام على أخذ القليل وانما اعامل أقواما أقل من الذر

فان أنا لم آخذه منهم بقوة فلابد من شئ يعين على الدهر

سيدى أطلق الله يدك بما تملك . وفتر عن منحتك البخل لئلا تهلك . كنت قد هومت . وحذرني القلق فتلومت . وغريمي كما علمت سيئ الخصال . عزيز الوصال . يمطل ديني . ويعاف طيره ورد عيني . فاذا بالباب يدق بحجر . فأنبأني عن ضجر . وجار الجنب . يؤخذ بالذنب . فقمت مبادرا . وجزعت وان كان الجزع مني نادرا . واستفهمت من وراء الغلق . عن سبب هذا القلق . فقالت امرأة من سكان البوادي . رابطة الفؤادي . يا قوم هذا رسول خير . وناعق طير . وقرع اذلال . لافزع ادلال . حطو اشعار الحرب والحرب . فقد ظفرتم ببلوغ الارب . فتأخرت عن الاقدام . وانهدمت(٢) اليه بحن عمر بن أبي ربيعة . بمن كان بالدار من الخدام . فاستفسرت الواقعة فاذا هي عن سلم وسلام . ولم ينبس أحد منا بكلام . ونظرت الى رجل قرطبي الطلعة والاخلاق . خاو على الاطلاق . تنهد قبل أن يسلم . وارتمض لما ذهب من الشبيبة وتألم . شنشنة معروفة . وعين تلك الجهة اليه مصروفة . قد

---

(١) قوله في بعض ما اتحف الخ كذا في الاصل

(٢) قوله وانهدمت اليه الخ كذا بالاصل

حماته سيادتكم من المبرة ضروبا شتى . وتجاوزت في المسرات غاية حتى .
ولما لم يبد من جسده . غير منكبه ويده . علقته وعاء ثقيلا . وناطت
به زنبيلا . وعات حوله تلك الاثقال . وتعاور مطا الانتقال . وكثر بالزقاق
القيل والقال . فلما تخلصت الى الدار . وسترت معرفتها بالجدار . وتناولها
الاختبار الناضح . وبان تصورها الواضح . تلاشت . بعد ماجاشت .
واضمحلت . بعد ماجات . ونظرت الى قعب من اللبن الممذوق . الذى لا يستعمل
في البيوت ولا يباع في السوق . فأذكرتني قول الشاعر

تلك المكارم لاقعبان من لبن شيبت بماء فعادت بعد أبوالا

أما زبده فرفع . وأماجبنه فاقتيت به وانتفع . وأما من بعثه من فضلاء
الخدام فدفع . ونحى وصفع . والتفت الى قفة قد خيطت . وبعنق ذلك
البائس قد نيطت . ورمس فيها أفراخ الحمائم . وقادت بجيده كما يقاد بالتمائم .
وشد حبلها بخنقه . وألزم منها في العاجل طائره في عنقه . ولوسلكتم
الطريقة المثلى . لحفظتم جثتها من العفن كما تحفظ جثة القتلى . واظنكم
لم تغفلوا هذا العرض الادنى . ولا اهملتم هذه الهم الذى غريزة في المبنى
فانى (١) رميت منها اللعور من المختبر فكلح من مرارة الصبر . ولما
اخرجتها من كفن القفه . واستدعيت لمواراتها أهل الصفه . تمثلت تمثل
اللبيب . بقول ابى تمام حبيب

هن الحمام فان كسرت عيافة من حائهن فانهن حمام

ولو أن احدى الدجاجتين لاحت عليها مخيلة سر . لكانت من بقايا ديوك بنى
مر . ولم يكن بالهديةمايذكر . ولا كانت ممايتكر . استغفر الله . فلولم تكن التحفة

(١) قوله فانى رميت الخ هكذا في الاصل محرفا فليحرر

الا تلك الفكاهة العاطرة . والغمامة الماطرة . التى أحسبها الامل الاق
وتجارة الامل التى تعد ولا تحصى . للزم الشكر ووجب . وبرز من حر
ماتستر واحتجب . فالمكارم وان تغيرت أنسابها . وجهل انتسابها . و
ارثها واكتسابها . اليكم تنشر يدها وتسعى لاقدامها . ولجنابكم تميل بهوا
وبساحتكم يسيل واديها . وعلى أرضكم تسح غواديها . ومثلى أعز
لا يقضى قدر تحفتكم الحافلة . ولا يقدر من شكرها على فريضة ولا
ولكنها دعابة معتادة . وفكاهة اصدرتها ودادة . ولا أشك انكم تغتف
جفائى . فى جنب وفائى . وتغضون وتحملون . وبقول الشاعر تمثلون . وا
من الالفاظ اللغوية مايسر بها سمعى . وان ضمنت شتمى ووضمى

بعثت بشيء كالجفاء وانما — بعثت بعذرى كالمدل الى
وقلت لنفسى لا تراعى فانه — كما قيل شيء قد يعين على ا
وما كان قدر الود والمجد مثله — فخذه على قدر الحوادث أو ق
وان كنت لم أحسن صنيعى فاننى — سأحسن فى حسن القبول له ش
وقدرك قدر النيل عندى واننى — لدى قدرك العالى أدق من
قنعت وحظى من زمانى وود كم — هباء ومثلى ليس يقنع با
أتانى كتاب منك باه مبارك — لقيت به الآمال يابهجة ا
جلا من بنات الفكر بكرا وزفها — الى ناظرى تختال فى حبر ا
فالفاظها كالزهر والزهر يانع — وقدر المعانى فى الاصالة كا
نجوم معان فى سماء صحيفة — ولكنها تسرى النجوم ولا تد
تضمن من نوع الدعابة مابه — رجوت الذى قد قيل فى نشوة
رعى الله مسراها الكريم فحاتما — حلته من البشرى وأبدت من ا

لعمري لقد أذكرتني دولة الصبا ... وأهديت لي نوع الحلال من السحر
ولما أتت تلك الفكاهة غدوة ... وجدت نشاطا سائر اليوم في بشرى
ولا سيما ان كان ملحم بردها ... عميد أولى الالباب نادرة العصر
نشرت بها ما قد طويت بساطه ... زمانا وبه طي الامور مع النشر
ونعم خليل الخير أنت محافظا ... على سنن الاخلاص في السر والجهر
ودونكها تلهو بها وتديرها ... سحيرية الانفاس طيبة النشر

فراجعني بقوله

وفد من سيدى الجواب . محتويا على العجب العجاب . فيا لها من فكاهة كوثريه المناهل . عربية الشمائل . ولو لم يكن الا وصف المقدم القرطبي المستوى الطلعه . الشرطى الصنعه . لكفى . فقد بسطتم في المزاح القول . وامتعتم في الكلام الفصل . وذلك شئ يعجز عن مساجاتكم فيه أرباب البلاغة والبيان . فكيف بمثلي ممن له القول المهلهل النسج الواهى البيان . ولا بد من عرض ذلك على سيدى القطب الكبير استاذنا علم الاعلام . وكبير أئمة الاسلام . فيحكم بيننا بحكم الفصل . وينصف بما لديه من الحق والعدل . وقد كنت أحيد عن مراجعتكم حيدة الجبان . وأميل عن ذلك ميلة الكودن عن مجارات الهجان . وأعدل عن مساجلة أدبكم الهتان . عدول الاعزل عن مبارزة جيد السنان . الى أن وثقت بالصفح . وعولت على مالديكم من الاغضاء والسمح . ووجهت حاملة السر والطروف . كي تتصل الهدايا ولا ينقطع المعروف . واستقيل من انبساط يجر عذرا . ونسأله سبحانه وتعالى حمداً يوجب المزيد من انعامه وشكرا . دام سيدى وآماله مساعده . والكلمة على فضله واحده

ومن شعره في النسك واللجأ الى الله تعالى

أيامن له الحكم فى خلقه ويامن بكربى له أشتكى

تولّ أمورى ولا تسلمنى فان أنت أسلمتنى أهلك

تعاليت من راحم منعم ونزهت من طالب مدرك

ومن ذلك ونقلته من خطه

تصبر اذا ماأدركتك ملمة فصنع اله العالمين عجيب

وما يدرك الانسان عار بنكبة ينكب فيها صاحب وحبيب

ففى من مضى للمرء ذى العقل أسوة وعيش كرام الناس ليس يطيب

ويوشك أن تهمى سحائب نعمة فيخصب من ربع السرور جديب

الهك ياهذا مجيب لمن دعا وكل الذى عند القريب قريب

﴿ مولده ﴾

عام خمس وستين وستمائة

﴿ وفاته ﴾

من عائد الصلة ، وختم الله عمره بخير العمل من الانابة والتهجد والتزام الورد وان كان مستصحب الخيرية وحل بيلد ولايتهم رندة زائرا فكانت بها تربته في الثالث والعشرين لربيع الآخر عام خمسين وسبعمائة

﴿ محمد بن محمد بن على العابد الانصارى الكاتب بالدار السلطانية ﴾

﴿ حاله ﴾

من كتاب طرفة العصر وغيره قال كان كاتبا مشهوراً بليغا ذا معرفة بارع الخط أوحد زمانه في ذلك وقورا عذب اللفظ منحطا في هوى نفسه محترفا بحرفة الادب على جلالة قدره وكتابته نقية جانحة الى الاختصار

(شعره)

وشعره أنيق نقل فيه أرواح المعانى كشعر أبيه وتوشيحه فائق تولى كتابة الانشاء لثانى الملوك النصريين واستمر قيامه بها على ضجر شديد من السلطان لملازمته المعاقرة وانهماكه في البطالة واستعمال الخمر حتى زعموا انه قاء يوما بين يديه فأخره عنها وقدم الوزير أبا عبد الله ابن الحكيم وفي ذلك يقول

أمن عادة الانصاف والعدل أن أجفا لان زعموا أنى تحسيتها صرفا

وأقام بقية عمره تحت رفدوبر

﴿ وفاته ﴾

توفي في حدود التسعين وستمائة وكان صديق شيخنا ابن الجياب فآثره بكتبه وكانت نفيسة اعلاها بخط أبيه رحمه الله

« محمد بن مالك الطغرى »

من أهل ذى البنية وأهل الحسب فيها ذكره الاستاذ في الكتاب المسمى بالصلة والغافقى وغيرهما

﴿ حاله ﴾

كان أديبا نبيلا شاعرا على عهد الامير عبد الله بن بلكين بن باديس صاحب غرناطة . قال وكان أولا يميل الى البطالة والراحة ثم انه استيقظ من غفلته واقلع عن راحته وجد في توبته وصار من اهل الفضل والخير والعلم

ومن تواليفه كتابه الشهير في الفلاحة وهو بديع سماه « زهرة البستان ونزهة الاذهان » كثير الظرف . وجرى له مع سماجة خليفة عبد الله ابن بلكين قصة ظريفة مع اخوان له لم يشعروا بادبه فانشده ابن مالك

ارتجالا وقد أخذ بلجام دابته

بينما نحن في المصلى نساق وجناح العشى فيه جنوح
اذ أتانا سماجة يتلالا وضياء الشموس منه يلوح
فطفقنا يقول بعض لبعض أغبوق شرابنا أم صبوح

قال فتكلم الوزير سماجة بلسان البربر مع عبيده فرجعوا مسرعين ووقف سماجة مع ابن مالك وأصحابه الى ان أتاه عبيده بوعاء فيه جملة من الدنانير تنيف على ثلاثمائة دينار فقال ادفعوها اليه وانصرف وأتاهم العبيد مع الدراهم بطعام وشراب قال ابن مالك وذلك أول مال تأثلته .

﴿ شعره ﴾

منه

صبّ على قلبي هوى لاعج ودب في جسمي ضنا دارج
في شادن أحمر مستأنس لسان تذكاري به لاهج
قدر نعمان اذا مامشى وما عسى يفعله عالج
فقدّه من ورقة مائس وردفه من ثقله مارج
عنوان مافي ثوبه وجهه تشابه الداخل والخارج
فلا تقيسوه ببدر الدجا ذا معلم الوجه وذا ساذج

وقد نسبها بعض الناس لغيره

﴿ وفاته ﴾

قال الاستاذ كان حيا سنة ثمانين واربعمائة وقد أمر أن يكتب على قبره

ياخليلى عرج عليّ تجدني اكله الترب بين جنبي ضريح
خافت الصوت ان نطقت ولكن أى نطق ان اعتبرت فصيح

أبصرت عيني العجائب لما فرق الموت بين جسمي وروحي

﴿ محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن عبد الملك الاوسي ﴾

المدعو بالعقرب من اقليم لاش

﴿ حاله ﴾

كان حسن النظم والنثر ذكيا من أهل المعرفة بالعربية والادب موصوفا بجودة القريحة والنبل والفطنة

﴿ أدبه وشعره ﴾

ذكره الملاحي وقال حدثني صاحبنا قاضي الاحكام بغرناطة أبو القاسم الحسن بن قاسم الهلالي قال كان الاستاذ أبو عبد الله العقرب جارنا قد وقع بينه وبين زوجه زهرة بنت صاحب الاحكام أبي الحسن علي بن محمد تنازع فرفعته الى القاضي بغرناطة أبي عبد الله بن السماك العاملي وكنت يومئذ كاتبا له فرأى القاضي قوته وقدرته على الكلام وضعفها واختناق نظمها فاشفق لحالها وكان يرى أن النساء ضعاف وان الاغلب من الرجال يكون قويا وكان كثيراً مايقول في مجالسه رويدا رفقا بالقوارير وحين مارأى ماصدر عن القاضي ممالا يهتز اليه ولا يرتاح طلب مني قرطاسا وجلس غير بعيد ثم كتب على البديهة مانصه.

بالله حي يا أميم وحاكي كحمائم فوق الغصول حواكي

غنين حتى خلتهن عنينني بغنائهن فنحت في مغناك

ذكرني ما كنت قد أنسيته بخطوب هذا الدهر من ذكراك

أشكو الزمان الى الزمان ومن شكا صرف الزمان الى الزمان فشاكي

يا ابن السماك المستظل برمحه والعزل ترهب ذا السلاح الشاكي

راع الجوار فبيننا لجوارنا حق السرى والسير في الافلاك

وابسط لي الخلق المثيب ببسطه ظرف الكرام بعفة النساك
أنا ذاكر أن لم يفت من لم يمت فدراك ثم دراك ثم دراك

ثم دفعها الى القاضى فكتب القاضي بخطه فى ظهر الرقعة لبيك لبيك ثم أشار الىّ وقال أصلح بين العقرب وزوجه فان وصل صلحهما الى خمسين دينارا فانا أؤديها عنه فجمعت بينهما عن تراض منهما رحمهما الله تعالى .

﴿ محمد بن على بن عبد الله القيسى العمرانى ﴾

من أهل غرناطة

﴿ حاله ﴾

كان فتى حسن السمت ظاهر السكون بادي الصون والعفة دمث الاخلاق قليل الكلام كثير الحياء مليح الخط ظريفه بادى النجابة أبوه وجده من نبهاء تجار السوق . نظم الشعر فجاء منه بعجب استرسالا وسهولة واقتداراً ونفوذا في المعانى فانقذته من الاغفال وجذبته الى الدار السلطانية واشتدت براعته فكاد يستولى على الامر لولا أن المنية اخترمته شابا فشكل منه الشعر قريع اجادة لو انفسح له الأمد .

﴿ مولده ﴾

في ذى الحجة من عام أحد وثلاثين وسبعمائة .

﴿ وفاته ﴾

توفي مبطونا وسنه قريب من العشرين في عام خمسة وخمسين وسبعمائة وأبوه أمين العطارين .

﴿ محمد بن على بن العابد الانصارى ﴾

يكنى أبا عبد الله أصله من مدينة فاس

﴿ حاله ﴾

من خط القاضى أبى جعفر بن مسعدة . علم كتاب دار الامارة النصرية الغالبة الذى بنوره يستصبحون ، وسراجهم الذى باشراقه وبهجته ومجده يهتدون . رفع لواء الحمد والعلم وارتدى بالفهم والحلم كان رحمه الله اماما فى الكتابة والادب واللغة والاعراب والتاريخ والفرائض والحساب والبرهان عليه . أربى على الموثقين من الفحول المبرزين فى حفظ الشعر ونظمه ونسبته الى قائله حافظا مبرزا درس الحديث وحفظ الاحكام لعبد الحق الاشبيلى ونسخ الدواوين الكبار وضبط كتب اللغة وقيد على كتب الحديث واختصر التفسير للزمخشرى وأزال عنه الاعتزال لم يفتر قط من قراءة أو درس أو نسخ أو مطالعة ليله ونهاره ولم يكن في وقته مثله

﴿ مشيخته ﴾

أخذ بفاس عن أبى العباس أحمد بن أبى القاسم بن البقال الاصولى وأبى عبد الله بن البيوت ٣ المقرى وعن الزاهد أبى الحسن بن أبى الموالى وغيرهم

﴿ شعره ﴾

منه قوله

طرقت تتيه على الصباح الابلج	حسنا وتختال اختيال تبرج
فى ليلة قد ألبست بظلامها	فضضا من الاحلاك غير مبلج

وشعره مدون كثير

« وفاته »

توفي بحضرة غرناطة عام اثنين وستين وسبعمائة

﴿ محمد بن هانئ بن محمد بن سعدون الازدى الالبيرى الغرناطى ﴾

من أهل قرية سكون يكنى أبا القاسم ويعرف بالاندلسى وكانها تفرقة بينه وبين الحكمى أبى نواس

« أوليته »

قال غير واحد من المؤرخين هو من ذرية يزيد بن حاتم بن قطبة بن المهلب بن أبى صفرة وقيل من ولد روح بن حاتم

« حاله »

كان من فحول الشعراء وأمثال النظم وبرهان البلاغة لايدرك شأوه ولا يشق غبارة مع المشاركة في العلوم والنفوذ في فك المعمى خرج من الاندلس ابن سبعة وعشرين سنة فلقى جوهرا بالمغرب وامتدحه وكان لئيما فاعطاه مائتى درهم فوجد لذلك وقال أماهنا من يفضله فقيل بلى جعفر ابن على بن فلاح بن أبى مروان وأبو على بن حمدون فامتدحهما ثم اختص بجعفر وأبى علىّ فبالغا في اكرامه وأفاضا عليه من النعم والاحسان مالم يمر بباله وسارت أشعاره فيهما حتى أنشدت للمعزّ العبدىّ فوجهه جعفر بن على في جملة طرف وتحف بعث بها اليه كان أبو القاسم أفضلها عنده فامتدح المعز لدين الله وبالغ المعز في اكرامه غاية ثم عاد الى افريقية ثم توجه الى مصر فتوفي ببرقة وجرى ذكره في تلخيص الذهب من تأليفنا بما نصه

العقاب الكاسرة . والصمصامة الباترة . والشوارد التى تهادتها الآفاق . والغايات التى عجز عنها السباق .

وذكره ابن شرف في مقاماته قال. وأما ابن هانىء محمد فنجدي الكلام. سردي النظام . الا انه اذا ظهرت معانيه. في جزالة مبانيه. رمى بها عن منجنيق لايؤثر في النفيق .وله غزل معدى لاعذرى . لايقنع به الضيف . ولا يصنع بغير السيف . وكان في دينه في أسفل منزلة ناهيك من رجل يستعين على صلاح دنياه بفساد آخرته . لرداءة دينه . وضعف يقينه . ولو عقل ماضاقت عليه معاني الشعر . حتى يستعين عليه بالكفر

(شعره)

قال يمدح جعفر بن على من القصيدة الشهيرة

أليلتنا اذ أرسلت وارداً وحفا ... وبتنا نرى الجوزاء في أذنها شنفا
وبات لنا ساق يقوم على الدجا ... بشمعة صبح لاتقط ولا تطفى
أغن غضيض خفف اللين قده ... وأثقلت الصهباء أجفانه الوطفا
ولم يبق ارعاش المدام له يدا ... ولم يبق اعنات التثنى له عطفا
نزيف نضاه السكر الا ارتجاجه ... اذا كلّ عنها الخصر حملها الردفا
يقولون حقف فوقه خيزرانة ... أما يعرفون الخيزرانة والحقفا
جعلنا حشايانا ثياب مدامنا ... ومدت لنا الازهار من جلدها لحفا
فمن كبد توحى الى كبد هوى ... ومن شفة تؤوى الى شفة رشفا
بعيشك نبه كأسه وجفونه ... فقد نبه الابريق من بعد ماأغفا
وقد فككت الظلماء بعض قيودها ... وقد قام جيش الليل للهو فاصطفا
وولت نجوم للثريا كأنها ... خواتيم تبدو في بنان يد تخفى
ومر على آثارها دبرانها ... كصاحب ردء كمنت خيله خلفا

وأقبلت الشعرى العبور ملية ... بمرزمها اليعبوب تجنبه طرفا
وقد قبلتها أختها من ورائها ... لتحرق من ثنيا مجرتها سجفا
تخال زئير الليث قدم نثره ... ويرزأ في الظلما وينسفها نسفا
كان معلى قطبها فارس له ... لوا آن مركوزان قد كره الزحفا
كأن السما كين اللذين نراهما ... على لبدتيه ضامنان له الحتفا
فذا رامح يهوى اليه سنانه ... وذا أعزل قد عض أنمله لهفا
كان قدامى النسر والنسر واقع ... قصصن فلم تسم الخوافي له ضعفا
كان أخاه حين دوم طائرا ... أتى دون نصف البدر فاختطف النصفا
كان رقيب الليل أجدل مرقب ... يقلب تحت الليل فى ريشه طرفا
كان بنى نعش ونعشا مطافل ... بوجرة قد أضللن في مهمه خشفا
كأن سهاها عاشق بين عود ... فآونة يبدو وآونة يخفى
كأن سهيلا في مطالع أفقه ... مفارق الف لم يجد بعده إلفا
كان الهزيع الآبنوسى موهنا ... سرى بالنسيج الخسروانى ملتفا
كأن ظلام الليل اذ مال ميله ... صريع مدام بات يشربها صرفا
كان نجوم الصبح خاقان معشر ... من الترك فادى بالنجاشى فاستخفى
كأن لواء الشمس غرة جعفر ... رأى القرن فازدادت طلاقته ضعفا
وقد جاشت الظلماء بين صوارم ... ومركوزة سمرا وقضفاضة رعفا
وجاءت عتاق الليل تردى كأنها ... تخط لنا أقلام آذانها صحفا
هنالك نلقى جعفرا خير جعفر ... وقد بدلت يمناه من لينها عنفا
كأن سراه في الكريهة عاجلا ... عزيمته برقا وصولته خطفا

وشعره كثير مدون ومقامه شهير وفيما أوردناه كفاية وهو من أسرة أصيلة .

« وفاته »

قالوا لما توجه الى مصر شرب ببرقة وسكر ونام عريانا وكان البرد شديدا فأفلج وتوفي في سنة احدى وستين وثلاثمائة وهو ابن اثنتين وأربعين سنة ولما بلغت المعز وفاته تأسف عليه وقال لاحول ولا قوة الا بالله هذا رجل كنا نريد أن نفاخر به أهل المشرق

« محمد بن يحيي بن محمد بن يحيي بن على بن ابراهيم »
ابن على الغسانى البروجى الغرناطى »

(حاله)

فاضل مجمع على فضله صالح الابوة طاهر النشأة بادى الصيانة والعفة ظرف فى الخير والحشمة صدر في الادب جم المشاركة ثاقب الذهن جميل المعاشرة ممتع المجالسة حسن الخط والشعر والكتابة فذ فى الانطباع صناع اليدين محكم العمل لكثير من الآلات العملية ويجيد تفسير الكتاب رحل الى العدوة ولقى جلة وتوسل الى ملكها مجدد الرشد ومقام أولى الشهرة وعامر دست الشعر والكتابة أبى عنان فارس واشتمل عليه ونوه به وملأ بالخير يده واقتنى جدة وحظوة وذكرا وشهرة وانقبض مع استرسال الملك لفضل عقله حتى شكا الى ساطانه بث ذلك عند قدومى عليه وآثر الراحة وجهد في التماس الرحلة الحجازية ونبذ الكل وقصر الخطوة وسلا الخطة فأسعفه سلطانه بغرضه وجعل حبل نعمه على غاربه وأصحبه الى النبى الكريم صلوات الله عليه رسالة من انشائه متصلة بقصيدة من نظمه وكلاهما يعلن في الخلفاء ببعد شأوه ورسوخ قدم علمه . وعراقة البلاغة في نسب خصله حسبما تضمنه الكتاب المسمى « بمساجلة البيان » ولما هلك وولى

ابنه قدمه قاضيا بمدينة ما..كه وضاعف التنويه به فأجرى الخطة على سبيل من السداد والنزاهة ثم لما ولى السلطان أبو سالم عمه أجراه على الرسم المذكور واستجلى المشكلات بصدقه وهو الآن بحاله الموصوف مفخر من مفاخر ذلك الباب السلطانى على تعدد مفاخره

(شعره)

ثبت فى كتاب نفاضة الجراب من تأليفنا عند ذكر المدعى الكبير بباب ملك المغرب ليلة ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر من أنشد ليلتئذ من الشعراء مانصه .

وتلاه الفقيه الكاتب الحاج القاضى جملة السداجة وكرم الخلق وطيب النفس وخدن العافية وابن الصلاح والعبادة ونشأة القرآن المتحيز الى حزب السلامة المنقبض عن التيار العزوف عن فضول القول والعمل جامع المحاسن من عقل رصين وطاب ممتع وأدب نقاو ويد صناع أبو القاسم بن أبى زكريا البرجى فانشدت له على الرسم المذكور هذه القصيدة الفريدة .

أصغى الى الرجد لماجد عاتبه	صب له شغل عمن يعاتبه
لم يعط للصبر من بعد الفراق يدا	فضل من ظل ارشادا يخاطبه
لولا النوى لم يبت حران مكتئبا	يغالب الوجد كتما وهو يغالبه
يستودع الليل اسرار الغرام وما	تمليه اشجانه فالدمع كاتبه
لله عصر بشرق الحمى سمحت	بالوصل أوقاته لو عاد ذاهبه
ياجيرة أودعوا اذ ودعوا حرقا	يصلى بها من صميم القلب ذائبه
ياهل ترى تجمع الايام فرقتنا	كعهدنا أو يود القلب سالبه
ويا أهيل ودادى والهوى قذف	والقرب قد أبهمت دونى مذاهبه

هل ناقض العهد بعد البعد حافظه … وصادع الشمل يوم الشعب شاعبه

ويا ربوع الحمى لازلت ناعمة … يبكي عهودك مضنى الجسم شاحبه

يا من اثاب مع الاهواء منعطف … في كل أوب له شوق يجاذبه

يسمو الى طاب الباقي بهمته … والنفس بالميل للفانى تطالبه

وفتنة المرء بالمألوف معضلة … والانس بالالف نحو الالف جاذبه

أبكى لعهد الصبا والشيب يضحك بى … يا للرجال سبت جدى ملاعبه

وان ترى كالهوى أشجاه سالفه … ولا كوعد المنى أحلاه كاذبه

وهمة المرء تغليه وترخصه … من عز نفسا لقد عزت مطالبه

ماهان كسب المعالى أو تناولها … بل هان في ذاك مايلقاه طالبه

لولا سرى الفلك السامى لما ظهرت … آثاره ولما لاحت كواكبه

في ذمة الله ركب للعلا ركبوا … ظهر السرى فأجابتهم نجائبه

يرمون عرض الفلا بالسير عن غرض … طى السجل اذا ماجد كاتبه

كأنهم في فؤاد الليل سر هوى … لولا الغرام لما خفت جوانبه

شدوا على لهب الرمضاء وطأتهم … فغاص في لجة الظلماء راسبه

وكلفوا الليل من طول السرى شططا … فخلفوه وقد شابت ذوائبه

حتى اذا أبصروا الاعلام ماثلة … بجانب الحرم المحمى جانبه

بحيث يأمن من مولاه خائفه … من ذنبه وينال القصد راغبه

فيها وفي طيبة الغراء لى أمل … يصاحب القلب منه مايصاحبه

لم أنس لا أنس أياما بظلها … سقى ثراه عميم الغيث ساكبه

شوقي اليها وان شط المزار بها … شوق المقيم وقد سارت حبائبه

ان ردها الدهر يوما بعد ما عبثت في الشمل منا يداه لا نعاتبه
معاهد شرفت بالمصطفى فلها من فضله شرف تعلو مراتبه
محمد المجتبى الهادى الشفيع الى رب العباد أمين الوحى عاقبه
أو في الورى ذمما أسماهم همما أعلاهم كرما جاءت مناقبه
هو المكمل في خلق وفي خلق زكت حلاه كما طابت مناسبه
عناية قبل بدء الخلق سابقة من أجلها كان آتيه وذاهبه
جاءت تبشرنا الرسل الكرام به كالصبح تبدو تباشيرا كواكبه
أخباره سر علم الاولين وسل بدير تيماء ما أبداه راهبه
تطابق الكون في البشرى بمولده وطبق الارض اعلاما تجاوبه
فالجن تهتف اعلانا هواتفه والجن تقذف احراقا ثواقبه
ولم تزل عصمة التأييد تكنفه حتى انجلى الحق وانزاحت شوائبه
سرى وجنح ظلام الليل منسدل والنجم لا يهتدى في الافق ساربه
يسمو لكل سماء منه منفرد عن الانام وجبرائيل صاحبه
لمنتهى وقف الروح الامين به وامتاز قربا فلا خلق يقاربه
لقاب قوسين أو أدنى فما علمت نفس بمقدار ما أولاه واهبه
أراه أسرار ما قد كان أودعه في الخلق والامر باديه وغائبه
وآب والبدر في بحر الدجى غرق والصبح لما يؤب للشرق آيبه
فاشرقت بسناه الارض واتبعت سبل النجاة بما أبدت مذاهبه
وأقبل الرشد والتاحت زواهره وأدبر الغيّ فانجابت غياهبه
وجاء بالذكر آيات مفصلة يهدي بها من صراط الله لاحبه
نور من الحكم لا تخبو سواطعه بحر من العلم لا تفنى عجائبه

له مقام الرضا المحمود شاهده ... في موقف الحشر اذ نابت نوائبه
والرسل تحت لواء الحمد يقدمها ... محمد أحمد السامى مراتبه
له الشفاعات مقبولا وسائلها ... اذا دها الامر واشتدت مصاعبه
والحوض يروى الصدى من عذب مورده ... لايشتكى غلة الظمآن شاربه
محامد المصطفى لاينتهى أبدا ... تعدادها هل يعد القطر حاسبه
فضل تكفل بالدارين يوسعها ... نعمى ورحمى فلا فضل يناسبه
حسبي التوسل منها بالذى سمحت ... به التوافي وجلتها غرائبه
حياه من صلوات الله صوب حيا ... تحدى الى قبره الزاكى نجائبه
وخالد الله ملك المستعين به ... مؤيد الامر منصورا كتائبه
امام عدل بتقوى الله مشتمل ... في الامر والنهى يرضيه يراقبه
مسدد الحكم ميمون نقيبته ... مظفر العزم صدق الرأى صائبه
مشمر للتقى أذيال مجتهد ... جرار أذيال سحب الجود ساحبه
قد أوسعت أمل الراجي مكارمه ... وأحسبت رغبة العافي رغائبه
وفاز بالامن مجبورا مسالمه ... وباء بالخزى مقهورا محاربه
كم وافد آمل معهود نائله ... أثنى وأثنت بما أولى حقائبه
ومستجير بعز من مثابته ... عزت مراميه وانقادت مآربه
وجاءه الدهر يسترضيه معتذرا ... مستغفرا من وقوع الذنب تائبه
لولا الخليفة ابراهيم لانبهمت ... طرق المعالى ونال الملك غاصبه
سمت لنيل تراث المجد همته ... والملك ميراث مجد وهو عاصبه
ينميه للعز والعليا أبو حسن ... سمح الخلائق محمود ضرائبه
من آل يعقوب حسب الملك مفتخرا ... بباب عزهم السامى تعاقبه

أطواد حلم رسا بالارض محتده ... وزاحمت منكب الجوزا مناكبه
تخنها من مرين أبحر زخرت ... أمواجها وغمام ثار صائبه
بكل نجم لدى الهيجاء ملتهب ... ينقضّ وسط سماء النقع ثاقبه
أكفهم فى دياجيها مطالعه ... وفي نحور أعاديهم مغاربه
ياخير من خلصت لله نيته ... في الملك أو خطب العلياء خاطبه
جردت والفتنة الشعواء ملبسة ... سيفا من العزم لاتنبو مضاربه
وخضتها غير هياب ولا وكل ... وقلما أدرك المطلوب هائبه
صبرت نفسا لعقبى الصبر حامدة ... والصبر مذ كان محمود عواقبه
فليهنّ دين الهدى اذ كنت ناصره ... أمن يواليه أو خوف يجانبه
لازال ملكك والتاييد يخدمه ... تقضى بخفض مناويه قواضبه
ودمت في نعم تصفو ملابسها ... في ظل عز علا تصفو مشاربه
ثم الصلاة على خير البرية ما ... سارت اليه بمشتاق ركائبه

ومن شعره ما قيده لى بخطه صاحب قلم الانشاء بالحضرة المرينية الفقيه الرئيس الصدر المتفنن أبو زيد بن خلدون .

صحا القلب عما تعامين فاقلعا ... .وعطل من تلك المعاهد أربعا
وأصبح لا يلوى على حد منزل ... ولا يتبع الطرف الخليّ المودعا
وأضحى من السلوان في حرز معقل ... بعيد عن الايام أن يتضعضعا
يرد الجمان النجل عن شرفاته ... وان محضت عن كل اجيد ألمعا
عزيز على داعى الغرام انقياده ... وكان اذا ناداه للوجه أسطعا
أهاب به للشيب أنصح واعظ ... أصاخ له قلبا منيبا ومسمعا
وسافر في أفق التنسك والحجا ... زواهره لا يرتجى الدهر طالعا

لعمرى لقد انضيت عزمى تطلبا وقضيت عمرى رقبة وتطلعا
وخضت عباب البحر أخضر مزبدا ودست أديم الارض أغبر أسفعا

ومنه حسبما قيده المذكور .

نهاه النهى بعد طول التجارب ولاح له منهج الرشد لاحب
وخاطبه دهره ناصحا بألسنة الوعظ من كل جانب
فأضحى الى نصحه واعيا وألغى حديث الأمانى الكواذب
وأصبح لا تستبيه الغوانى ولا تزدريه حظوظ المناصب

واحسانه كثير في النظم والنثر والقصار والمطولات واستعمل في السفارة الى ملك مصر وقشتالة وهو الآن قاضى مدينة فاس نسيج وحده في السلامة والتخصص واجتناب فضول القول والعمل كان الله له .

﴿ محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف بن محمد الصريحى ﴾

يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن زمرك . أصله من شرقىّ الأندلس وسكن سلفه ربض البيازين من غرناطة وبه ولد ونشأ وهو من مفاخرها .

﴿ حاله ﴾

هذا الفاضل صدر من صدور طلبة الاندلس وافراد نجبائها مختص مقبول هش خلوب عذب الفكاهة حلو المجالسة حسن التوقيع خفيف الروح عظيم الانطباع شره المذاكرة فطن بالمعاريض حاضر الجواب شعلة من شعل الذكاء تكاد تحتدم جوانبه كثير الرقة فكه غزل مع حياء وحشمة جواد بما في يده مشارك لاخوانه . نشأ عفا طاهرا كلفا بالقراءة عظيم لدروب ثاقب الذهن أصيل الحفظ ظاهر النبل بعيد مدى الادراك جيد الفهم فاشتهر فضله وذاع أرجه وفشا خيره واضطلع بكثير من الاغراض

وشارك في جملة من الفنون فأصبح متلقفا كرة البحث وصارخ الحلقة وسابق الحلبة ومظنة الكمال . ثم ترقى في درجة المعرفة والاطلاع وخاض لجة الحفظ وركض قلم التقييد والتسويد والتعليق ونصب نفسه للناس متكلما فوق الكرسى وبين الحفل المنصوب الجموع مستظهرا بالفنون التى بعد فيها شأوه من العربية والبيان واللغة وما يقذف به لج النقل من الاخبار والتفسير متشوفا مع ذلك الى السلوك مصاحبا للصوفية آخذا نفسه بارتياض ومجاهدة ثم عانى الادب فكان أملك به وأعمل الرحلة في طلب العلم والازدياد فترقى الى الكتابة عن ولد السلطان أمير المسلمين بالمغرب أبى سالم ابراهيم بن أمير المسلمين أبى الحسن على بن عثمان بن يعقوب ثم عن السلطان وعرف فى بابه بالاجادة .

ولما جرت الحادثة على السلطان صاحب الامر بالاندلس واستقر بالمغرب أنس به وانقطع اليه وكر فى صحبة ركابه الى استرجاع حقه فلطف منه محله وخصه بكتابة سره وثابت الحال ودالت الدولة وكانت له الطائلة فأقره على رسمه معروف الانقطاع والصاغية كثير الدالة مضطلعا بالخطة خطا وانشاء ولسنا ونقدا فحسن منابه واشتهر فضله وظهرت مشاركته وحسنت وساطته ووسع الناس تخلقه وأرضى السلطان جمله وامتد في ميدان النظم والنثر باعه فصدر في امداحه قصائد بعيدة الشأو فى مدى الاجادة وهو بالحالة الموصوفة الى هذا العهد أعانه الله تعالى وسدده

﴿ شيوخه ﴾

قرأ العربية على الاستاذ رحلة المغرب في فنها أبى عبد الله بن النجار ثم على القاضي الشريف إمام الفنون اللسانية أبى القاسم محمد بن أحمد الحسنى .

والفقه واللغة على الاستاذ المتفنن أبي سعيد بن لبّ واختص بالفقيه الخطيب الصدر المحدث أبي عبدالله بن مرزوق فاخذ عنه كثيراً من الرواية ولقي القاضي الحافظ أبا عبد الله المقري عند ماقدم رسولا الى الاندلس وذاكره . وقرأ الاصول الفقهية على أبي منصور الزواوي . وتروى عن جملة منهم القاضي أبو البركات بن الحاج والمحدّث أبو الحسين بن التلمساني والخطيب أبو عبدالله ابن بيش . وقرأ بعض الفنون . العقلية بمدينة فاس على الشريف الرحلة أبي عبد الله التلمساني واختص به اختصاصاً لم يخل فيه عن استمداده مران وحنكه في الصنعة

﴿ شعره ﴾

وشعره مترام الى هدف الاجادة خفاجي النزعة كلف بالمعاني البديعة والالفاظ الصقيلة غزير المادة

فمن ذلك ماخاطبني به وهو من أول مانظمه قصيدة مطلعها «أما وانصداع النور من مطلع الفجر » وهي طويلة . ومن بدائعه التي عقم عن مثلها قياس قيس . واشتهرت بالاحسان اشتهار الزهد بأويس . ولم يحل مجاريه ومباريه الابويح وويس . قوله في اعذار الامير ولد سلطانه . المنوّه بمكانه . وهي من الكلام الذي عنيت الاجادة بتذهيبه وتهذيبه وناسب الحسن بين مديحه ونسيبه .

معاذ الهوى أن أصحب القلب ساليا ... وأن يشغل اللوام بالعذل باليا
دعاني أعط الحب فضل مقادتي ... ويقضي على الوجد ما كان قاضيا
ودون الذي رام العواذل صبوة ... رمت بي في شعب الغرام المراميا
وقلب اذا ماالبرق أومض موهنا ... قدحت به زندا من الشوق واريا
خليلي اني يوم طارقة النوى ... شقيت بمن لو شاء أنعم باليا

وبالخيف يوم النفر ياأم مالك تخاف قلبي في حبالك عانيا
وذي أشر عذب الثنايا مخصر يسق به ماء النعيم الاقاحيا
أحوم عليه مادجا الليل ساهرا وأصبح دون الورد ظمآن صاديا
يضيء ظلام الليل ما بين أضلعي ذا البارق النجدي وهنا بداليا
أجيرتنا بالرمل والرمل منزل مضى العيش فيه بالشبيبة حاليا
ولم أر ربعا منه أقضى لبانة وأشجى حمامات وأحلى مجانيا
سقت طله الغر الغوادي ونظمت من القطر في جيد الغصون لآليا
أبثكم أني على النأي حافظ ذمام الهوى لو تحفظون ذماميا
أناشدكم والحر أوفي بعهده وان يعدم الاحسان والخير جازيا
هل الود الا ماتحاماه كاشح وأخفق في مسعاه من جاء واشيا
تأوبني والليل يذكي عيونه ويسحب من ذيل الدجنة صافيا
وقد مثلت زهر النجوم بأفقه حبابا على نهر المجرة طافيا
خيال على بعد المزار ألم بي فاذكرني من لم أكن عنه ساليا
عجبت له كيف اهتدى نحو مضجعي ولم يبق مني السقم والشوق باقيا
رفعت له نار الصبابة فاهتدى وخاض لها عرض الدجنة ساريا
ومما أجد الوجد سرب على النقا سوانح يصقلن الطلا والتراقيا
نزعن عن الالحاظ كل مسدد فغادرن أفلاذ القلوب دواميا
ولما تراءى السرب قلت لصاحبي وأيقنت ان الحب ماعشت دائيا
حذارك من سقم القلوب فانه سيعدى بما يعيي الطبيب المداويا
وان أمير المسلمين محمدا ليعدى نداه الساريات الهواميا
تضيء النجوم الزاهرات خلاله وينفث في روع الزمان المعاليا

مقال اذا ماالنجم صوّب طالبـا مبالغها في العز حلق واليـا
يسابق علوىّ الرياح الى الندى وينضح جدوى راحتيه الفواديا
ويغضى عن العوراء اغضاء قادر ويرجح في الحلم الجبال الرواسيا
همام يروع الاسد في حومة الوغى كما راعت الاسـد الظباء الحواريا
مناقب تسمو للفخار كأنما تجارى الى المجد النجوم الجواريا
اذا استبق الاملاك يوما لغاية أبيت وذاك المجد الا التناهيـا X
بهرت فاخفيت الملوك وذكرها ولا عجب فالشمس تخفى الدراريا
جلوت كلام الظلم من كل معتد ولا غرو أن تجلو البدور الدياجيا
هديت سبيل الله من ضلّ رشده فلا زلت مهـديا اليـه وهـاديا
أفدت وخى الملك مما أفـدته وطوقت أشراف الملوك الايا ديا
وقد عرفت منها مرين سوابقا تقر لها بالفضـل أخرى اللياليـا
وكان أبو زيان جيـداً معطـلا فزينته حتى اغتـدى بك حاليـا
لك الخـير لم تقصـد بما أفـدته جزاء ولـكن همـة هى ماهيـا
فما تكبر الاملاك غيرك آمرا ولا ترهب الاشراف غيرك ناهيا
ولا تشـتكى الايام من داء فتنـة فقد عرفت منك الطبيب المداويا
وأندلسـا أوليت ماأنت أهـله وأوردتهـا ورداً من الامن صافيا
تلافيت هـذا الثغر وهو على شفى وأصبحت من داء الحوادث شافيا
ومن بعد ماساءات ظنون باهلهـا وحاموا على ورد الامانى صواديا
فما يأمـلون العيش الا تعـللا ولا يعرفون الأمن الا أمانيا
عطفت على الايام عطفـة راحم وألبسـتها ثوب امتنـانك ضافيا
فآنس من تلقائك الملك رشـده ونال بك الاسـلام ما كان راجيا

وقفت على الاسـلام نفسا كريمة ... تصد عدوا عن حماه وعاديا
فرأى كما انشق الصباح وعزمة ... كما صقل العين الحسام اليمانيا
وكانت رماح الخط خمصا ذوابلا ... فانهلت منها في الدماء صواديا
وأوردت صفح السيف أبيض ناصعا ... فاصدرته في الروع أحمر قانيا
لك العزم تستجلى الخطوب بهديه ... ويلفى اذا تنبو الصوارم ماضيا
اذا أنت لم تفخر بما أنت أهله ... فما صبح وضاح المشارق عاليا
ويهنيك دون العيد عيد شرعته ... نبث به في الخافقين التهانيا
أقمت به من فطرة الدين سنة ... وجددت من رسم الهداية عافيا
صنيع تولى الله تشييد فخره ... وكان لما أوليت فيه مجازيا
تود النجوم الزهر لو مثلت به ... وقضّت من الزلفى اليك الامانيا
وما زال وجه اليوم بالشمس مشرقا ... سروراً به والليل بالشهب حاليا
على مثله فليعقد الفخر تاجه ... ويسمو به فوق النجوم مراقيا
به تغمر الانواء كل مفوه ... ويحدو به من كان بالفقر ساريا
ويوسف فيه بالجمال مقنع ... كأن له من كل قلب مناجيا
وأقبل قد شاب الحياء مهابة ... يقلب وجه البدر أزهر باهيا
وأقدم لاهيابة الحفل واجما ... ولا قاصراً فيه الخطا متوانيا
شمائل فيه من أبيه وجده ... ترى العز فيها مستكنا وباديا
فياعلقا أشجى القلوب لو اننا ... فديناك بالاعلاق ما كنت غاليا
جريت فاجريت الدموع تعطفا ... واطلعت فيها للسرور فواشيا
وكم من ولى دون بابك مخلص ... يفديه بالنفس النفيسة واقيا
وصيد من الحيين أبناء قيلة ... تكف الاعادى أو تبيد الاعاديا

بهاليل غران أعدوا لغارة أعادوا صباح الحى أظلم داجيا

فوالله لو لا أن توخيت سنة رضيت بها ان كان ربك راضيا

لكان بها للأعوجيات جولة تشيب من الغلب الشباب النواصيا

وتترك أوصال الوشيج مقصدا وبيض الظبا حمر المتون دواميا

ولما مضى من سنة الله ماقضى وقد حسدت منه النجوم المساعيا

أفضنا نهنى منك أكرم منعم أبى لعميم الجود الا تواليا

فيهنى صفاح الهند والبأس والندى وسمر العوالى والعتاق المذاكيا

ويهنى البنود الخافقات فانها سيعقدها في ذمة النصر غازيا

كأنى به قد توج الملك يافعا وجمع أشتات المكارم ناشيا

وقضى حقوق الفخر في منعة الصبا وأحسن من دين الكمال التقاضيا

وما هو الا السعد إن رمت مطلعا وسددت سهما كان ربك راميا

فلا زلت يا فخر الخلافة كافلا ولا زلت ياخير الائمة كافيا

ودمت قرير العين منه بغبطة وكان له رب البرية واقيا

نظمت له غر الكلام تمائما جعلت مكان الدر فيها القوافيا

لآل بها تبأى الملوك نفاسة وجات لعمرى أن تكون لآليا

أرى المال يرميه الجديدان بالبلى وما ان أرى الا المحامد باقيا

وورد على السلطان أبى سالم ملك المغرب رحمة الله تعالى عليه وفد الاحايش بهدية من ملك السودان ومن جملتها الحيوان الغريب المسمى بالزرافة فأمر من يعانى الشعر من الكتاب بالنظم في ذلك الغرض فقال وهى من بدائعه

لولا تألق بارق التذكار ماصاب واكف دمعى المدرار

لكنه مهما تعرّض خافقا　　قدحت يد الاشواق زند أوارى
وعلى المشوق اذا تذكر معهدا　　أن يغرى الاجفان باستعبار
أمذكرى غرناطة حلت بها　　أيدى السحاب أزرّة النوار
كيف التخلص للحديث وبيننا　　عرض الفلاة وطافح زخار
هذا على أن التغرب مركبي　　وتولج الفيح الفساح شعارى
فلكم أقمت غداة زمت عيسهم　　أبغى القرار ولات حين قرار
وطفقت أستقرى المنازل بعدهم　　يمحو البكاء مواقع الآثار
إنا بنى الآمال تخدعنا المنى　　فنخادع الآمال بالتسيار
نتجشم الاهوال في طاب العلا　　ونروع سرب النوم بالافكار
لايحرز المجد الخطير سوى امرىء　　يعطى العزائم صهوة الاخطار
إما يفاخر بالعتاد ففخره　　بالمشرفية والقنا الخطار
مستبصر مرمى العواقب واصل　　في حمله الايراد بالاصدار
فأشد ماقاد الجهول الى الردى　　عمه البصائر لاعمى الابصار
ولرب مربدّ الجوانح مزبد　　سبح الهلال بلجة الزخار
فتقت كمائم جنحه عن أنجم　　سفرت زواهرهن عن أزهار
مثلت على شاطى المجرة نرجسا　　تصطفّ منه على خليج جارى
وكأنما بدر التمام بجنحه　　وجه الامام بجحفل جرار
وكأنما خمس اثريا راحة　　ذرعت مسير الليل بالأشبار
أسرجت من عزمى مصابيحا بها　　تهدى السراة لها من الاقصار
وارتاح من بازى الصباح غرابه　　لما أطلّ فطار كل مطار
وغريبة قطعت اليك على الونى　　بيدا تبيد بها هموم السارى

تنسيه طيّته التي قد أمها … والركب فيها ميت الاخبار
يقتادها من كل مشتمل الدجى … وكأنما عيناه جذوة نار
تشدو بحمد المستعين حداتها … يتعللون به على الاكوار
ان مسهم لفح الهجير أبلّهم … منه نسيم ثنائك المعطار
خاضوا بها لجج الفلا فتخلصت … منها خلوص البدر بعد سرار
سلمت بسعدك من غوائل مثلها … وكفى بسعدك حاميا لذمار
وأتتك ياملك الزمان غريبة … قيد النواظر نزهة الابصار
موشية الاعطاف رائقة الحلى … رقمت بدائعها يد الاقدار
راق العيون أديمها فكأنه … روض تفتّح عن شقيق بهار
مابين مبيض وأصفر فاقع … سال اللجين به خلال نضار
يحكى حدائق نرجس في شاهق … تنساب فيه أراقم الانهار
تحدو قوائم كالجذوع وفوقها … جبل أشم بنوره متوارى
وسمت بجيد مثل جذع مائل … سهل التعطف لين خوار
تستشرف الجدرات منه ترائبا … فكأنما هو قائم بمنار
تاهت بكلكلها وأتلع جيدها … ومشى بها الاعجاب مشى وقار
خرجوا لها الجم الغفير وكلهم … متعجب من لطف صنع البارى
كل يقول لصحبه قوموا انظروا … كيف الجبال تقاد بالأسيار
ألقت ببابك رحلها ولطالما … ألقى الغريب به عصا التسيار
علمت ملوك الارض انك فخرها … فتسابقت لرضاك في مضمار
يتبوّؤن به وان بعد المدى … من جاهك الاعلى أعز جوار
فارفع لواء الفخر غير مدافع … واسحب ذيول العسكر الجرار

واهنأ بأعياد الفتوح مخوّلا ... ماشئت من نصر ومن أنصار
وإليكها من روض فكرى نفحة ... شفّ الثناء بها على الازهار
في فصل منطقها ورائق رسمها ... مستمتع الأسماع والأبصار
وتميل من أصغى لها فكأننى ... عاطيتـه منها كؤس عقار

وأنشد السلطان فى ليلة ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم عقب مافرغ من البنية الشهيرة ببابه رحمه الله .

تأمل أطلال الهوى فتألما ... وسيما الجوى والسقم منها تعلما
أخو زفرة هاجت له منه ذكره ... فأنجد فى شعب الغرام وأتهما

وهى طويلة تقارب التسعين بيتا . وأنشد السلطان في وجهة للصيد أعملها. وأطلق أعنة الجياد في ميادين ذلك الطراد وأرسلها . قوله .

حيـاك يادار الهوى من دار ... نوء السماك بديمة مـدرار
وأعاد وجـه رباك طلقا مشرقا ... متضاحكا بمباسم النوار
أمذكرى دار الصبابة والهوى ... حيث الشباب يرف غصن نضار
عاطيتنى عنها الحديث كانما ... عاطيتنى عنها كؤس عقار
إيه وان أذكيت نار صبابتى ... وقدحت زند الشوق بالتذكار
يازاجر الاظعان وهى مشوقة ... أشبهتها في زفرتى وأوارى
حنّت الى نجد وليست دارها ... وصبت الى هندية والقار
شاقت به برق الحمى واعتادها ... طيف الكرى بمزارها المزوار
هـل تبلغ الحاجات ان حملتها ... ان الوفاء سجية الاحرار
عرّض بذكرى في الخيام وقل اذا ... جئت العقيق مبلغ الاوطار
عار بقومك يا ابنة الحيين أن ... تلوى الديون وأنت ذات يسار

أمنعت ميسور الكلام أخا الهوى — وبخلت حتى بالخيال الساري
وأبان جاري الدمع عذر هيامه — لكن أضعت له حقوق الجار
هذا وقومك ما علمت خلالهم — أوفى الكرام بذمة وجوار
أللّه في نفس شعاع كلما — هبّ النسيم تطير كل مطار
باللّه يا لمياء ما منع الصبا — أن لا تهبّ بعرفك المعطار
يا بنت من تشد والحداة بذكره — متعللين به على الاكوار
ماضر نسمة حاجر لوأنها — أهدت لنا خبرا من الاخبار
هل بانه من بعدنا متأوّد — متجاوب مترنم الاطيار
وهل الظباء الآنسات كعهدنا — يصرعن أسد الغاب وهي ضواري
يفتكن من قاماتها ولحاظها — بالمشرفية والقنا الخطار
أشعرت قلبي حبهن صبابة — فرمينني من لوعتي بجمار
وعلى الكثيب سوانح حمر الحلى — بيض الوجوه يصدن بالافكار
أدنى الحجيج جمارهن ثلاثة — بمنى لوان منى بدار قرار
لكنّ يوم النفر جدن لنا بما — عودننا من جفوة ونفار
يا ابن الألى قد أحرزوا خصل العلا — وسموا بطيب أرومة ونجار
وتنوب عن صوب الغمام أكفهم — وتنوب أوجههم عن الاقمار
من آل سعد رافعي علم الهدى — والمصطفين لنصرة المختار
أصبحت وارث مجدهم وفخارهم — ومشرف الاعصار والأمصار
وجه كما حسر الصباح نقابه — ويد تمدّ أناملا بحار
جددت دون الدين عزمة أروع — جددت منها سنة الانصار
حطت البلاد ومن حوته ثغورها — وكفى بسعدك حاميا لذمار

لله رحلتك التى نلنا بها ... أجر الجهاد ونزهة الأبصار
أوردتنا فيها لجودك موردا ... مستعذب الايراد والاصدار
وأفضت فينا من نداك مواهبا ... حسنت مواقعها على التكرار
أضحكت ثغر الثغر لما جئته ... وخصصته بخصائص الايثار
حتى الفلاة تقيم يوم وردتها ... سنن القرى بتلالئ الانوار
وسرت عقاب الجو تهديك الذى ... تصطاد من وحش ومن أطيار
والارض تعلم أنك الغوث الذى ... تضفى عليها واقى الاستار
ولرب ممتد الاباطح موحش ... عالى الربا متباعد الاقطار
همل المسارح لايراع قنيصه ... الا لنبأة فارس مغوار
سرحت عنان الريح فيه وربما ... ألقت بساحته عصا التسيار
باكرته والافق قد خلع الدجى ... مسحا ليلبس حلة الاسفار
وجرى به نهر النهار كمثل ما ... سكب النسيم سلافة من قار
عرضت به المستنفرات كأنها ... خيل عراب جلن في مضمار
أتبعتها غرر الجياد كواكبا ... تنقضّ رجما في سماء غبار
والهاديات يؤمها عبل الشوى ... متدفق كتدفق التيار
أزجيتها شقراء رائقة الحلى ... فرميته منها بشعلة نار
أثبتّ فيه الرمح ثم تركته ... خضب الجوانح بالدم المورّار
حامت عليه الذابلات كأنها ... طير أوت منه الى أوكار
طفقت أرانبه غداة أثرتها ... تبغي الفرار ولات حين فرار
هل ينفع الباع الطويل وقد غدت ... يوم الطراد قصيرة الأعمار
من كل منحفز بلمحة بارق ... فاتت خطاه مدارك الأبصار

وجوارح سبقت اليه طلابها ... فكأنما طالبنه بالثار
سود وبيض في الطراد تتابعت ... كالليل طارده بياض نهار
ترمى بها وهى الحنايا ضمّرا ... مثل السهام فزعن عن أوتار
ظنت بان ينجو لها كلا ولو ... أغريته بأرانب الاقمار
وبكل فتخاء الجناح اذا ارتمت ... فكأنها نجم السماء السارى
زجل الجناح مصفق كمن الردى ... فى مخلب منه وفي منقار
أجلى الطريد من الوحوش وان رمى ... طيرا أتاك به على مقدار
وأريتنا الكسب الذى أعداده ... ملأت جمالا أعين النظار
بيض وصفرخات مطرح سرحها ... روضا تفتح عن شقيق بهار
من كل موشىّ الاديم مفوق ... رقمت بدائعه يد الاقدار
خلط البياض بصفرة في لونه ... فترى اللجين يشوب ذوب نضار
أو أشهل راق العيون كانه ... غاس تخالط سدفة بنهار
سرحت بمخضر الجوانب يانع ... تنساب فيه أراقم الانهار
قد أرضعته الساريات ابانها ... وحللن فيه أزرّة النوار
أخذت سعودك حذرها فلحكمة ... أغرت جفون المزن باستعبار
لما أرتك الشمس صفرة حاسد ... بجبينك المتألق الأنوار
نفثت عليك السحب نفثة معوذ ... من عينها المتوقع الاضرار
فارفع لواء الفخر غير مدافع ... واسحب ذيول العسكر الجرار
واهنأ بمقدمك السعيد مخوّلا ... ماشئت من عز ومن أنصار
قد جئت دارك محسنا ومؤملا ... متعت بالحسنى وعقبى الدار
واليكها من روض فكرى نفحة ... شفّ الثناء بها على الازهار

ومن شعره في غرض النسيب

رضيت بما تقضى عليّ وتحكم ... أهان فأقصى أم أعز فأكرم
اذا كان قلبي فى يديك قياده ... فمالى عليه في الهوى أتحكم
على أن روحى في يديك بقاؤها ... بوصلك تحيي أو بهجرك تعدم .
وأنت الى المشتاق نار وجنة ... ببعدك يشقى أو بقربك ينعم
ولى كبد تندى اذا ما ذكرتم ... وقلب بنيران الهوى يتضرم
ولوكان مابى منك بالبرق ماسرى ... ولا استصحب الانواء تبكى وتبسم
أراعى نجوم الافق في الليل مادجا ... وأقرب من عينىّ للنوم أنجم
ومازلت أخفى الحب عن كل عاذل ... وتبدى دموع الصب ماهو يكتم
كسانى الهوى ثوب السقام وانه ... متى صح حب المرء لاشئ يسقم
فيامن له الفعل الجميل سجية ... ومن جود يمناه الحيا يتعلم
وعنه يروّى الناس كل غريبة ... تخط على صفح الزمان وترسم
اذا أنت لم ترحم خضوعى فى الهوى ... فمن ذا الذى يحنى علىّ ويرحم
ووالله ما في الحى حىّ ولم ينل ... رضاك وعمته أياد وأنعم
ومن قبل ما طوقتنى كل نعمة ... كأنى واياها سوار ومعصم
وفتّحت لى باب القبول مع الرضا ... فما بال ذاك الباب عنى مبهم
ولو كان لى نفس تخونك في الهوى ... لفارقتها طوعا وما كنت أندم
وأترك أهلى في رضاك الى الاسى ... وأسلم نفسى في يديك وأسلم
أما والذى أشقى فؤادى وقادنى ... وان كان في تلك الشقاوة ينعم
لأنت منى قلبي ونزهة خاطرى ... ومورد آمالى وان كنت أحرم

ومن شعره في غير المطولات .

لقد زادني وجدا وأغرى بي الجوى ذبال باذيال الظلام قد التفا
تلوح سنانا حين لاتنفح الصبا وتبدى سوارا حين تثنى له العطفا
قطعت به ليلا يطارحني الجوى فآونة يبدو وآونة يخفى
اذا قلت لايبدو أشال لسانه وان قلت لايخبو الضياء به كفا
الى أن أفاق الصبح من غمرة الدجا وأهدى نسيم الروض من طيبه عرفا
لك الله ياصباح اشبهت مهجتى وقد شفها من لوعة الحب ماشفا

ومما ثبت له فى صدر رسالة .

أزور بقلبي معهد الانس والهوى وأنهب من أيدى النسيم رسائلا
ومهما سالت البرق يهفو من الحمى يبادره دمعى مجيبا وسائلا
فياليت شعرى والامانى تعلل أيوعى لى الحى الكرام الوسائلا
وهل جيرتى الاولى كما قد عهدتهم يوالون بالاحسان من جاء سائلا

ومن أبياته الغراميات .

قيادى قد تملكه الغرام ووجدى لايطاق ولا يرام
ودمعى دونه صوب الغوادى وشجوى فوق مايشدو الحمام
اذا ماالوجد لم يبرح فؤادى على الدنيا وساكنها السلام

وله في غرض يظهر من الابيات .

ومشتمل بالحسن أحوى مهفهف قضى رجع طرفي من محاسنه الوطر
فأبصرت أشباه الرياض محاسنا وفي خده جرح بدا منه لى أثر
فقلت لجلاسى خذوا الحذر انما به وصب من أسهم الغنج والحور
وياوجنة قد جاورت سيف لحظه ومن شأنها تدمى من اللمح والبصر
تخيل للعينين جرحا وانما بدا كلف منه على صفحة القمر

ومما يرجع الى باب الفخر ولعمرى لقد صدق .

ألائمتى فى الجود والجود شيمتى جبلت على آثارها يوم مولدى
ذرينى فلو أنى أخلد بالغنى لكنت ضنينا بالذى ملكت يدى

ومن مقطوعاته .

لقد علم الله أنى امرؤ أجرّر ذيل العفاف القشيب
فكم غمض الدهر أجفانه وفازت قداحى بوصل الحبيب
وقيل رقيبك في غفلة فقلت أخاف الاله الرقيب

وله في مدح كتاب الشفاء وقد طلبه الفقيه أبو عبد الله بن مرزوق عند ما شرع في شرحه

ومسرى ركاب للونى قد ونت به نجائب سحب للتراب نزوعها
تسلّ سيوف البرق أيدى حداتها فتنهلّ خوفا من سطاها دموعها
تعرضن غربا يبتغين معرّسا فقلت لها مراكش وربوعها
لتسقى أجداثا بها وضرائحا عياض الى يوم المعاد ضجيعها
وأجدر من تبكى عليه يراعة بصفحة طرس والمداد نجيعها
فكم من يد في الدين قد سلفت له يرضّى رسول الله عنه صنيعها
ولا مثل تعريف الشفا بحقوقه فقد بان فيه للعقول جميعها
بمرآة حسن قد جلتها يد النهى فاوصافه يلتاح فيه بديعها
نجوم اهتداء والمداد يجنها وأسرار غيب واليراع يذيعها
لقد حزت فضلا ياأبا الفضل شاملا فيجزيك عن نصح البرايا شفيعها
ولله ممن قد تصدّى لشرحه فلباه من غر المعانى مطيعها
فكم مجمل فصّلت منه وحكمة اذا كتم الادماج منه تشيعها
محاسن والاحسان يبدو خلالها كما افتر عن زهر البطاح ربيعها

اذا ماأجلت العين فيها تخالها — نجوما بآفاق الطروس طلوعها
معانيه كالماء الزلال الذى صرى — وألفاظه در يروّى نصيعها
رياض سقاها الفكر صوب ذكائه — فاخصب للورّاد منها مريعها
تفجر عن عين اليقين زلالها — فلذّ لارباب الخلوص شروعها
ألا ياابن جار الله ياابن وليه — لأنت اذا عد الكرام رفيعها
اذا ماأصول المرء طابت أرومة — فلا عجب ان أشبهتها فروعها
بقيت لاعلام الزمان تنيلها — هدى ولاحداث الخطوب تروعها

ومما امتزج فيه نثره ونظمه . وظهر فيه أدبه وعلمه . قوله يخاطبنى جوابا عن رسالة خاطبت بها الاولاد وهم مع مولانا أيده الله بالمنكب

مالى بحمل الهوى يدان — من بعد ماأعوز التدانى
أصبحت أشكو الى زمان — مابتّ منه على أمان
مابال عينيك تسجمان — والدمع يرفضّ كالجمان
ناداك والالف عنك وان — والبعد من بعده كوانى
ياشقة النفس من هوان — في لجج من أبحر الهوان
لم يثننى عن هواك ثان — يابغيه القلب قد كفانى

ياجانحة الاصيل أين يذهب قرصك المذهب . وقد ضاق بالمشوق المذهب . أمست شموس الأنس محجوبة عن عينى . وقد ضرب البعد الحجاب بينها وبينى . وعلى كل حال . من اقامة وترحال . فما محلك من قلبى محلا فيها . وما كنت لاقنع من وجهك تخييلا وتشبيها . ومن أين انتظمت لك عقود التشبيه وأنت متجملة بثوبى زور . وجيب الظلام على جسمك حتى الصباح

مزرور . وراءك من الغروب غريم ومطالب . تتقلب في كفه المطالب
ويابرق الغمام من أي حجاب تبتسم . وباى صبح ترتسم . وأى وجه من
السحاب تسم . أليست مباسم الثغور . لاتنجد بافق ولا تغور . هذا وا
كانت مباسمك مفترة فلطالما ضحكت فابكت الغوادى . وعطلت الرا
و الغادي .أعوذ بواسم (١) البروق . بنواسم الطفل والشروق . ذوا
الزئرات المبتعدة الطروق . فهي التى قطعت وهادا ونجادا . وابتزت بسيم
الصباح من السحاب قرابا ومن البروق نجادا . ليتها أهدت خبر الذين
أحبهم مستظرفا مستجادا . فلعلها ولعلها . والله يصل فى أرض اللقاء نهلها
ويبل ظمأ الشوق بنسيمها البايل . ويعوض من نار العليل بنار الخليل . واذا
أهب الحقيقة للمجاز . وطلبت ممطول دين اللقاء بالنجاز. فمتاع التعلل بالنسي
قليل . وخير طبيب من يداوى الناس وهو عليل « أشكو الى الله
لا أشكو الى أحد » هل هو الافرد تسطو رياح الاشواق على ذبالته وعمر
الشوق . قد شب عن الطوق . ووهب الجمع للفرق ولم يقنع بالمشاهد
والوصف دون الذوق. وقلب تقسم أحشاءه الوجد .وقسم باله الغور والنجد
وهموم متى وردت قليب القلب لم تبرح ولم تتعد . فلله الامر من قبل ومن
بعد . أستغفر الله ياسيدى الذى يوقد أفكارى حلو لقائه . وأتنسم أرواح القبول
من تلقائه .وأسأل الله ان يديم لى آمالى بدوام بقائه .ان بعد مداه قربت منا يداه
وان أخطانا قربه أصبنا نداه . وجاءتنا بثمرات آدابه الزهر سحائب جداه . وا
أخطأنا بنانه عطف علينا شخص هداه . فياسيدى الذى عمت فضائل
وخصت . وتلت على أولياء نعمته أنباء ثنائه وقصت . وآيا قضى كل

(١) قوله أعوذ بواشم الخ كذا في الاصل

منها عجبا . ونال من التماح غرتها واجتناء ثمرتها أربا . ومن كرمت بالاشتراك في بنوته الكريمة نسبا . ووصل لى بالعناية منه سببا . تولى خيرك من يتولى خير المحسنين . ويجزل شكر المنعمين . أما ماتحدث به من الاغراض البعيده . العذبة الالفاظ ذات المعانى الفريده . والاساليب المطلية فيعجز عن وصفه . واحكام رصفه . القلم واللسان . ويعيي عنه ذو الابداع المستولى على أمد احسان البديع وحسان . ولقد أجهدت جياد الارتجال . في مجال الاستعجال . فما سمحت القريحة الا بتوقع الآجال . وعادت من الاقدام الى الكلال . فعلمت ان تلك الرسالة الكريمة من الحق الواجب على من قرأها وتأملها ان لا يجرى في ميادينها . ويرى يراع سيدى ليث عرينها . ولا يفسح في الرياض للقصى مدى . ويقتدى باخلاق سيدى التى هى نور وهدى . فانه والله يبقيه . ويقيه مما يتقيه . بعد ما أعاد في الشكوى وأبدى . وتظلم من البعد واستعدى . ورفع حكم العتاب . عن ذوى الاستعتاب . ورعى وسيلة ذكرها فى محكم الكتاب . وولى فضله من ولى . وصرف هواه الى رضى المولى . لعلمه أن صورا السعادة على رأيه أيده الله تعالى تجلى . وثمرة فكره المقدس أعزه الله تجلى . شكر الله له عن نعمه التى هى أولى . وحفظ عليه مراتب الكمال التى هو الاحق بها والاولى . وقد طال الكلام . وجمحت الاقلام . ولسيدى ومولاى الفضل أبقاه الله وبركته . وأعلى في الدارين درجته . والسلام الكريم يخصه من مملوكه ابن زمرك ورحمة الله وبركاته . في الخامس عشر لجمادى الاولى عام تسعة وستين وسبمائة

وخاطبنى أيضا كذلك وهو من الكلام المرسل . أبو معارفي ومفيدها . وولىّ نعمى ومعيدها . ومقوم كمالى . ومورد آمالى . من تتوالى نعمه علىّ . وتتوفر قسمه لدىّ . وأفوه له بالعجز عن شكر أياديه التى بهرت الجنان

وملأت أكف الرغبة وأنطقت الحدائق فضلاعن اللسان . وأياديه البيض التي تعددت ومننه العميمة التي تجددت.فماذا أقول فيمن صار مؤثر الى بالتقديم . جاليا صورة تشريفي بالانتساب اليه في أحسن تقويم . اللهم أدم تالك الطاعة التي أتشرف بخدمتها.وأسحب أذيال نعمتها .

خايليّ هل أبصرتما أو سمعتما   باكرم من تمشي اليها عبيدها

اللهم أوزعني شكر هذا المنعم الذي أثقلت نعمه ظهر الشكر وانهضت كمال الحمد . اللهم أدم حياته وامتع بدوام بقائه الاسلام والعباد.وأمسك بيمن رأيه رمق ثغر الجهاد. ياأكرم مسؤل وأعز ناصر .تفضل سيدى(١)والفضل عادته بالتعريف بما يقر عين التطلع وينقع غلة التشوّف . ولقد كان المماليك لما مثلنا بين يدى مولانا أيده الله لم يقدموا السؤال عن الحال اقامة لرسم الزيارة وعملا بالواجب فاني أرى الحال بعيني وعلى ذلك يكون العمل ان شاء الله تعالى . وان سأل سيدى شكر الله احتفاءه وأبقى اهتمامه عن حال المماليك من تعب السفر وكد الطريق فهى بحمد الله دون مايظن وقد وصلنا المنكب تحت الحفظ والكلاءة محرزين شرف المساوقة لمراكب المولي يمن الله وجهته وكتب عصمته.واستقررنا جميعا بمحل القصبة تحت النعمة الثرة والأنس الكامل الشامل قرب الله أمد لقائكم .وأطلع علينا مايسر من تلقائكم . ولما بلغنا هذه الطية . وأنخنا المطية . قمنا بواجب تعريفكم على الفور قيام المبتداء ورفعنا مخاطبة المالك على الابتداء والسلام

﴿ مولده ﴾

في الرابع عشر من شوال عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة .

---

(١) قوله تفضل سيدى الخ سقط هنا شيء يظهر لمتأمله اه

﴿ محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد الاستجى ﴾

من أهل مالقة وأصله من استجه انتقل سلفه الى مالقة يكنى أبا عبد الله

﴿ حاله ﴾

كان من حملة العلم والغالب عليه الادب وكان من أهل الجلالة . ومن بيت أهل العلم والدين أقرأ ببلده وبعده بالجامع الكبير يتكلم على صحيح البخارى وانتقل آخر عمره الى غرناطة .

وقال الاستاذ هو من أبرع أهل زمانه فى الادب . وكان من أهل الجلالة . ومن بيت العلم والاصالة . نظم ونثر .

﴿ شعره ﴾

منقولا من خط الوزير أبى محمد عبد المنعم بن سماك وقد ذكر أشياخه فقال . الشيخ المتفنن الاديب البارع والشاعر المفلق قرأ على أشياخه وأقرأ وهو ابن عشرين سنة وكانت بينه وبين الاستاذ المقرئ الشهير أبى العباس الملقب بالوزعى قرابة وله قصيدة أولها « ما للنسيم لدى الاصيل عليلا » ومنها

حتى النسيم اذا ألمّ بأرضهم ... خلعوا عليه رقة ونحولا

وكان يقول كان الاستاذ أبو العباس يستعيدنى هذا البيت ويقول نعم أنت قريبى حقا وقدم على غرناطة سنة تسع وثلاثين وستمائة .

﴿ محنته ﴾

قال الاستاذ جرت له قصة نقد كلامه فيها على بعض أحاديث الكتاب من جهة استشهاد أدبى فأطلق عنان الكلام . وأكثر مما تأنفه ادراكات تلك الافهام . ولكل مقام مقال . ومن ذا الذى يسلم من قيل وقال . فكان ذلك سبب الانقطاع . ولم يؤت من قصر باع .

وانقطع الى غرناطة فتوفي أثر انقطاعه وانتقاله .

﴿ شعره ﴾

من ذلك في غرض يظهر من الابيات .

قفوا في ربا نجد ففي القلب مرساه … وغنوا اذا أبصرتم ثم مغناه
أما هذه نجد أما ذا هو الحمى … فهل عميت عيناه أم صم أذناه
دعوه يوفى ذكره بلسانه … ديون هواه قبل أن يتوفاه
ولا تسألوه سلوة في لزومه … رياضة من قد شاب في الحب فوداه
أيحسب من أبلى فؤادي بحبه … بأني أسلو عنه حاشاه حاشاه
الى متى عذر الصب الكئيب وفي له … فان معنّاه أحق بمعناه
وياسائقا عيس الغرام بلومه … وكل اذا يغشاه في الحب يخشاه
أرحها فقد ذابت من الوجد والسرى … ولم يبق الا عظمها وبقاياه
وياصاحبي عج بي على الخيف من منى … ويا ذا التقى من لي باني ألقاه
وعرج على وادي العقيق فانني … أسائل عمن كان بالامس سكناه
وقل لليال قد سلمن بعيشه … وعمر على رغم العذول قطعناه
هل العود أرجوه ام العمر ينقضي … فاقضي ولا يقضى الذي أتمناه

﴿ مشيخته ﴾

ومما يشتمل على أسماء شيوخه . ويدل على تبحره في الادب ورسوخه .
اجازته أبا الوليد اسماعيل الايادي وعندها يقول .

لاح لي عند نفحة بستان … من الورد ومن الياسمين
نظرة والتفاتة أتمنى … أن تكون حلت فيما يليني

ماهذه الأنوار اللائحة . والأنوار الفائحة . انى لأجد ريح الحكمة ولا أفند .

وأردمورد النعمة ولا أكتّد. أمسك داري ينهب. أم الصندل في الضرام الملهب. أم تفتّحت أبواب الجنة ففاح نسيمها. وتوضحت أسباب المنة فلاح وسيمها.

محياك أم نور الصباح تبسما ورياك أم نور الاقاح تنسما

فمن شم من ذا نفحة رق شده ومن شام من ذا لمحة راق مبسما

أجل. خلق الانسان من عجل. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليفهموا أسرار الحكم ويسمعوا. اذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا. يعني مجالس الذكر. ومآنس النظر والفكر. ومطالع المناظرة. ومواضع المحاضرة. فهذه بتلك. وقد انتظمت الجواهر النبوية في سلك. والآن حمي للمعاطرة وطيس. بين مسك المداد وكافور القراطيس. فياأيها العلم الاوحد. والعالم الذي لاتنكر أماناته ولاتجحد. قد حزمت علم الملوك. ولزمت طريق الحكم المسلوك. فلم تعد الا حكم الحكماء ولم تعد الا بعلم العلماء وقد قال حكيمهم الفاضل. وعظيمهم الذي لامناظر له ولا مناضل. اذا خدمت الأمراء فكن بين استلطاف واستعطاف. تجن المعارف والعوارف دانية القطاف. فتعلمهم. وكأنك تلثم الراحة منهم. وكأنك تروى عنهم. فاذا قرعت الباب وحويت من العلم اللباب فلا تبتعد. فقد فعل النحويون ذلك في يكرم ويعد. وان تقرأ على من هو دونك. وتستجز الاجازة من القوم العظام تر هم يقصدونك. فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمره جبريل عليه السلام بأن يقرأ على أبيّ بن كعب فقال له رضي الله عنه أمرك أن تقرأ عليّ (١). والعناية الربانية تنادي الي الي. فاذا قال لي من أحب يامولاي. واستعار لزينته حلاي. فما على

(١) قوله أمرك ان تقرأ على الذي في البخاري في باب مناقب أبيّ رضي الله عنه مانصه قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبيّ ان الله أمرني ان أقرأ عليك لم يكن الذين كفروا قال وسماني قال نعم قال فبكى اهـ

الحبيب من اعتراض .وللطبيب تصرف في المراض . قد يرحل المرء لمطلوبه . ويدأب في تحصيل مرغوبه . ولئن عجت متواضعا فار أبرمت في معاجك ، ولا ظلمت في سؤال نعجة الى نعاجك .فانه سر الله لايحل فيه الافشاء ، وحكمته البالغة والله يؤتي الحكمة من يشاء .وان لبست من التواضع شعارا .ولبست من الترفع شبها على السر المكتوم واشعارا ، فهذه الثريا من العجائب كتبت(١) رؤيا اذا ارتفعت في أعلا صعودها. واسما رايتها الخافقة وبنودها ، نهاية وجودها الحسي عدم ، وغاية وضعها الشبهي أن تشبه بقدم ، فاذا همت بالركوع . وشمت في المغرب ريح الوقوع . كان لها من السمو القدح المعلى ، وعادت قرطا تتزين به الاردان وتتحلى ،

في الشرق كاس وفي مغربها قرط وفي وسط السماء قدم

هذه آثار التواضع متلوة السور ، مجلوة السرر ، وكان بعضهم اذا أعطى الصدقة يعطيها ويده تحت يد السائل ، وهكذا جميع المسائل . لما سمع النبوة تقول اليد العليا خير من اليد السفلى . أراد أن يؤثر بالمقام الاعلى ، ولما أعطى أبو بكر ماله كله أعطى عمر النصف من المال لا لاحتفاظ على ماله ، ولكن ليقف لابي بكر في مقام القصور من كماله . تفويضا وتسليما ، وتنبيها لمن كان له قلب وتعليما . ورؤى الدار قطني يمسك أبوه بركابه فلا ينكر عليه فقيل له في ذلك فقال رأيته يبادر الى فضيلة فكرهت مخالفته ،

فوق السماء وفوق الزهر ماطلبوا حتى اذا ماأرادوا غاية نزلوا

والى هذا أوصل الله حفظك ، وأجزل من الخيرات حظك ، فانه وصلتني الكراسة المباركة ، الدالة على التفنن في العلوم والمشاركة ، فيها سطور الاجازة .

---

١١ (١) قوله كتبت الخ كذا في الاصل فليحرر

وصدور الحقيقة والمجازة . وألقى الى كتاب كريم . انه من أبى الوليد وانه بسم الله الرحمن الرحيم . فحرت . ووقفت وكأنى سحرت . وقلت ساحران. تظاهرا معا . واحدهما قاتلى فكيف اذا اجتمعا .

فلو كان رمحا واحدا لاتقيته   ولكنه رمح وثان وثالث

ومن لعبت بشميته المثانى . فاحر أن تطير به مثالث المغانى . وطار بى الشوق كل مطار . وقرأت سماء فكرتى سورة الانفطار . وكدت أصعد الى السماء توقدا. واختلط بالهواء ترددا .

كانت جواهرنا أوائل قبل ذان(١)   فالآن صارت بالتحول تبيدان

وجدت وراء الحسن وهى كثيفة   فوجودها للآن في الاذهان

ولم يكف أن جدت بالحسن المطلوب . حتى أمرت أن أنظم على ذلك الاسلوب. وأن أتبع ذلك النثر البديع وذلك النظم العجيب . للمتنبي أو حبيب . وذاك التصوف الرقيق. للحارث بن أسد ذى التحقيق . أما الحديث فمالك يقطع تلك المسالك . الا أنه ليس مع أحد فيه دليل . أستغفر الله الا الخليل . لكن أصول الدين مجرية تلك المبادى لعلة جمع كل منمنمة جميله . وبترك الفضيله لاترد فضيلاته فمن الرديف (٢) وقد ركب غضنفرا . والمدعى صفة فضل وكل الصيد في جوف الفرا . من يرمى نفسه في البحر يغرق . ومن يطلع الشجر يشرق . وهل يبارى التوحيد بعمل . أو يجارى البرق بجمل . وذلك قد انتهى . الى سدرة المنتهى وهل انبرى . ليلطم خده في الثرى . لاتقاس الملوك بالحدادين . ولا حكماء اليونان بالفدادين . في طريق الفلك يسلك . وعلى الفلك الاثير سيملك٣

(١) قوله كانت جواهرنا الخ وقع كذا فى الاصل محرفا غير موزون اه

(٢) فمن الرديف الخ هكذا في الاصل

أين الغد من الامس . وظلمة الغسق من وضح الشمس . ولولا تغشى غمام فضلك الصيب . لتمثلت بقول أبى الطيب

اذا شاء أن يلهو بلحية أحمق أراه غبارى ثم قال له الحق

أترى أن أجارى أعوج . بمقرف أهوج . وأبارى ذلك العقال (١) . بجحش في عقال . ظهر في هذه الظلمة ذلك الضياء . وبضدها تبيين الاشياء .

وما يزكو بياض العاج حتى يضاف الى بياض الآبنوس

ألفاظ تذوب رقه . واغراض تملك من الكريم رقه . الزهر والزهر بين بنيان وبيان . والدر والدرر بين لسان واحسان .

وقالوا ذاك سحر باهلى فقلت وفي مكان الهاء باء

وأما محاسن أبى الوليد . فيقصر عنها أبو تمام والوليد .

معان لبسن ثياب الجمال وهزت لها الغانيات القدودا

كسون عبيداً ثياب عبيد وأضحى لبيد لديها بليدا

وكيف اعجب من اجرائك هذه الجياد . وأياديك من اياد . ورثت هذه المساعدة . من قس بن ساعدة . اجدك انت الذى قال رسول الله صلى الله عايه وسلم كانى انظر اليه في سوق عكاظ على جمل أورق وهو يقول ايها الناس مطر ونبات . وآباء وامهات . الى قوله

في الذاهبين الاولين الى القبور لنا بصائر

لما رأيت مسيرهم والركب في الفلوات سائر

ايقنت انى لامحا لة حيث صار القوم صائر

رجع الحديث الاول . الى ماعليه المعول . سألتنى أيها السيد الذى

(١) قوله ذلك العقال كذا في الاصل

يجب اسعافه . أن ارغم أنف القلم حتى يجرى رعافه . وان اكحل جفون الاوراق بمداد الاقلام. واجمع بالطروس والمداد بين اصباح واظلام . واطرز بياض السوسن بخضرة الآس. وابرز العلم الابيض تحت راية بنى العباس . فقمت مبادرا ممتثلا. وجلت في ميدان الموافقة متمثلا .

لبيك لبيك أضعافا مضاعفة ... انى أجبت ولكن داعى الكرم

انى من المجد أمر لا مرد له ... أمشى على الراس فيه لا على القدم

دعاء لله مجاب . ونداء ليس له حجاب .

كتبت ولو أننى أستطيع ... لاجلال قدرك بين البشر

قددت اليراعة من أنملى ... وكان المداد سواد البصر

نعم أجزت سيدى الفقيه الاجل الخطيب الاكرم العالم العلم الاوحد الاكمل الحسيب الاحفل الاطول أبا الوليد بن الفقيه الاجل الموقر الاكرم المبارك الاطهر . المرحوم أبى زكريا يحيى بن سعد بن قزى ٢ الايادى الغزمونى وبنيه السادات النجباء المباركين أبا القاسم أحمد وأبا الحسن عليا أقر الله بهم عين المجد. وأطالعهم بدورا فى مطالع السعد . ولا برحوا في مكارم يجنون نوارها . ويجتلون أنوارها . وتفيض عليهم العناية الالهية نهرها الكوثر وأنهارها . جميع ما رويته قراءة وسماعا واجازة ومناولة من العلوم على اختلافها . وتباين أصنافها . بأى وجه رويته. وعلى أى وجه ووصف تقلدته وترديته . وكذلك أجزتهم بجميع ما قلته وأقوله من مرسوم . ومنثور ومنظوم . وتصرفت فيه من منقول ومفهوم . وقصائدى المسماة بالروحانيات . ومعشراتى الحسنات ٣ . وما نظمته من الوتريات . وشرحى شعر أبى الطيب المسمى بظهور الاعجاز . بين الصدور والاعجاز . وكتابى المسمى شمس البيان . في لمس

البنان . والزهرة الفائحة . في الزهرة اللائحة . ونفح الكمامات . في شرح المقامات .
واقتراح المتعامين . في اصطلاح المتكامين . وكتاب التصور والتصديق . في
التوطئة لعلم التحقيق . ورقم الحلل . في نظم الدول . ومفتاح الاحسان . فى
اصطلاح الاحسان . وما أنشأته من السلطانيات نظما ونثرا . وخطابة وشعرا
والله تعالى يجعل أعمالنا خالصة لوجهه بمنه وكرمه . فايقل الفقيه الأجل
وبنوه المباركون رضى الله عنهم . أنبأنا أو أخبرنا أو حدثنا أو ما شاؤا من
ألفاظ الروايات . بعد تحرى الشروط المرعية في الاجازات . وان ذهبوا حفظ
الله كالهم . وبلغهم في الدارين آمالهم . الى تسمية من لى من المشائخ قدس الله
أرواحهم . وزحزح عن النار أشباحهم .

فمنهم الاستاذ الخطيب الكبير العالم العلم الفاضل الجليل البقية الصالحة
آخر ذوى الانباء وخاتمة الفضلاء أبو جعفر أحمد بن يحيي بن ابراهيم الحميرى
القرطبي الدار رضى الله عنه قرأت عليه بقرطبة شعر أبى الطيب قراءة فهم
لمعانيه واعراب لألفاظه وتحقيق للغته وتنقير عن بديعه وكذلك قرأت عليه
اكثر شعر أبى تمام وسمعت عليه كتاب الكامل لابى العباس المبرد
ومقامات التميمى كان يرويها عن منشئها وكانت عنده بخط أبى الطاهر وتفقهت عليه
تبصرة الضمرى وكان على شيخوخته رحمه الله ثابت الذهن مقبل الخاطر حافظا اللغة

يروع مكانة ويذوب ظرفا فما تدرى أشيخ أم غلام

وكنا نأتيه بمقاطيع الشعر فيصلحها لنا ويقف على مانسخناه منها فنجده أثبت منا .
ولقد أنشدته يوما في فتى مفقود العين الا انها اليسرى .

لم تذو احدى زهرتيه ولا انثنت عن نورها ببديع ماتحويه
لكنه قد رام يغلق جفنه ليصيب بالسهم الذى يرميه

فاستعادهما وحفظهما ولم يزل رحمه الله يعيدهما استحسانا لهما متى جرى ذكرى.
وكان يروى عن الامام المأزرى بالاجازة وعن القاضى أبى مروان بن مسرة وعن الأستاذ عباس وعن أبى عبد الله بن أبى الخصال.

ومنهم الفقيه الاجل العالم العدل المحدث الاكمل المتفنن الخطيب القاضى أبو محمد بن حوط الله سمعت عليه كتبا كثيرة بمالقة بقراءة الفقيه الاستاذ ابى العباس بن غالب ولقيته بقرطبة وهو قاضيها وحدثنى عن جدى وعن جملة شيوخ وله برنامج كبير وأخوه القاضى الفاضل أبو سليمان منهم.
ومنهم الفقيه الاجل العالم العلم الاوحد النحوى الاديب المتفنن أبو على عمر ابن عبد المجيد الازدى قرأت عليه القرآن العزيز مفردا وكتاب الجمل والايضاح وسيبويه تفقها وما زلت مواطنا له الى ان توفي رحمه وكان فريد عصره فى الذكاء ولم يكن فى طلبة الاستاذ أبى زيد السهيلى أنجب منه.

وقد قال الاستاذ أبو القاسم السهيلى للامام المنصور رضى الله عنه هو أقعد لكتاب سيبويه منه. وقال لى يوما وقد نظر الى طالب يصغى بكايته الى ثان فقلت ماذا فقال لى.حب الشيء يعمى ويصم. فقلت (ويعيد الصبح مدلهم) فاستحسنه.

ومنهم الفقيه الاجل الاديب الاريب الكامل اللغوى الشهير أبو على ابن سيرى وكان من طلبة أبى القاسم السهيلى وممن نبغ صغيراً وهو الذى أنشد في طفوليته السيد أبا اسحق الكبير باشبيلية.

قسم بحمص وانه لعظيم   لهى المقام وأنت ابراهيم

وكان بالحضرة الاستاذ أبو القاسم السهيلى فقام عند اتمامه القصيدة وقال لهذا كنت أحسيك الحسا. وأواصل في تعليمك الصباح بالمسا. وقد

وانشد هذا الفقيه أمير المؤمنين أبايعقوب .

أمعشر أهل الارض في الطول والعرض   بهذا أنادى في القيامة والعرض
واياك يعنى ذو الجلال بقوله   كذلك مكنا ليوسف في الأرض

ومنهم الفقيه الاجل العالم المحدث الحافظ السيد أبو محمد القرطبي قرأت عليه القرآن بالروايات مفردات وتفقهت عليه في الجمل والاشعار وأجازني جميع مارواه وكذلك فعل كل واحد ممن تقدم وكان رحمه الله آخر الناس علما ونزاهة وحسن خلق وجمال سمت ووقار واتقان ضبط وجودة حفظ .

ومنهم الفقيه الاجل الحاج الفاضل الشهير في كتابته المحدث الورع الزاهد الطاهر ابو عبدالله بن حسين بن صاحب الصلات الانصاري وعليه كان ابتدائي في القراءة وكان مبارك التعليم حسن التفهيم شديد التواضع .

ومنهم الفقيه الاجل الورع الفاضل المحدث الحاج الحليم المجاب الدعوة الميمون النقيبة الاواب رحمة الله عليه . والسلام الاتم عليكم ورحمة الله وبركاته . قال ذلك وكتبه العبد المعترف بذنبه . الراجي رحمة ربه . محمد بن عبدالله الحميري ثم الاستجي في أواسط شعبان المكرم من عام إحد وأربعين وستمائة

﴿ وفاته ﴾

من خط الوزير أبي محمد عبد المنعم بن سماك قال قدم غرناطة أظن سنة تسع وثلاثين وستمائة وشكا علة البطن مدة ثمانية أشهر بدار أبي رحمه الله الى ان توفي رحمه الله ودفن بروضة الفقيه سهل بن مالك .

﴿ محمد بن أحمد بن الحداد الوادى آشي ﴾

يكنى أبا عبدالله .

﴿ حاله ﴾

كان شاعرا منقطع القرين فيه مضطلعا بذلك المعنى سكن المرية واشتهر بمدح رؤسائها من بني صمادح .

وقال ابن بسام كان أبو عبد الله هذا شمس ظهيرة . ومخبر خير وسيرة . وديوان تعاليم مشهورة . وضح في طريق المعارف وضوح الصبح المتهلل . وضرب فيها بقدح ابن مقبل . الى جلالة مقطع . وأصالة منزع . ترى القلم قيما على أشعاره . مانسا في منازعه وآثاره .

﴿ تآليفه ﴾

ديوان شعره كبير معروف . وله في العروض تصنيف

﴿ بعض أخباره ﴾

حدث بعض المؤرخين مما يدل على ظرفه أنه فقد سكنا عزيزا عليه واحتاج الحال الى تكلف سلوة فلما حضر الندماء وكان قد رصد خسوف القمر فلما حقق أنه قد ابتدأ أخذ العود وغنى .

شقيقك غيب في لحده	وتشرق يابدر من بعده
فهلا خسفت وكان الخسو	ف حدادا لبست على فقده

وجعل يرددها ويخاطب البدر فلم يتم ذلك الا وقد اعتراه الخسوف فعظم من الحاضرين التعجب . قال وكان قد كلف في صباه بصبية من الروم نصرانية ذهبت بلبه وهواه تسمى نويرة فتغنى فيها وكثر تشبيبه بها . ومن شعره في الغرض المذكور

حديثك ما أحلى فزيدى وحدثى	عن الرشأ الفرد المثنى المثلث
ولا تنس من ذكراه بالقلب مؤنسى	وان بعث الشعراء من كل مبعث

وأقسم بالانجيل انى شائق ... وناهيك من صب محق محنث
ولابد من قصى على القس قصة ... عساه يغيث المدنف المتغوث
ولم يأتهم عيسى بدين قساوة ... فيقسو على شيء ويلهو لمكرث
وقلبي من حلى التجلد عاطل ... هوى في غزال ذى نفار مرعث
فيصبح سرى كالصباح مشهرا ... ويمسى حديثى عرضة المتحدث
ويغدو بذكرى بين كأس وروضة ... ويشدو بشعرى بين مثنى ومثلث

ومن شعره في الامداح الصمادحية

لعلك بالوادى المقدس شاطىء ... وكالعنبر الهندى ماأنت واطىء
وانى أرانى واجداً عرف ريحهم ... وروح الجوى بين الجوانح شاطىء

« محمد بن ادريس بن على بن ابراهيم بن القاسم »

من اهل جزيرة شقر يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن مرج الكحل

« حاله »

كان شاعرا مفلقا رقيق الغزل . قال الاستاذ أبو جعفر كان شاعرا مطبوعا حسن الكتابة ذاكرا للأدب متصرفا فيه . وقال ابن عبد الملك وكانت بينه وبين طائفة من اهل عصره مخاطبات ظهرت فيها اجادته وكان مبتذل اللباس على هيئة أهل البادية ويقال انه كان أميا

« من أخذ عنه »

روى عنه أبو جعفر بن عثمان الوراد وابو الربيع بن سالم وابو عبدالله بن الأبار وابن عسكر وابن ابى القار وابو محمد عبد الرحمن بن برهلة وأبو الحسن الرعينى

« شعره ودخوله غرناطة »

قال في عشية بنهر الغنداق من خارج بلدنا لوشة بنت الحضرة

والمحسوب من دخلها انه دخل البيرة وقد قيل ان نهر الغنداق من أحواز برجة وهذا الخلاف داع الى ذكره

عرّج بمنعرج الكثيب الاعفر ... بين الفرات وبين شط الكوثر
ولتغتبقها قهوة ذهبية ... من راحتي أحوى المراشف أحور
وعشية قد كنت أرقب وقتها ... سمحت بها الايام بعد تعذر
قلنا بهذا مالنا في روضة ... تهدى لنا شقها شميم العنبر
والدهر من قدم يسفّه رأيه ... فيما مضى فيه بغير تكدّر
والطير تشدو والاراكة تنثني ... والشمس ترقص في قميص أصفر
والروض بين مذهب ومفضض ... والزهر بين مدرهم ومدنر
وكأنه وكأن خضرة شطه ... سيف يسل على بساط أخضر
وكأنما ذاك الحباب فرنده ... مهما طفا في صفحة كالجوهر
وكأنه وجهاته محفوفة ... بالآس والنعمان خد معذر
نهر يهيم بحسنه من لم يهم ... ويجيد فيه الشعر من لم يشعر
مااصفرّ وجه الشمس عند غروبها ... الا لفرقة حسن ذاك المنظر

ولا خفاء في براعة هذا النظم . وقال أيضا .

أرأيت جفونك مثله من منظر ... ظل وشمس مثل خد معذر
وجداول كأراقم حصباؤها ... كبطونها وحبابها كالاظهر

وهذا تتميم عجيب لم يسبق اليه ثم قال .

وقراءة كالعشر بين خميلة ... سالت مذانبها بها كالاسطر
فكأنها مشكولة بمصندل ... مع يانع الازهار أو بمعصفر

أمل بلغناه بهضب حديقة | قد طرزت بيد الغمام الممطر
فكأنه والزهر تاج فوقه | ملك تجلى في بساط أخضر
راق النواظر منه رائق منظر | يصف النضارة عن جنان الكوثر
كم قاد خاطر خاطر مستوفز | وكم استفز جماله من مبصر
لو لاح لى فيما تقدم لم أقل | عرج بمنعرج الكثيب الاعفر

قال أبو الحسن الرعينى وأنشدنى لنفسه

وعشية كانت قنيصة فتية | ألفوا من الادب الصريح شيوخا
فكأنما العنقاء قد نصبوا لها | من الانحاء(١) الى الوقوع فخوخا
شملتهم آدابهم فتجاذبوا | سر السرور محدثا ومصيخا
والورق تقرأ سورة الطرب التى | ينسيك منها ناسخا منسوخا
والنهر قد صفحت به نارنجة | فتيممت من كان فيه منيخا
فتخالهم خلل السماء كواكبا | قد قارنت بسعودها المريخا
خرق العوائد في السرور نهارهم | فجعلت أبياتى له تاريخا

ومن ابياته في البديهة قوله

وعندى من مراشفها حديث | يخبر أن ريقتها مدام
وفي أجفانها السكرى دليل | وما ذقنا ولا زعم الهمام
تعالى الله ماأجرى دموعى | اذا عنت لمقلتى الخيام
وأشجانى اذا لاحت بروق | وأطربنى اذا غنت حمام

ومن قصيدة

(١) قوله من الانحاء يقرأ بسكون نون من ونقل حركة الهمزة الى اللام قبلها لاجل الوزن تأمل اه من هامش نفح الطيب

عذيرى من الآمال خابت قصودها ونالت جزيل الحظ منها الاخابث

وقالوا ذكرنا بالغنى فأجبتهم خمولا وما ذكر مع الخبث ماكث

يهون علينا أن يبيد أثاثنا وتبقى علينا المكرمات الاثايث

وما ضر أصلا طيبا عدم الغنى اذا لم يغيره من الدهر حادث

وله يتشوق الى أبى عمرو بن أبى غياث

أبا عمرو متى تقضى الليالى بلقيا كم وهن قصصن ريشى

أبت نفسى هوى الاشر يشا ويابعد الجزيرة من شريش

وله من قصيدة

طفل المساء وللنسيم تضوع والأنس ينظم شملنا ويجمع

والزهر يضحك من بكاء غمامة ريعت لشيم سيوف برق تلمع

والنهر من طرب يصفق موجه والغصن يرقص والحمامة تسجع

فانعم أبا عمران واله بروضة حسن المصيف بها وطاب المربع

ياشادن البان الذى دون النقا حيث التقى وادى الحمى والاجرع

الشمس يغرب نورها ولربما كسفت ونورك كل حين يسطع

ان غاب نور الشمس لسنا نتقى بسناك ليل تفرق يتطلع

أفلت فناب سناك عن إشراقها وجلا من الظلماء مايتوقع

فأمنت ياموسى الغروب ولم أقل وودت ياموسى لو انك يوشع

وقال

ألا بشروا بالصبح من كان باكيا أضربه الليل الطويل مع البكا

ففى الصبح للصب المتيم راحة اذا الليل أجرى دمعه واذا شكا

ولا عجب أن يمسك الصبح عبرتى فلم يزل الكافور للدم ممسكا

ومن بديع مقطوعاته .

مثل الرزق الذى تطلبه مثل الظل الذى يمشى معك
أنت لا تدركه متبعا فاذا وليت عنه تبعك

وقال

دخلتم فافسدتم قلوبا بملكها فأنتم على ماجاء في سورة النمل
وبالعدل والاحسان لم تتخلقوا فانتم على ماجاء فى سورة النحل

وقال أبو بكر محمد بن محمد بن جهور رأيت لابن مرج الكحل مرجا أحمر قد أجهد نفسه فى خدمته فلم ينجب فقلت .

يامرج كحل ومن هذى المروج له ما كان أحوج هذا المرج للكحل
ماحمرة الارض من طيب ومن كرم فلا تكن طمعا في رزقها العجل
فان من شأنها اخلاق آملها فما تفارقها كيفية الخجل

فقال مجيبا بما نصه .

ياقائلا اذ رأى مرجى وحمرته ما كان أحوج المرج للكحل
هو احمرار دماء الروم سيّلها بالبيض من مرّ من آبائى الاول
أحببته أن حكى من قد فتنت به في حمرة الخد أو اخلافه أملى

﴿ وفاته ﴾

توفي ببلده يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الاول سنة أربع وثلاثين وستمائة ودفن في اليوم بعده .

﴿ محمد بن محمد بن احمد الانصارى ﴾

من أهل مرسية يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن الجنان .

﴿ حاله ﴾

كان محدثا راوية ضابطا كاتبا بليغا شاعراً بارعا رائق الخط دينا فاضلا خيراً زكيا استكتبه بعض أمراء الاندلس فكان يبرح من ذلك ويضيق منه ثم خاصه الله تعالى منه وكان من أعاجيب الزمان في افراط القماءة حتى يظن رائيه الذى استدبره انه طفل ابن ثمانية أعوام أو نحوها متناسب الخلقة لطيف الشمائل وقورا خرج من بلده حين تمكن العدو من قنصة سنة ٦٠٤ فاستقر باريولة الى ان استدعاه بسبتة الرئيس ابو على بن خلاص فوفد عليه فأجل وفادته وأجزل افادته وحظى عنده حظوة تامة ثم توجه الى أفريقية فاستقر ببجاية وكانت بينه وبين كتاب عصره مكاتبات ظهرت فيها براعته.

(مشيخته)

روى ببلده وغيرها عن أبى بكر بن خطاب وأبى الحسن سهل بن مالك وابن قطرال وأبى الربيع بن سالم وأبى عيسى بن أبى السداد وأبى على الشلوبين وغيرهم

(من روى عنه)

روى عنه صهره أبو القاسم بن نبيل وأبو الحسن

(شعره)

قال القاضى ابو عبد الله بن عبد الملك وكان له في الزهد ومدح النبي صلى الله عليه وسلم بدائع ونظم في المواعظ للمذكرين كثيراً فمن ذلك قوله في توديع رمضان وليلة القدر .

مضى رمضان وكانى(١) به قد مضى وغاب سناه بعد ان كان أومضا

(١) قوله مضى رمضان البيت من بحر الطويل وشطره الاول غير موزون اه

فياعهـده قد كان اكرم معهـد ... وياعصره اعززْ عليّ أن انقضى
المّ بنا كالضيف فى الطيف زائرا ... فخيم فينـا سـاعة ثم قوضـا
فياليت شعرى اذنوى غربةالنوى ... أبالسخط عنا قدتولى أم الرضا
قضى الحق فينا بالفضيلة جاهدا ... فأى فتى فينا له الحق قد قضى
وكم من يد بيضاء أسدى لذى التقى ... بتوب وفيهـا للصحائف بيّضا
وكم حسنا قد زادحسنا وكم ردى ... محاه وبالاحسان والحسن عوّضا
فلله من شهر كريم تعرضت ... مكارمه الا لمن كان أعرضا
فنى نعيه أظهر شجونك معلنـا ... وفي اثره أرسل جفونك فيّضا
وقف بثنيات الوداع فانهـا ... تحضض مشتاقا اليها تمحضا
وان قضيت قبل التفرق وقفـة ... فقضيها من ليلة القـدر ماقضا
فياحسنها من ليلة جل قدرهـا ... وحض عليها الهاشمىّ وحرّضا
لعل بقايا الشهر وهى كريمة ... تبين سرا في الاواخر اغمضـا
وقـد كان اصفى وده أن يفضـه ... ولكن تلاحى اثنان فيها فغيضا
وقال اطلبوها تسعدوا بطلابهـا ... فحرك أرباب القلوب وانهضا
جزاه الله العـرش خيـر جـزائه ... واكرمنا بالعفو منـه وبالرضا
وصلى عليه من نبى مبارك ... رؤف رحيم للرسالة مرتضى
له غرة اعلا من الشمس منزلا ... وعزمته أمضى من السيف منتضا
له الذكر يهمى فض مسك ختامه ... تارج من ريا فضائله الفضا
عليه سلام الله ما انهـل ساكب ... وذهّب موشى الرياض وفضضا

﴿ كتابته ﴾

وكتابته شهيرة تضرب بهـا الامثـال قالوا لمـا جعـل امير المؤمنين

ابو عبد الله محمد بن يوسف البيعة لابنه الواثق بالامارة من بعده تولى انشاءها وجعل الحاء المهملة سجعها مردفا اياها بالالف نحو صباحا وصلاحا وما أشبه ذلك وطال مجموعها فناهزت الاربعين وطاب مسمعها فأحرزت بغية المستمعين . فكتب اليه ابو المطرق بن عميرة برسالته الشهيرة يداعبه فى ذلك وهى التى اولها ·

تحييك الاقلام تحية كسرى . وتقف الأفهام دون مداك حسرى . ومنها فى الغرض . ومالك أمنت تغير الحالات . فشننت غارتك على الحاآت . ونفضت عنها المهارق · وبعثت في طلبها السوابق · ولقطتها من الافواه · وطلبتها بين الشفاه . حتى شهد اهل الشان · بتزحزحها عن ذلك المكان . وتواترت بالحلوق · ولو تغلغلت الى العروق · لآثرتها جيادك . واقتنصها قلمك ومدادك ·

فأجابه بما نصه

ماهذه التحية الكسروية وما هذا الرأى وهذه الروية · اتنكبت من الاقلام او تبكيت من الاعلام · او كلا الامرين توجه القصد اليه · وهو الحق مصدقا لما بين يديه والا فعهدى بالقلم يتسامى عن عكسه · ويترامى للغاية البعيدة بنفسه · فتى لانت انابيبه للعاجم · ودانت أعاربيه للاعاجم · واعجبا لقد استنوق الجمل · واختلف القول والعمل · لامر ماجدع انفه قصير · وارتد على عقبه الاعمى أبو بصير · أمس أستسقى من سحابه فلا يسقيني واستشفي بأسمائه فلا يشفيني . واليوم يحلني محل انوشروان · ويشكو منى شكوى الزيدية من بنى مروان · ويزعم انى أبطلت سحره ببئر ذروان . ويخفى في نفسه ماالله مبديه · ويستجدى بالاثر ماعند مستجديه · فمن أين جاءت هذه الطريقة المتبعه · والشريعة المبتدعه · ايظن ان معماه لاينبك · وانه لاينجلى هذا الشك

هل ذلك منه الا امحاض التيه . واحماض تفتيه . ونشوة من خمر الهزل . ونخوة من ذي ولاية امن من العزل . تالله لولا محله من القسم . وفضله في تعليم النسم . لأسمعته ماينقطع به صماه . واودعته ماينصدع به صدفه . واشرت بطرف المشرفي وحده . واشرت الى تعاليه عن اللعب بجده . ولكن هو العلم الاول . فقوله على احسن الوجوه يتأول . ومعدود في تهذيبه . كل ماالسانه يهذي به . وما انسانى الا الشيطان أياديه أن أذكرها . وانما أقول ليت التحية كانت لى فأشكرها . ولا عتب الا على الحاء . المبرحة بالبرحاء . فهى التى اقامت قيامتى في الأنديه . وقامت على قيام المتعديه . يتظلم وهو عين الظالم . ويلين القول وتحته سم الاراقم . ولعمر البراعة وما رضعت . والبراعة وما صنعت ماخامرنى هواها . ولا كلفت بها دون سواها . ولقد عرضت نفسها على مرارا . فأعرضت عنها ازورارا . ودفعتها عنى بكل وجه تارة بلطف واخرى بنجه . وخفت منها السآمة . وقات انكحى أسامه . فرضيت منى بأبى جهل وسوء ملكته وابن ابى سفيان وصعلكته وكانت اسرع من ام خارجة للخطبة . واسمج من سجاح في استنجاح تلك الخطبة ولقد كنت اخاف من انتمال الطباع في عشرتها . واستثقال الاجتماع من عترتها . وارى من الغبن والسفاه اخذها وترك بنات الافواه والشفاه . اذ هى ايسر مؤنه . واكبر معونه فغالطنى فيها ان كانت بمنزل تتوارى صونا عن الشمس ومن نسوة خفرات لاينطقن الا بالهمس . ووجدتها اطوع من البنان للكف والعنان للكف والمعنى للاسم . والمغنى للرسم . والظل للشخص . والمستدل للنص . فما عرفت منها الا خيرا ارضاه . وحسبتها من الحافظات للغيب بما حفظ الله . فعجبت لها الآن كيف زلت

نعلها . ونشزت فنشرت بعد ماا ستكنها بعلها . واضطربت في رأيها اضطراب المختار أبي عبيـد . وضربت في الارض تسعى على بكل مكر وكيد . وزعمت ان حرف الجيم خدعها . والان أخدعها . وأخبرها أن سيبلغ بخـبرها الخابور . وأحضرها لصاحبها كما أحضر بين يدى قيصر سابور . فقـد جاءت افـكا وزورا . وكثرت من أهلها منزورا . وكانت كالقوس أرنت وقد أصمت القنيص . والمراودة قالت ماجزاء وهي التى قدت القميص . وربمـا يظن بها الصدق وظن الغيب ترجيم . ويقال لقد خفضت الحاء بالمجاورة لهذا الامر الجسيم . وتنتصر لها التي خيمت بين النرجسة والريحانه . وختمت السورة باسم جعلت ثانيه أكرم نبي على الله سبحانه . فان امتعضت لهـذه التـكملة . تلك التي سبقت بكلمتها بشارة الـكلمة . فأنا ألوذ بعـدلها . وأعوذ بفضلها . وأسألها أن تقضى قضاء مثلها . وتعمل بمقتضى فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها على أن التي قد ابدت مينها . ونسيت الفضل بيني وبينها . ان قال الحـكمان منها كان النشـوز . عادت حرورية العجوز . وقالت التحكيم في دين الله لايجوز . فعند ذلك يحصحص الحق . ويعلم من الاولى بالحـكم والاحق . ويصيبها ماأصاب أروى . من دعوة سعدية حين الدعوى . ويا ويحها أرادت ان تجنى عليّ فجنت لى . وأناخت لى مركب السعادة وما ابتغت الا ختلى . فأتى شرها بالخير وجاء النفع من طريق ذلك الضير . أتراها علمت بمـا يثيره اعوجاجها . وينجلى عنه عجاجها . فقد أفادت عظيم الفوائد . ونظيم الفرائد . ونفس الفخر . ونفيس الدر . وهى لاتنكر أن كانت من الاسباب ولاتذكر الا يوم الملاحاة والسباب . وانمـا يستوجب الشكر جسيما . والثناء الذى يتضوع نسيما . الذى شرف اذ اهدى اشرف السحا آت . وعرف بمـا

كان من انتحاء تلك الحاء المذمومة في الحاآت . فانه وان ألمّ بالفكاهة . بما املى من البداهه . وسمى باسم السابق السكيت . وكان من امر مداعبته كيت وكيت . وتلاعب بالصفات تلاعب الصفاح والصبا بالبانه . والصبا بالعاشق ذى اللبانه . فقد اغرب بفنونه . وأغرى القاب بفتونه . ونفث بخفية الاطراف . وعبث بالكلام المشقق الاطراف . وعلم كيف يمحض البيان . ويخلص العقيان . فمن الحق ان اشكره على أياديه البيض . وان آخذ لفظه من معناه في طرف النقيض . تالله أيها الامام الاكبر . والغمام المستمطر والحبر الذى يشفى سائله . والبحر الذى لا يرى ساحله . ماأنا المراد بهذا المسلك . ومن أين حصل النور لهذا الحلك . وصح أن يقاس بين الحداد والملك . انه لتواضع الاعزه . وما يكون عند الكرام من الهزه . وتحريض الشيخ للتلميذ . وترخيص في اجازة الوضوء بالنبيذ . لو حضر الذى قضى له بجانب الغرب امر البلاغة . وارتضى ماله في هذه الصناعة من حسن السبك لحليها والصياغه . وأطاعته فيما اطلعته طاعة القوافي الحسان . واتبعته فيما جمعته لكن بغير احسان . لأذعن كما اذعنت . وظعن عن محل الاجادة كما ظعنت وانى يضاهى الفرات بالنغبه . ويباهي بالفلوس من أوتى من الكنوز ماان مفاتحه لتنوء بالعصبه . وأى حظ للكلالة بالنشب . وقد اتصل للورثة عمود النسب . هيهات والله المطلب . وشتان الدر والخشلب . وقد سيم الغلب . ورجع الى قيادة السلب . وان كنا ممن تقدم لشدة الظمأ الى المنهل . وكمن اقدم الى عين تبوك بعد النهى للعلل والنهل . فقد ظهرت بعد ذلك المعجزة عيانا . وملئ ماهنالك جنانا . وماتعرضنا باساءة الادب واللوم ولكن علمنا ان آخر الشرب ساقى القوم . وان اسهبنا فما نلنا رتبة ذلك الايجاز . وان

أعرقنا فهوانا في الحجاز . فاكم قصيرات الحجال . ولنا قصيرات الخطا
في هذا المجال . واكثارنا في قلة . وجارنا من الفقر فى ذلة . ومن
لنا بواحدة يشرق ضياؤها . ويخفى النجوم خجلها منهاوحياؤها . ان لم تطل
فلانها للفروع كالاصل . وفي الجموع كليلة الوصل . فلو سطع نورهاالزاهر
ونورها الذى تطيب منه الانوار الازاهر . لسجدت النيران ليوسف
ذلك الجمال . ووجدت نفحات رياها فيإعطاف الجنوب والشمال . وأسرعت
نحوها النفوس اسراع الحجيج يوم النفر . وسار خبرها وسرى فصار
حديث المقيمين والسفر . وما اظن بتلك الساخرة في تجليها . الا الساحرة بتجنيها
اذ كانت ربيبتها . بل ربيئتها . هذه التى سبقتنى لما سقتنى بسينها ووجدت
ريحها لما فصلت من مصر عيرها . وحين وصلت لم يدلنى على ساريها الاعبيرها
وكم رامت ان تستتر عنى بابيل حبرها في هذه المغانى . فأغرانى بهاؤها وكل
مغرم مغرى ببياض صبح الالفاظ والمعانى . وهل كان ينفعها تلفحها بمرطها
وتلفعها اذ نادتها المودة . قد عرفناك ياسوده . فأقبلت على شم نشرها وعرفها
ولثم سطرها وحرفها . وزودتها الثناء الحافل . وقرأتها فزينت بها المحافل .
ورمت أمر الجواب . فعزنى في الخطاب . لكن رسمت هذه الرقعة التى هى
لديكم بعجزى واشيه . واليكم منى على استحياء ماشيه . وان رق وجهها فما
رقت لها حاشيه . فمنوا بقبولها على عللها . وانقعوا بماء سماحتكم حر غللها .
فانها وافدة من استقر قلبه عندكم وثوى . واقربانه يلقط في هذه الصناعة
ما يلقى المساكين من النوى . بقيتم ياسيدى للفضل والاغضاء . ودمتم غرة
في جبين السمحة البيضاء . واقتضيتم السعادة المتصلة مدة الاقتضاء . بمن الله
سبحانه انتهى . ومحاسنه عديدة . وآماده بعيدة .

﴿ دخوله غرناطة ﴾

دخلها مع المتوكل مخدومه أو وجده بها

(من روى عنه)

روى عن سهل بن مالك.

(وفاته)

قال الاستاذ في الصلة انتقل الى بجاية فتوفى بها في عشر وستمائة

﴿ محمد بن مسعود بن خالصة بن فرج بن مجاهد بن أبي الخصال الغافقي ﴾

الامام البليغ المحدث الحجة يكنى أبا عبد الله أصله من فرغليط من قطر شقورة من كورة جيان وسكن قرطبة وغرناطة.

(حاله)

قال ابن الزبير عند ذكره ذو الوزارتين أبو عبد الله من أهل المعارف الجمة والاتقان لصناعة الحديث والمعرفة برجاله والتقييد لغريبه واتقان ضبطه والمعرفة بالعربية والادب والنسب والتاريخ متقدما في ذلك كله أما الكتابة والنظم فهو امامها المتفق عليه. والمتحاكم فيهما اليه. ولما ذكره أبو القاسم الملاحى بنحو ذلك قال لم يكن في عصره مثله مع دين وفضل وورع قال أبو عمر بن الامام الاشجعى فى سمط الجمان لما ذكره. البحر الذى لايجتاج ولا يشاطر. والغيث الذى لايساجل ولا يقاطر. والروض الذى لايفاوح ولا يعاطر. والطود الذى لايزاحم ولا يخاطر. الذى جمع اشتات المحاسن. وورد من الفضائل على ماء غير ملح ولا آسن. وكثرت فواضله فاملت الفضائل والمحاسن. الذى قصرت البلاغة على محتده. والقيت أزمة الفصاحة في يده وتشرفت الخطابة والكتابة باعتزائهما اليه فتل كتائبهما. وأرسل كائنهما. وأوضح

أسرارهما ودفائنهما . بحسب الماهر التحرير اذا أبدع في كلامه . واتبع روض الاجادة في نثاره ونظامه . ان يستنير بانواره . وينشر على أثوابه مسك غباره . ويعلم كيف يتفاضل الخبر والانشاء . ويتلو ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء

وذكره الفتح في قلائده . حيث قال هو وان كان خامل المنشأ نازله . لم ينزله المجد منازله . ولا فرع للعلا هضابا . ولا رضف للنار صبابا . فقد تميز بنفسه . وتميز من أبناء جنسه . وظهر بذاته . وفخر لداته .

(مشيخته)

قال الاستاذ أبو جعفر بن الزبير في الصلة روى عن الغسانى والصديقى وأبى الحسن بن الباذش وأبى عمران بن تليد وابى بحر الاسدى وأبى عبدالله النفزى المالقى وجماعة غيرهم .

(تواليفه)

قال الاستاذ وأما كتبه وتواليفه الادبية فكل ذلك مشهور متبادل بايدى الناس وقل من يعلم بعده أن يجتمع له مثله رحمه الله .

(من روى عنه)

روى عنه ابن بشكوال وابن حبيش وابن مضاء وغيرهم وقد ذكره في رجاله وهو أعرف بتقدمه في احتفاله .

﴿ شعره ﴾

وشعره كثير ومنه .

يا حبذا ليلة لنا سلفت   أغرت بنفسى الهوى فما عزفت
دارت بظلمائها المدام فكم   نرجسة من بنفسج قطفت

وقال في غائب آب بعد ماغب المزار .

وافي وقد عظمت على ذنوبه ... في غيبة خطبت بها آثاره

فمحا اساءته لنا احسانه ... واستغفرت لذنوبه أنواره

ومن شعره قوله مخمسا وكتبها وقد أقام بمراكش يتشوق الى قرطبة

بدت لهم بالغور والشمل جامع ... بروق باعلام العذيب لوامع

فباحت باسرار الضمير المدامع ... ورب غرام لم تنله المسامع

ودام بها من فيضها المتصوب

﴿ كتابته ﴾

. وكتابته وكتابة ذى الوزارتين كالشمس شهيره. والقطر كثيره . ونحن نثبت شيأ من ذلك لئلا يخلو هذا الكتاب من شيء من بدائعه كتب يراجع الوزير أبا بكر بن عبد العزيز عن رسالة كتب بها اليه مع حاج (١) يضرب بالقرعة. أطال الله بقاء وليي الذى له اكبارى واعظامى . وفي سلكه انتساقى وانتظامى . للفضائل محييا ومبتديا . وللمحامد مشتملا ومرتديا . وللغرائب متحفا ومهديا . وصل كتابه صحبة عراف اليمامه. وحادى نجد وتهامه . الظهور يقرطه ويحليه. والخفاء يظهره ويبديه. ولعله رائد لابن صياد. أو معاند للمسيح الدجال معاد فأبدى شهادة انصاف . ان عنده اصداف ولو كان هناك نظر صادق صاف . لقلت هو باد غير خاف . من بين كل ناعت وصاف . وسأخبرك أيدك الله بما اتفق . وكيف طار ونعق . وتوسد الكرامة وارتفق. فامتدت نحوه النواظر. واستشرفه الغائب والحاضر . وتسابق اليه النابه والخامل . وازدحم عليه العاطل والعامل . هذا يلتمس مزيدا . وذاك يبتغي شيأ جديدا . والآخر يلتمس تسديدا .

وهذا يطالب تماديا ً. وذاك يسأل الى متاعه اقاليدا ً. فكلما حزب. وغل وجاب. حلب واستدر. وتلفاه بما سر. وكنت قد وافقت جماعة من الاعيان. ورافقت ثلة من جلة الاخوان. حتى تفشيت أمره. وتوشيت ذكره. فلما صدقت تلك الفرقة. واستوت بهم الفرقة. احضرناه للسبار. وأقعدناه للنقد والاختبار. وأردنا أن نقف على جلايا تلك الاخبار. فأحضرنا طحنا وقطعا. وسرينا عنه من الوحشة قطعا. وقلنا له خذ عفوك. ولا توردنا الاصفوك. ولا تصانعنا في الكريهة التي نراها. والحادثة تستفظع ذكراها. فما عندنا جهل. ومامنا الا محنك كهل. لا يتكاداه حزن ولا يستخفه سهل. فسكن جاش فوره. وضرب بلحيته على زوره. ثم صعد فينا النظر. وصرف واستهل صارخا وقر وقال لست للعشرة حافظا. ولا للطرف غامضا. ولا عن الصدق اذا صدع حائدا. ولا للعذر ممن وقع منه ذائدا. ولا بمعجزات النبوة لاعبا ولا لصريح الجد مداعبا. ولا يطبنى مسئلة ولا حلوان. ولا يستفزنى قصائد كثيرة ولا ألوان. انما هو رسم وخط. ورفع وحط. ونحس وسعد. ونقد ووعد. ويوم وغد. فقانا الآن صحت الوفادة. وتعينت الزيادة ثم نظم شمل المستقل. واجتذب المطمع اجتذاب المستثقل. ونثل الطحن وهاله. وأداره حتى استهاله. ثم قال ياأيها الملأ هذا المبتدا فايكم يبدا. فرمقنى القوم بابصارهم وكبروا. وليتهم عند ذلك صفروا. فقمت وقد عضضت على ناجذى غيظا. وقات كل ذلك أحتمنه حفظا. فكيف استكشف. عما أعرف. واستفهم. عما لا يستفهم على الرحمن توكلت. ومن الشيطان تذكرت. ومن كسبي اكات. وعن مبرك الشيطان نكات. وجسيمات الامور تركتنى فتركت. والنفس المطمئنة رجوت ولعلى قد نجوت. وصدقت فيما قد رجوت. فلحظتني على هذه المقالة

عينه . وأدهشني صدقه ومينه . ثم صار القوم الى ذكر الطاغية ابن ردمير وفي كل قلب منه ندب كبير . وقال بعضنا سلوه عنه فان أصاب استرحنا من النصب والشخوص . وصرنا من العموم الى الخصوص . وان أخطأ فهو لما يدعيه ونريده منه اخطأ . فقالوا نعم ماعرضت . واحسن بما رأيت وفرضت . فلما رأيناه يتقلد التعريض . ويحكم التقدير والتقويض . قلنا حقق ضميرك كل التحقيق . وضع مسبحتك في الدقيق . فحسر عن ذراعه وشمر ومد اصبعه مد المتهالك . ووقع وقع الصارم المتدارك . فطورا يستقيم سبيلا . وتارة يستدير اكليلا . وآونه يأتي بالسماء ونجومها قبيلا . فكان من هنالك للنعش بنات . وللثريا أخوات . وطيرا قابضات . واسرابا ناشرات خافقات . فلما استوفي عدده . وبلغ أمده . وختم طرائقه وقدده . وأعطى الاصول فروعها . وتدبر فريقها وجموعها . تجمع وتقبض . وفتر ثم انقبض . وزفر وشهق وزعق ونهق والعق بظهره حشاه . وكتم الربو ثم أنشاه . وقال هذا الذى كنت أخشاه . عميتم الاثر . وكتمتم حقيقة الخبر . سألتم عن روح شارد . وشيطان مارد . وصادرمع اللحظات وارد . لا يواطئ دارا . ولا يأوى قرارا . ولا يطعم النوم الا غرارا . ثم أمره عندى مستقر . هو زنديق مستتر . وشهاب من شهب الكفر مستمر . ثم رجع البصر واختصر . وعاد الى الحساب يقراه . وللصواب يتحراه . وتتبع أديم الضحى وقراه . وقال أعوذ بالله من شر ماأراه . الى كم أرى في غلاء وبلا . كأني لست ذامراء وجلاء . تالله لو كنت دققت ماغاب عنى اللحيانى ذو السبله . ولا واجهني البياض ذوا الغرة المستثقله . مواجهة حسان لجبله . النحس على هذه الروح

قد غلب. وكتب ما كتب • وأخرج النصرة الداخلة من العتب • ثم أشار الى الحمرة • وكأنما وضع يده على جمره • وقال كوسج نعى • وسناط ٣ الوجه نقى • وثقاف وتمزيق • وجماعة وتفريق • وقبض خارج • ومنكوس مارج • ثم وضع عمامته • وأبدى هامته • وأمال وجهه فجر اطلقا • ثم عرضه مجنا مطرقا • وعقد أنامله وفرقع • وادلع لسانه فاندلع • فقلنا شر تأبطه • أو شيطان تخبطه • أو قرين يستنزلة ويختله • ورئىّ في الذروة والغارب يفتله . ثم تجاحظ وتكادن . وتضاءل وتبادن • وقال والذى أحيي عازر . وأخرج البرائح من آزر وملك عنان الريح . وأذعن له كل شيء بالسجود والتسبيح . انه لمن عباد المسيح . هيهات هيهات لا يضعضع لى بظن . ولا يقعقع لى بشن • ولا أنازع من هذه الفنون في فن . قد ركبت اثباج البحار . وقطعت نياط المفاوز والقفار وشافهني الحرم والبيت • وصافحني الهجين والكميت • وأحرمت ولبيت . وطفت ووقفت . وزرت المصطفى صلى الله عليه وسلم وتحنفت . ثم ملت على عدن • وانحدرت عن اليمن • واستشفيت بكحل عائدة • وأثبت كل قاعدة • ورأيت صاحب الجمل قس بن ساعده • ووردت عكاظ • وصدقت الحفاظ • وقدت العصيّة بتسع • ومسحت الشامات بخمس وتسع • ووقفت حين وقف الحكمان • وشهدت زحف التركمان • وكيف تصاولت القروم • وغلبت الروم • فقلنا لله أنت لقد جليت عن نفسك . وأربى يومك على امسك . ولقد صدق مطريك • ووفت صحيفة مقريك • وما كانت فراستنا التخيب فيك • فماذا تستقري من اللوح • وترى في تلك الروح . بعيشك الا ما امتعتنا بالافشاء والبوح . فرجع في البحث ادراجه . وطالع كواكبه وأبراجه . وظل على مادة الضحى يرمق • ويفتق ويرتق • ثم جعل يبتسم . وقال احلف واقسم لقد استقام المنسم • وانه لكما

ارسم وأسم . وانى لا اجده الا مغلوبا مبهورا . ومكبوبا مقهورا . ولن يلبث الا شهورا . قد أفل طالع جده . وانثنى عليه نقى خده . وهو صبي لم يملك أبوه ملك جده . فقلنا صرحت وأوضحت . وشهرت هذا المستور وفضحت . فان ساعدك قدر . وكان لك من هذا الورد صدر . فحظك مبتدر . ولحظك صادق لا يشوبه كدر . فقال هذا أمر قد آن . وسيأتيكم الخبر الآن . فاتصلنا وأصغينا الآذان . وجعلنا نتقدم الركبان . فلم ترعنا الا الغوغاء الناجمة بما بان . فتحيرنا في شأنه . ولم تكن معاودتنا الا خوف طغيانه . فاذا الخبر لم يخط صماخه . كأنما كان عودا اتقى مناخه . أو طائرا أم فراخه . فلم ينشب أن أقبل نحونا . وتعرض لنا . تعرض الجوزاء للنجوم . وانقض انقضاض المارد المرجوم . وقال ألم يأن ان تدينوا لى بالاكبار . وتعلموا انى من الجهابذة الكبار . فقلنا منك الاسجاح فقد ملكت . ومنك ولك النجاح أية سلكت . فاطرق زهوا . وأعرض عنا لهوا . وقال اعلموا أن القرعة لو طوت اسرارها . وغيبتنى أخبارها . لمزقت صدارها . وذروت غبارها . ولكان في أوسع متندح . وأنجد زناد يقتدح . أين أنتم عن صدى الاملاك . وعليات الافلاك . أنا في مرج الموج . وأوج الاوج والمنفرد بعلم الفرد والزوج . مسترط السرطان . ومستدبر الدبران . وبائع المشترى بالميزان . والقابض بيوم الحساب والعمل . على روق الثور وذنب الحمل . أعتمد نصل العقرب . وأقيد الأبعد والاقرب . أصيد أوابدها بالدقائق والدرج . واضطر من هاهنا الى الحرج . وأجمعهم في ضيق المنعرج . أنا استذكرت بالانبار . فرحة الاقبال وترحة الادبار . وطالعت اقليدس فاستنطقته . وصارعت المجسطى فجسطته(١) . وارتمطت الى الارتماطى ومخضت

(١) قوله فجسطته كذا بالاصل وليحرر اه

التحايل وعقدته . وعاينت زحل حين استقل على بعيره ورحل . وضايقته في ساحته ، وحصرته في مساحته . وحضرت قرانه . وشهدت تقدمه ومرانه وشاهدت شبرا وشبر . وناجاني بوفاته في الكبر . وتخريبه لملك بني الاصفر . وتفريقه لبلاد اللطينه . وانجازه الوعد في فتح قسطنطينه . أنا عقدت رشا الدلو . وذدت عنه الحديث اللغو . أنا اقتدحت زند جوزائه . فلاح بعد خفائه . واستخرجت الهلال من مكامن سره . وقددت قلامته من ظفره . ودللت طير الصوم(١) على شجره . فجنيت المرمن ثمره . أنا طرقت الزهرة في خدرها . وصافحتها من الفكرة بيد لم تدرها . أنا أذكيت على ذكاء فظلت تلتهب . وأجريتها من التوهم شطنا حتى جرت جرى المنهدب . أنا انتضيت الشباب شرخا . واضرمت للمريخ عفاراً ومرخا . حتى تمانى بملاحم حروبه . وحوادث طلوعه وغروبه . وتلمظه الى النجيع . وولوغه في مهجة البطل الشجيع . أنا أبرى من اللمم . وأشفى من الصمم . وأنقل الفطس الى الشمم . فقلنا أما الاول فقد سلمنا لك جميعها . وأما هذه الثلاثة فلن تستطيعها . فقال فلم تعجزون . ولا تستنجزون . فقلنا من كان له علاج فبنفسه يبدا . ولا يجدعن ذلك بدا . قال أما من برع فبروعه بروعى . ألقى في روعه ماألقى في روعى . فمثله كمثل الصارم حسنه في فرنده . لا في غمده وجماله في حده . لا في خده . والمرء كما قيل بأصغريه . لا بمنخريه . والشأن في الحيزوم . لا في الخرطوم . وفي الذكرين لا في الانثيين . وبعد فهذا كلام ظاهره اجلال . وباطنه احتمال . وسأنبئكم بفجر سيله . لا بفجر ليله . أما الافطس فيدلى صفنه . ويتزوج في آل جفنه . ثم ان جاء الولد أشد . بلوغ الاشد . وان نزع عرق خاله . بقى الولد

(١) قوله طير الصوم ذكر في القاموس ان الصوم يطلق على شجرة كريهة المنظر

بحاله . وأما الاصم فيخرج عن القلاص والافال . ويطاب في بنى السميعة بركة الاسمية والفال . فان أراد الله ظفر بالمراد . وجاء الولد أسمع من قراد . فأحس من بعض الحاضرين تمريضا . وعائداطرفا غضيضا . فتكدّر وتشوّر . وخوّف وحذّر . وقال صاحب الشريعة . سماهم بنى السميرة ٣ قوموا يا بنى اللكيعة . فقد قطعتم زيقى وواريتم طريقى . واذللتم طرفي وطرقى . وشددتم طوقى . وأخذتم على أفقى غربى وشرقى . ثم نحا فيمم سهيلا . وأرسل بنات نعش ذيلا . وقد افاد بما استصحب من الميامن نيلا . ولم يطلعنى طالع مانواه ولا مطمع نواه ومعتم جواه . فرفعت لى بعد وداعه نجوه . ورمتنى بشخصه فجوة . فقلت له ماأراك الا غائل . أورثت عنك الحبائل . فسراك سرقين . وحديثك مين . لم تعبر دجيلا . ويممت سهيلا . فقال طرت الى الصبية الصغار . وساقنى الشوق الى الاهل والاصفار . فقلت هلم إلى خط نعيده . وحظ نستزيده . فقال لولا أن تقول لى الساعة متى . وتطالبنى باحياء الموتى . لما جنحت الى الغرب غروبا . ولا رأيت من الحذق ضروبا . ثم قال لى ان لى بالحضرة أفراخا . استصرختنى أمهم استصراخا . فانسلخت منها انسلاخا . وأعيا علىّ أمره فلم أعلم له ظعنا ولا مناخا . فلبثت بعد ذلك أياما . قد اعتم علىّ أمره اعتياما . ولم أعرف له انجادا ولا إتهاما . واذا به وقد أخمدت عنه باسا . ولم أطمع فيه راسا . قدشب لى شبابا . ولمعت لى طلعته شهابا . فقلت له قاتلك الله أين الأم وأفراخها . أين التى سلخك استصراخها . فقال الصعلوك لو علم مذاهبه . لحرم مناهبه . وطفق يكرر دعاء الباجى فقلت له مالك وللميت . ورحم الله من سميت . قال لما أذن الله باتمام الشيمة . وتمزقت عنى المشيمة . عممت بالسرف . وانفقت في الخرق . وفارقت من الضيق منتداه . وأفلتتنى يداه . حنكنى السعد بتمر المدينه . وسقانى

من ماء البلدة الأمينة . وعوذني بعوذة متينة . فها أنا كما ترى أستجلي وأستجذب. وأستحلي وأستعذب . فقلنا لعمر الله انه لفضل عميم . لولا الصميم . ونوائل معتقبه . لولا العقبه . فقال دعنا من زخاريفك . واغضض من عنان تهاريفك . البازل لا يكون الا دمياء . والليث لا يوجد الا شميا . ثم قال واجمل . وابتدر وارتجل .

عيشنا كله خدع فاترك اللوم عنك ودع
أنا كالليث والليـ * ـوث باساتها ترع
أنا كالسيف حده لا يبالي بما وقع
أنا كالحسن للمهـ * ـاة والظبي بالـكع

فقلت له تبا لك سائر اليوم . انك لتريش وتبري . وتتمد وتفري . وتحاسن وتخاشن وتخب وتجب . وتناقل وتخاتل . وتشاعر وتراجز. وتناطح وتناجز. وأنت على هذا كله معجب تيها. ما جزاؤك الا ريح فيها. فما هو الا أن غفلت عنه لمحة طرف . أو نفحة عرف . واذا به قد أفاس . وكأنما هو برق خلس . ولم أدر أقام أو جاس . ومحاسنه كالقطر الذي لا يعدّ . والامر الذي لا يأخذه الحدّ . وكفى بهذه الرسالة دليلا على جلالة مقداره . وتدفق بحاره وفخاره . لما اشتملت عليه من بلاغة وبيان وبساط حال أتت على خبره بعيان . وعلوم ذات أفنان . جدد الله عليه الرحمة . وضاعف له المنة والنعمة

﴿ وفاته ﴾

من خط الحافظ المحدث أبي القاسم بن بشكوال. كان ممن أصيب في أيام الهرج بقرطبة فعظم المصاب به الفقيه الشيخ الاجل ذو الوزارتين السيد الكامل الشهير الاثير الاديب الكاتب البليغ معجزة زمانه .وسابق اقرانه.

ذو المحاسن الجمة الجليلية الباهره. والادوات الرفيعة الزكية الطاهره. المجمع على تناهي نباهته وحمد خصاله وفصاحته . من لا يشق غباره . ولا تلحق آثاره. معجزة زمانه في صناعة النثر والنظم أبو عبد الله بن أبي الخصال رحمه الله تعالى ورضي عنه ونضر وجهه ألفي مقتولا قرب باب داره بالمدينة وقد سلب ما كان عليه بعد نهب داره. واستئصال حاله. وأخذ ما ظهر من ماله. وذلك يوم السبت الثاني عشر من شهر ذى الحجة من سنة أربعين وخمسمائة فاحتمل الى الربض الشرقى بحومة الدرب فغسل هنالك وكفن ودفن بمقبرة ابن عباس عصر يوم الاحد بعده ونعى الى الناس وهم مشغولون بما كانوا بسبيله من الفتنة فكثر عند ذلك التفجع لفقده. والتأسف على مصاب مثله. لانه رحمه الله كان آخر رجال الاندلس علما وحلما وفهما ومعرفة وذكاء وحكمة ويقظة وجلالة ونباهة وتفننا في العلوم كان له رحمه الله اهتمام بها وتقدم في معرفتها واتقانها وكان رحمه الله تعالى صاحب لغة وتاريخ ومعرفة برجال الحديث مضطلعا بها عارفا بوقائع العرب وأيام الناس وبالنثر والنظم وكان جزل القول عذب اللفظ حلو الكلام عذب الفكاهة فصيح اللسان بارع الخط حسنه متقنه كان فى جميع ذلك واحد عصره نسيج وحده مسلما له في جميع ذلك مع جمال منظر وحسن خلقة وكرم فعال ومشاركة اخوان وكان مع ذلك كله جميل التواضع حسن المعاشرة لاهل العلم ناهضا بتكاليفهم حافظا لولائهم مكرما لنبهائهم واسع الصدر حسن المجالسة والمحادثة والمذاكرة جمّ الافادة له تصانيف رفيعة القدر نبيهة ظهر فيها علمه وفهمه أخذها الناس مع ما كان يحمله عن أشياخه الذين أخذ عنهم وسمع منهم وقرأ عليهم.

وقال غيره قتل بدرب الفرعونى بقرب رحبة أبان داخل قرطبة قرب

باب عبد الجبار يوم دخلها النصارى مع أميرهم ملك طايطلة يوم قيام ابن حمدين وقتاله مع يحيي بن غانية المسوفى من المرابطين يوم الاحد لثلاث عشرة مضت من ذى الحجة عام أربعين وخمسمائة قتله بربر المصامدة رجالة أهل اللثام لحسن ملبسه ولم يعرفوه وقتلوا معه محمد بن عبد الله بن عبد العزيز ابن مسعود وكان انكحه ابنته فقتلا معا وكان محمد هذا من خيرة الاحداث رحمهما الله تعالى

﴿ محمد بن عبيد الله بن داود بن خطاب ﴾

(حاله)

من صلة ابن الزبير كان كاتبا بارعا شاعرا مجيدا له مشاركة في أصول الفقه وعلم الكلام وغيرها مع نباهة وحسن فهم ذا نباهة وحسن سمت ورد على غرناطة واستعمل في الكتابة السلطانية وكان عظيم القدر معظما عند الكافة ثم انه رجع الى مرسية وقد ساءت أحوالها فأقام بها مدة ثم انفصل عنها واستقر بالعدوة بعد مكابدة

قلت وأخبرنى شيخنا أبو الحسن بن الجياب رحمه الله قال كان شكس الاخلاق متقاطبا زاهيا بنفسه ابتدأ يوما كتابا مصدراً بخطبة فقال فيه يصف صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوة الصفوة وتركه لامر عرض له فنظر اليه الفقيه أبو عمر اللوشى وهو كاتب المقام السلطانى فظن لقصوره انه وهم وأراد الصفوة(١) فاصلحه له فلما نظر اليه قرضه وكسر آلة الكتابة وقال لأأقيم بموضع بلغ فيه الجهل الى هذا القدر وسود فيه الاصلاح على قلم من لا يطمع في الحصول على مقامه وانصرف واستقر بتلمسان كاتبا عن سلطانها

(١) قوله وارد الصفوة كذا في الاصل وليحرر

أبي يحي يغمراسن بن زيان وزعموا أن المستنصر أبا عبد الله ابن الامير أبي زكريا استقدمه على عادته في استقدام الكتاب المشاهير واستدعائه لحضرته العلماء وبعث اليه الف دينار من الذهب العين فاعتذر وردّ عليه المال فكان ذلك أشق مامرّ على المستنصر وظهر له علو شأوه وبعد همته

﴿ مشيخته ﴾

روى عن القاضيين أبي عيسى بن أبي السداد وأبي بكر بن محرز وعن الاستاذ أبي بكر محمد بن محمد المعروف بالقرشي قرأ وسمع على هؤلاء ببلده

﴿ شعره ﴾

من ذلك قوله

اقنع بما أوتيته تنل الغنى	واذا دهتك مصيبة فتصبر
واعلم بان الرزق مقسوم فلو	رمنا زيادة ذرّة لم نقدر
والله أرحم بالعباد فلا تسل	أحداً تعش عيش الكرام وتؤجر
واذا سخطت لبؤس حالك مرة	ورأيت نفسك قد نبت فاستغفر
وانظر الى من دون حالك تذّكر	لعظيم نعمته عليك وتشكر

وقال عند وفاته وربما نسبت لغيره

رب أنت الحليم فاغفر ذنوبي	ليس يعفو عن الذنوب سواكا
رب ثبت عند السؤال لساني	وأقمني على طريق هداكا
رب كن لي اذا وقفت ذليلا	ناكس الرأس أستحي أن أراكا
رب من لي والنار قد قربت لي	وأنا تحت أحمد وحماكا
رب مالي من عدّة لمآلي	غير أني أعددت صدق رجاكا
رب أقررت أنني عبد سوء	حلمك الجمّ غرّه فعصاكا

رب أنت الجواد بالخير دوما   لم تزل راحما فهب لى رضا كا
رب ان لم أكن لفضلك أهلا   باجترائى فانت أهل لذا كا

« نثره »

ومن نثره ماخاطب به صديقين له بمرسية من مدينة اشبيلية

كتبته كتب الله لكما فوزا بالحسنى. وأجنا كما من ثمر احسانه اكرم مايجنى..من اشبيلية وحالى بحمد الله حسنه . ونفسى بحب قربكما مرتهنه . وعامى بما لديكما من السراوة التى جبلتما على فطرتها. وامتزتما بقوتها . علم لايدخله الشك. ونسبتى الى ودكما الذى لبسته معلما .وتقلدته محرما لايعبر عن معناها الابما لايزال ولاينفك . فانثنى عنان العلم عن مداه . ونأخذ في حديث سواه . وصلنا أشبيلية ضحوة يوم الثلاثاء خامس ربيع الآخر. ولقينا الافاقة (١) على مين . وفزنا بماظهر من بشره. واعتنائه بقرار الخاطر. وقرة العين . ونزلنا في الاخبية خارج البلد بموضع يعرف بالقنب قد تفجر عيونا . وجمع ماؤه وهواؤه من المحاسن فنونا . وعرض علينا النزول في الديار داخل المدينه . فرأينا المقام بالقنب أحد الاسباب المساعدة على حفظ الصحة المعينه ورغبنا عن المدينة لحرها الوهاج . وغبارها العجاج . ومائها الاجاج . ولما ثاب من النشاط البارح . واستقل من المطى الرازح . طفت في خارجها وداخلها. واطلعت على مبانيها المشيدة ومنازلها . ورأيت انسياب أراقشها . وتقصيت آثار طوياتها وبراقشها. فشاهدت من المبانى العتيقه. والمغانى الانيقه . مايستميل أعين النظار . ويفسح لها بحال الاعتبار . على انى مارأيتها الا بعد أن استولى عليها الخسف . وبان عنها الظرف . ونبا عنها الطرف . فلا ترى

(١) قوله ولقينا الافاقة الخ هكذا وقع في الاصل محرفا فليحرر

من مغانيها الا طللا دارسا . ولا تلمح من معالمها الا محيّا عابسا . لكن الرائي اذا قدّر وصفها الاول.وركب وهمه من مبانيها ماتحلل .وتخيل ذهنه حسنها وتمثل .تصوّر حسنا يدعو الى المجون. ويسلي من الشجون . ويجدر أن أصفها بما يقرب من القبول . وأقول انها من البلاد بمنزلة الربيع من الفصول . ولولا أن خاطرى مقسم . وفكرى حده مثلم . لقضيت من الاطناب وطرا . ولم أدع من معالمها عينا الا وصفتها ولا أثرا .

﴿ وفاته ﴾

توفي بتلمسان يوم عاشوراء بعد الثمانين وستمائة

﴿ محمد بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن يحي بن محمد بن فتوح بن محمد بن الحكيم اللخمى ذوالوزارتين ﴾

يكنى أبا عبد الله رندى النشأة اشبيلى الاصل يرجع بيته وبيت بنى حجاج وبنى عباد الى جرثومة واحدة وانتقل سلفه الى رندة في دولة بنى عباد ويحي جد والده هو المعروف بالحكيم لطبه وقدم ذو الوزارتين على حضرة غرناطة أيام السلطان أبى عبد الله محمد بن محمد بن نصر أثر قفوله من الحج في رحلته التي رافق فيها العلامة أبا عبد الله بن رشيد الفهرى فألحقه السلطان بكتابه وأقام يكتب له في ديوان الانشاء الى أن توفي هذا السلطان وتقلد الملك بعده ولىّ عهده أبو عبد الله المخلوع فقلده الوزارة والكتابة وأشرك معه في الوزارة أبا سلطان عبد العزيز بن سلطان الدانى فلما توفي أبو سلطان أفرده السلطان بالوزارة ولقبه ذاالوزارتين وصار صاحب أمره الي أن توفي بحضرة غرناطة قتيلا نفعه الله تعالى غدوة يوم الفطر مستهل شوال

سـنة ثمـان وسبعمائة وذلك لتاريخ خلع سلطانه وخلافة أخيه أمير المسلمين أبي الجيوش مكانه

﴿ حاله ﴾

كان رحمه الله تعالى علما في الفضيلة والسراوة ومكارم الاخلاق كريم النفس واسع الايثار متين الحرمـة عالى الهمة كاتبا بليغا أديبا شاعرا حسن الخط يكتب خطوطا على أنواع . كلها جميلة الانطباع · خطيبا فصيح القـلم . زاكى لشيم . مؤثرا لأهل العـلم والأدب . برا باهل الفضـل والحسب . نفقت بمدته للفضائل أسواق . وأشرقت بامداده للفضائل آفاق « ومن عائد الصلة » كان رحمـه الله فريد دهره سماحة وبشاشة ولو ذعية وانطباعا رقيق الحاشـية نافذ العزمـة مهتزا للمديح طلقا للآمل كهفـا للغريب برمكيّ المائدة مهيّ الحلوى ريان من الادب مضطلعا بالرواية مسـتكثرا من الفائدة يقوم على المسائل الفقهية ويتقدم الناس في باب التحسين والتقبيح ورفع راية الحـديث والتحديث نفق بضاعة الطلب . وأحيا معالم الادب . واكرم العلم والعلماء ولم تشغله السياسـة عن النظر ولاعاقه تدبير الملك عن المطالعة والسماع وأفرط في اقتناء الـكتب حتى ضاقت قصوره عن خزائنها. وأثرت أنديته من ذخائرها . قام له الدهر على رجل وأخدمه صدور البيوتات. وأعلام الرياسات وخوطب من البلاد النازحة . وأمل من الآفاق النائية .

﴿ رحلته ونباهته ﴾

رحل الى الحجاز الشريف من بلده على فتاء سنه أول عام ثلاث وثمانين وستمائة فحج وزار وتجول في بلاد المشرق منتجعا عوالى الرواية فى مظانها ومنقرا عنها عند مسنى شيوخها وقيد الاناشيد الغريبة والابيات المرقصة

وأقام بمكة شرفها الله من شهر رمضان الى انقضاء الموسم فاخذ بها عن جماعة يأتى ذكرهم في مشيخته وانصرف الى المدينة المشرفة ثم قفل مع الركب الشامىّ الى دمشق ثم كرّ الى المغرب لا يمرّ بمجلس علم أو تعلم الاروى أو روّى واحتلّ رندة حرسها الله أواخر عام خمسة وثمانين وستمائة وأقام بها عينا في قرابته وعلما في أهله معظما عندهم الى أن أوقع السلطان بالوزراء من بنى حبيب الوقيعة البرمكية وورد رندة في أثر ذلك فتعرض اليه وهنأه بقصيدة طويلة من أوليات شعره أولها

هل الى ردّ عشيات الوصال سبب أم ذاك من ضرب المحال

فلما أنشدها اياه أعجب به وبحسن خطه ونصاعة ظرفه فاثنى عليه واستدعاه الى الوفادة على حضرته نوفد آخر عام ستة وثمانين فاثبته في خواص دولته وأحظاه لديه الي أن رقاه الى كتابة الانشاء ببابه واستمرت حاله معظم القدر مخصوصا بالمزية الى أن توفي السلطان ثانى الملوك من بنى نصر وتقلد الملك بعده ولىّ عهده أبو عبد الله فزاد في احظائه وتقريبه وجمع له بين الكتابة والوزارة ولقبه بذى الوزارتين وأعطاه العلامة وقلده الامر فبعد الصيت وطاب الذكر الى أن كان من الامر ما يأتى قريبا ان شاء الله تعالى .

﴿ مشيخته ﴾

قرأ برندة على الشيخ النحوى أبى الحسن على بن يوسف العبدرى السفاح القرآن العظيم بالروايات السبع والعربية وغير ذلك وعلى الخطيب بها أبى القاسم الايسر وأخذ عن والده جميع مروياته واستجاز له في صغره أعلام ذلك الزمان وأخذ في رحلته عن الجلة الذين يضيق عن أمثالهم الحصر

فمنهم أبو اليمن جار الله ابن عساكر لقيه بالحرم الشريف وانتفع به

واستكثر من الرواية عنه . ومنهم الشيخ أبو العز عبد العزيز بن عبد المنعم الحرانى المعروف بابن هبة الله الحرانى . ومنهم الشيخ الشرف أبو العباس احمد بن عبد الله بن عمر بن ممطى ابن الامام الجزائرى جزائر العرب نزيل بغداد . ومنهم الشيخ أبو الصفا خليل بن أبى بكر بن محمد المرادى الحنبلى لقيه بالقاهرة . ومنهم الشيخ رضى الدين القسطمينى ابو بكر . ومنهم الشيخ شرف الدين الحافظ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطى امام الديار المصرية في الحديث ومؤرخها وحافظها . ومنهم عبد المنعم بن محمد بن يوسف بن احمد الخيمى شهاب الدين ابو عبد الله نزيل مشهد الحسين بن على قرأ عليه قصيدته البائية الفريدة التى أولها .

يا مطلبا ليس لى في غيره أرب اليك آل التقصى وانتهى الطلب

وفيها البيت المشهور الذى وقع النزاع فيه .

يا بارقا بأعالى الرقمتين بدا لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

ومنهم عبد الولى بن يحيي بن حماد البعلبكى . مولده سنة احدى عشرة وستمائة . ومنهم محمد بن بكر بن خلف بن أبى القاسم الصفار . ومنهم الشيخ أبو الفضل الاديب جمال الدين بن أبى الخير بن على بن عبد الله بن رواحة . ومنهم محمد بن يحيي بن عبد الله القرشي جمال الدين أبو صادق ومن تخريجه الاربعون المروية بالاسانيد المصرية . وسمع الحلبيات من ابن عماد الحرانى والشيخ أبى الفضل عبد الرحيم خطيب الجزيرة ومولده سنة ثمان وتسعين وخمسمائة . ومنهم الشيخ عبد الله بن محمد بن عباس الاشعرى تقى الدين الحافظ أبو القاسم . ومنهم الشيخ محمد بن اسماعيل بن عبد الله بن عبد المجيد الانماطى . ومنهم أبو البدر ٣ بن عبد الله بن أبى الزبير الكاتب المصرى .

ومنهم الشيخ عبد الرحيم بن عبد المنعم بن خلف التدميرى . ومن رؤساء شيوخه الشيخ محيي الدين أبو الفضل . ومنهم زينب بنت الامام أبي محمد عبد اللطيف بن يوسف البغدادى تكنى أم الفضل وسمعت من أبيها . ومنهم محمد بن احمد بن ابراهيم بن احمد الخراسانى أبو عبد الله موفق الدين وألبسه خرقة التصوف . ومنهم الشيخ محمد بن يحيي بن هبيرة الشيبانى شرف الدين . ومنهم الشيخ شهاب الدين احمد بن عيسى بن عيسى بن يوسف ابن ابراهيم بن اسماعيل السلفى . ومنهم الشيخ على بن عبد الكريم بن عبد الله الدمشقى أبو الحسن ولد سنة سبع وتسعين وخمسمائة . ومنهم الشيخ غازى ابن أبي الفضل بن عبد الوهاب الحلاوى . ومنهم الشيخ نور الدين على ابن محمد أبي البركات الانصارى المقرئ بحرم الخليل سمع من أبي الحسن على بن شجاع .

ومنهم الملك الاوحد يعقوب بن الملك الناصر صلاح الدين داود بن الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل ابى بكر بن أيوب . ومنهم عبد المنعم بن يحيي بن ابراهيم بن على بن جعفر القرشى الزهرى خطيب القدس . ومنهم الشيخ عبد الحفيظ بن بدران ويدعى علىّ الدين من أهل بانياس سمع من ابن صيصرى . ومنهم الشيخ على بن عبد الرحمن بن عبد المنعم المقدسى . ومنهم الشيخ محمد بن محمد بن سالم بن يوسف بن أسلم القرشى جمال الدين . ومنهم عبد الواسع بن عبد الكافي شمس الدين . ومنهم الشيخ أحمد بن شيبان ابن ثعلب . ومنهم الشيخ احمد بن فرح بن احمد بن محمد بن أحمد بن أحمد الزجاجى . ومنهم فاطمة بنت ابراهيم بن محمد بن محمود بن جوهر البعلبكى الشيخة الكاتبة الخيرة أم الخير . ومنهم الشيخ يوسف بن أبي ناصر السفاوى

ومنهم الشيخ عبد السلام بن محمد ابو محمد عفيف الدين . ومنهم الشيخ احمد بن عثمان بن محمد الشافعي البخاري شمس الدين . ومنهم الشيخ عبد الله بن خير ابن أبي محمد بن خلف القرشي. ومنهم الشيخ محمد بن احمد بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الباقي بن علي الصواف شرف الدين . ومنهم الشيخ علي بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن زريق الكاتب لقيه بتونس ومنهم الشيخ سليمان بن علي بن عبد الله الكاتب التامساني عفيف الدين الصوفي الاديب نزيل دمشق ومولده بتامسان . ومنهم الشيخ محمد بن علي ابن احمد بن علي بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن احمد الميموني التستي القسطلاني قطب الدين الامام المفتي شيخ دار الحديث الكاملية بالقاهرة المعزية . ومنهم الشيخ عبد الكريم بن علي بن جعفر القرشي جمال الدين . ومنهم الشيخ احمد بن محمد بن عبد الظاهر جمال الدين . ومنهم محمد بن محمد ابن ابراهيم النجاشي . ومنهم الشيخ عبد الله بن محمد بن محمد بن أبي بكر الطبري امام الروضة النبويه ثم الصخرة القدسية . ومنهم الشيخ فخر الدين عثمان بن أبي محمد بن اسماعيل بن جندرة . ومنهم الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العلي بن اسكرت فخر الدين . ومنهم الشيخ ثابت بن علي بن عبد العزيز بن قاسم بن عبد الرزاق سمع على ابن المنير البغدادي . ومنهم الشيخ أمين الدين أبو الهامات جبريل بن اسماعيل بن سيد الاهل . ومنهم الشيخ محمد بن احمد بن عبد الله الاندلسي الاصل شرف الدين سمع من علم الدين الشيخوني وغيره . ومنهم الشيخ محمد بن محمد الشامي الشافعي الدمشقي امام مسجد أبي بكر الصديق رضي الله عنه يدعى شمس الدين سمع من الزبيدي . ومنهم الشيخ يحيى بن الخضر بن حاتم الانصاري يعرف بابن عز الدولة

وأجازله جماعة منهم ابن عماد الحرانى . ومنهم ابن ٣ يحيي بن محمد بن محمد الهمدانى كمال الدين وسمع من ابن الزجاج وابن رواح الحميرى. ومنهم الشيخ عبد الملك أبو المعالى بن معقل الواسطى عرف بابن الجوزى سمع على جماعة منهم شعيب الزعفرانى . ومنهم الشيخ محمد بن احمد بن ياسر بن شاكر الحاكمى. ومنهم الامام مفتى المسلمين ٣ رضى الله عنه. ومنهم أبو عبد الله محمد ابن أبى بكر بن خليل العسقلانى المكى . ومنهم الخطيب ابو عبدالله محمد بن صالح بن احمد بن محمد بن رحيمة الكنانى خطيب بجاية. ومنهم قاضي القضاة ببلاد افريقية أبو العباس بن الغماز البلنسى لقيه بتونس. ومنهم الفقيه العلامة الوزير أبو القاسم محمد بن عبدالله بن يحيي بن عبدالرحمن بن يوسف بن جزى الكلبي. ومنهم الشيخ أبو محمد عبدالله بن يوسف الخلابى. ومنهم الشيخ المغربى أبو محمد الحجاج يوسف بن ابراهيم بن عتاب لقيه بتونس

ومنهم الشيخ الفقيه أبو بكر بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن يربوع السبتى . ومنهم الامام قدوة النحاة أبو الحسين عبيد الله بن أحمد بن عبيدالله ابن أحمد بن عبد الله بن أبى الربيع القرشى . ومنهم الامام أبو على ناصر الدين منصور بن أحمد بن عبد الحق الزواوى المشدالى من أهل بجاية . ومنهم الخطيب القاضى أبو عمرو اسحق بن أبى اسحق بن عبد الوهاب الرندى . الى طائفة كبيرة من أهل المشرق والمغرب .

﴿ محنته ﴾

أغرى به الامير ولى العهد بسبب أمور اختلف فيها منها أبيات في هجو الدولة النصرية الله أعلم بصحة نسبتها اليه فاوقع به وناله بين يديه نكال كبير أفلت منه برفق واختفى مدة في المآذن المقفلة والاماكن الخفية حتى

أضحى له جو سخطه وقضى الامر باستلابه

﴿ من روى عنه ﴾

أخذ عنه الخطيب الصالح أبو اسحق بن أبي العاصى وتلـ
أبو عبد الله بن رشيد وغير واحد وكان ممدوحا وممن مدحه
عبد المهيمن الحضرمى والرئيس أبو الحسن بن الجياب وناهيك بهما . ومن
بديع مدح ابن الجياب له قصيدة رائية رائقة يهنيه فيها بعيد الفطر منها في أولها.

يا قادما عمت الدنيا بشائره ... أهلا بمقدمك الميمون طائره
ومرحبا بك من عيد تحف به ... من السعادة اجناد تظافره
قدمت فالخلق في نعمى وفي جذل ... أبدى بك البشر باديه وحاضره
والارض قد لبست أثواب سندسها ... والروض قد بسمت منه أزاهره
حاكت يد الغيث في ساحاته حللا ... لما سقاها درا كا منك باكره
فلاح فيها من الانوار باهرها ... وفاح فيها من النوار عاطره
وقام فيها خطيب الطير مرتجلا ... والزهر قد رصعت منه منابره
موشيّ ثوب طواه الدهر آونة ... فهاهو اليوم للابصار ناشره
فالغصن من نشوة يثني معاطفه ... والطير من طرب تشدو مزاهره
وللكمام انشقاق عن أزاهرها ... كما بدت لك من خلّ ضمائره
لله يومك ما أذكى فضائله ... قامت لدين الهدى فيه شعائره
فكم سريرة فضل فيك قد خبئت ... وكم جمال بدا للناس ظاهره
فافخر بحق على الايام قاطبة ... فما لفضلك من ندّ يظاهره
فأنت في عصرنا كابن الحكيم اذا ... قيست بفخر أولى العليا مفاخره
يلتاح منه بأفق الملك نور هدى ... تضاءل الشمس مهما لاح زاهره

مجد صميم على عرش السماك سما ... طالت مبانيه واستعلت مظاهره
وزارة الدين والعلم الذى رفعت ... أعلامه والندى الفياض زاخره
وليس هذا ببدع من مكارمه ... ساوت أوائله فيه أواخره
يلقى الامور بصدر منه منشرح ... بحر وآراؤه العظمى جواهره
راعى أمور الرعايا معملا نظرا ... كمثل علياه معدوما نظائره
والملك سير في تدبيره حكما ... تنال ما عجزت عنه عساكره
سياسة الحلم لابطش يكدرها ... فهو المهيب وما تخشى بوادره
لا يصدر الملك الا عن اشارته ... فالرشد لا تتعداه مصائره
تجرى الامور على أقصى ارادته ... كأنما دهره فيه يشاوره
وكم مقام له في كل مكرمة ... أنست موارده فيها مصادره
فضلها طبق الآفاق أجمعها ... كأنه مثل قد سار سائره
فليس يجحده الا أخو حسد ... يرى الصباح فيعشى منه ناظره
لا ملك أكبر من ملك يدبره ... لا ملك أسعد من ملك يوازره
يا عز أمر به اشتدت مضاربه ... ياحسن ملك به ازدانت محاضره
تثنى البلاد واهلوها بما عرفوا ... ويشهد الدهر آتيه وغابره
بشرى لآمله الموصول مأمله ... تعسا لحاسده المقطوع دابره
فالعلم قد أشرقت نورا مطالعه ... والجود قد أسبلت سحاموا طره
والناس في بشر والملك في ظفر ... عال على كل عالى القدر قاهره
والأرض قد ملئت أمنا جوانبها ... بيمن من خلصت فيها سرائره
والى أياديه من مثنى وواحدة ... تساجل البحران فاضت زواخره
فكل يوم تلقانا عوارفه ... كساه أمواله الطولى دفاتره

فمن يؤدي لما أولاه من نعم ... شكرا ولو أن سحبانا يظاهره
يا أيها العيد بادر لثم راحته ... فاثمها خير مأمول تبادره
وافخر بأن قد لقيت ابن الحكيم على ... عصر يباريك أو دهر تفاخره
ولى الصيام وقد عظّمت حرمته ... فاجره لك وافيه ووافره
وأقبل العيد فاستقبل به جذلا ... واهنأ به قادما عمت بشائره

ومن مدح الرئيس أبي محمد عبد المهيمن الحضرمي له قوله

تراءى سحيرا والنسيم عليل ... وللنجم طرف بالصباح كليل
وللفجر نهر خاضه الليل فاعتلت ... شوى أدهم الظلماء منه حجول
بريق بأعلى الرقمتين كأنه ... طلائع شهب في السماء تجول
فمزق ساجي الليل منه شرارة ... وخرّق ستر الغيم منه نصول
تبسم ثغر الروض عند ابتسامه ... وفاضت عيون للغمام همول
ومالت غصون البان نشوى كأنها ... يدار عليها من صباه شمول
وغنت على تلك الغصون حمائم ... لهنّ حفيف فوقها وهديل
اذا سجعت في لحنها ثم قرقرت ... يطيح خفيف دونها وثقيل
سقى الله ربعا لا يزال يشوقني ... اليه رسوم دونها وطلول
وجاد رباه كلما ذرّ شارق ... من الودق هتان أجشّ هطول
ومالي أستسقي الغمام ومدمعي ... سفوح على تلك العراص همول
وعاذلة باتت تلوم على السرى ... وتكثر من تعذالها وتطيل
تقول الى كم ذا فراق وغربة ... ونأي على ما خيّلت ورحيل
ذريني أسعى للتي تكسب العلا ... سناء وتبقي الذكر وهو جميل
فاما تريني من ممارسة الهوى ... نحيلا فحدّ المشرفيّ نحيل

وفوق أنابيب اليراعة صعوة ... تزين وفي قدّ القناة ذبول
ولولا السرى لم يجتل البدر كاملا ... ولا بات منه للسعود نزيل
ولولا اغتراب المرء فى طلب العلا ... لما كان نحو المجد منه وصول
ولولا نوال ابن الحكيم محمد ... لاصبح ربع المجد وهو محيل
وزير سما فوق السماك جلالة ... وليس له الا النجوم قبيل
من القوم أما فى الندىّ فانهم ... هضاب وأما في الندى فسيول
حووا شرف العلياء ارثا ومكسبا ... وطابت فروع منهم وأصول
وماجونة هطالة ذات هيدب ... مرتها شمول مرجف وقبول
لها زجل من رعدها ولوامع ... من البرق عنها للعيون كلول
كما هدرت وسط القلاص وأرسلت ... شقا شقها عند الهياج فحول
بأجود من كف الوزير محمد ... اذا ما توالت للسنين محول
ولا روضة بالحسن طيبة الشذا ... ينمّ عليها اذخر وجليل
وقد أذكيت للزهر فيها مجامر ... تعطر منها للنسيم ذيول
وفي مقل النوار للطل عبرة ... تردّدها أجفانها وتحيل
بأطيب من أخلاقه الغر كلما ... تفاقم خطب للزمان يهول
حويت أبا عبد الاله مناقبا ... تفوت يدي من رامها وتطول
فغرناطة مصر وأنت خصيبها ... ونائل يمناك الكريمة نيل
فداك رجال حاولوا درك العلا ... ببخل وهل نال العلاء بخيل
تخيرك المولى وزيراً وناصحا ... فكان له مما أراد حصول
وألقى مقاليد الامور مفوّضا ... اليك فلم يعدل يمينك سول
وقام بحفظ الملك منك مؤيد ... نهوض بما أعيا سواك كفيل

وساس الرعايا منك أشوس باسل ... مبيد العدا للمعتفين منيل

وأبلج وقاد الجبين كأنما ... على وجنتيه للنضار مسيل

تهيم به العلياء حتى كأنها ... بثينته في الحب وهو جميل

له عزمات لو أعير مضاؤها ... حسام لما نالت ظباه فلول

سرى ذكره في الخافقين فاصبحت ... اليه قلوب العالمين تميل

وأعدى فريضى جوده وثناؤه ... فاصبح في اقصى البلاد يجول

اليك أيا فخر الوزارة أرقلت ... برحلي هوجاء النجاء ذلول

فايت الى لقياك ناصية الفلا ... بايدى ركاب سيرهن ذميل

تسددني سهما لكل ثنية ... ضوامر اشباه القسي نحول

وقد لفظتني الارض حتى رمت الى ... ذراك برحلي هوجل وهجول

فقيدت أفراسي به وركائبي ... ولذ مقام لى به وحلول

وقد كنت ذا نفس عزوف وهمة ... عليها لاحداث الزمان دحول

وتهوى العلا حظى وتغرى بضده ... لذاك اعترته رقة ونحول

وتأبى لى الايام الا ادالة ... نصونك لى ان الزمان مذيل

فكل خضوع في جنابك عزة ... وكل اعتزاز قد عداك خمول

﴿ شعره ﴾

وبضاعته في الشعر مزجاة وان كان أعلم الناس به واشدهم تيقظا لموافقة الحسن وضده فمن ذلك قوله ورفعه الى السلطان ببلده رندة وهو اذ ذاك فتى يملأ العين أبهة ويستميل القلوب لباقة ومن خطه نقلت

هل الى رد عشيات الوصال ... سبب أم ذاك من ضرب المحال

حالة يسري بها الوهم الى ... أنها تثبت برأ باعتلال

وليال ما تبقى بعدها ... غير أشواق الى تلك الليال
اذ مجال الليل فيها مسرحي ... ونعيمي آمر فيها ووال
ولحالات الترضي جولة ... مرحت بين قبول واقتبال
فبوادي الخيف خوفي مسعد ... وبأكناف منى أسنى موال
لست أنسى الانس فيها أبدا ... لاولا بالعذل في ذاك أبال
وغزال قد بدالي وجهه ... فرأيت البدر فى حال الكمال
ماأمال التيه من أعطافه ... لم يكن الا على فضل اعتدال
خص بالحسن فماأنت ترى ... بعده للناس حظا في الجمال
من تسلى عن هواها فانا ... بسواه عن هواه غير سال
فلئن أتعبني حبي له ... فلكم نلت به أنعم حال
اذ لآلى جيده من قبلي ... ووشاحاه يميني وشمال
خلف النوم لى السهد به ... وترامى الشخص لاطيف الخيال
فتداوى بلماه ظمئي ... مزجك الصهباء بالماء الزلال
أو اشادات بنعماء الملك الا ... وحد الاسمى الهمام المتعال
ملك ان قلت فيه ملكا ... لم تكن الا محقا في المقال
أيد الاسلام بالعدل فما ... ان ترى رسما لاصحاب الضلال
ذو أياد شملت كل الورى ... ومعال يالها خير معال
همة هامت بأحوال التقى ... وصفات بالجلالات حوال
وقف النفس على اجهادها ... بين صوم وصلاة ونوال

ومنها في ذكر القوم الموقع بهم .

وفريق من عناد عاندوا ... أمره فاستوجبوا سوء نكال

غرّهم طول التجافي عنهم ... مع شيطان لهم والٍ موال
فلقد كانت بهم رندة أو ... أهلها في سوء تدبير وحال
ولقد كان النفاق مذهبا ... فاشيا مابين هاتيك التلال
مايعوذ اليوم الا بادروا ... بدواءٍ ونكيرات ثقال
طوّقوا النعمى فلما أنكروا ... طوقوا العدل بذى البيض العوال
أعقبوا جزاء ماقد أسلفوا ... في الدنا ويعقبوه في المآل

وهي طويلة ومنها

أيها لمولى الذى نعماؤه ... أعجزت عن شكرها كنه المقال
هاأنا أنشدكم مهنئا ... من بديع النظم بالسحر الحلال
فأنا العبد الذى حبكم ... لم يزل والله في قلبي وبال
أورقت روضة آمالي لكم ... وتولاها الكبير المتعال

ومنها

يا أمير المسلمين هذه ... خدمة تنبئُ عن أصدق حال
هى بنت ساعة أو ليلة ... سهلت بالحب فى ذاك الجلال
ما عليها اذ أجادت مدحها ... من بعيد الفهم يلغيها وقال
فهى في تأدية الشكر لكم ... أبدا بين احتفاء واحتفال

وكتب رحمه الله يخاطب أهله من مدينة تونس .

حىّ حي بالله يا ريح نجد ... وتحمل عظيم شوقى ووجدى
واذا ما بثثت حالى فبلغ ... من سلامى لهم على قدر ودى
ما تناسيتهم وهل في مغيبى ... هم نسونى على تطاول بعدى
بى شوق اليهم ليس يعزى ... لجميل ولا اكتئاب نجد

يا نسيم الصبا إذا جئت قوما ملئت أرضهم بشيح ورند
فلتطف عند المرور عليهم وتحفوا لهم على فأد
قل لهم قد غدوت من وجدهم في حال شوق لكل رند وزند
وان استفسروا حديثي فانى باعتناء الاله بلغت قصدي
فله الحمد اذ حباني بلطف عنده قل كل شكر وحمد

وافتتح مخاطبة لاخيه الاكبر أبي اسحق إبراهيم بقصيدة أولها

ذكر اللوى شوقا الى أقماره فقضى أسى أو كاد من تذكاره
وعلا زفير حريق نار ضلوعه فرمى على وجناته بشراره
لو كنت تبصر خطه في خده لقرأت سر الوجد من أسطاره
يا عاذليه أقصروا فلربما أفضى عتابكم الى اضراره
ان لم تعينوه على برحائه لا تنكروا بالله خلع عذاره
ما كان اكتمه لاسرار الهوى لو أن جند الصبر من أنصاره
ماذنبه والبين قطع قلبه أسفا واذكى النار في أعشاره
بمحل اللوى بالساكنيه وطيبهم وحديثه ونسيمه ومزاره
يا برق خذ دمعي وعرج باللوى فاسفحه في باناته وعراره
واذا اتيت بها النبي باخائه ألق خطوب الدهر أو بجواره
فاقرا السلام عليه قدر محبتي فيه وترغيبي الى مقداره
والمم ببيائر اخوتي وقرابتي من لم أكن لجوارهم بالكاره
ما منهم الا أخ أو سيد أبدا أرى دأبي على اكباره
فابعث بذالك الحي أني أخاهم في حفظ عهدهم على استبصاره

وقال رحمه الله تعالى في غرض كلفه سلطانه القول فيه .

ألا واصل بمواصلة العقار ودع عنك التخلق بالوقار
وقم والخلع عذارك في غزال يحق لمثله خلع العذار
قضيب مائس من فوق دعص(١) تعمم بالدجى فوق النهار
ولاح بخده ألف ولام فصار معرفا بين الدرارى
رمانى قاسم والسين صاد بأشفار تنوب عن الشفار
وقد قسمت بحاسن وجنتيه على ضدين من ماء ونار
فذاك الماء من دمعى عليه وتلك النار من فرط استعارى
عجبت له أقام بربع قلبى على ما شب فيه من الاوار
ألفت الحب حتى صار طبعا فما أحتاج فيه الى ادّكار
فمالى عن مذاهبه ذهاب وهذا فيه أشعارى شعارى

وقال العلامة ابن رشيد في ملء العيبة لما قدمنا المدينة سنة ٦٨٤ كان معى رفيق الوزير أبو عبد الله بن أبى القاسم الحكيم وكان أرمد فلما دخلنا ذا الحليفة أو نحوها نزلنا عن الاكوار . وقوى الشوق لقرب المزار . فنزل وبادر الي المشى على قدميه احتسابا لتلك الآثار واعظاما لمن حلّ في تلك الديار . فأحس بالشفاء فانشد لنفسه في وصف الحال قوله

ولما رأينا من ربوع حبيبنا بيثرب اعلاما أثرن لنا الحبا
وبالترب منها اذ كحلنا جفوننا شفينا فلا بأسا نخاف ولا كربا
وحين تبدى للعيون جمالها ومن بعدها عنا أديلت لنا قربا
نزلنا عن الاكوار نمشى كرامة لمن حلّ فيها أن نلم به ركبا

---

(١) فى القاموس الدعص بالكسر وبهاء قطعة من الرمل مستديرة أو الكثيب منه المجتمع أو الصغير اه

نسحّ سجال الدمع في عرصاتها ونأتم من حب لو اطئه الـترب
وان بقائي دونه لخسارة ولو أن كفى تملأ الشرق والغربا
فياعجبا ممن يحب بزعمه يقيم مع الدعوى ويستعمل الكتبا
وزلات مثلى لاتعد كثيرة وبعدى عن المختار أعظمها ذنبا

ومن شعره قوله

ما أحسن العقل وآثاره لو لازم الانسان إيثاره
يصون بالعقل الفتى نفسه كما يصون الحر اسراره
لاسيما ان كان في غربة يحتاج أن يعرف مقداره

وقوله رحمه الله

انى لاعسر أحيانا فيلحقنى يسر من الله ان العسر قد زالا
يقول خير الورى في سنة ثبتت أنفق ولاتخش من ذى العرش اقلالا

وهو من أحسن ماقاله رحمه الله

ومن شعره قوله

فقدت حياتى بالعراق ومن غدا بحال نوى عمن يحب فقد فقد
ومن أجل بعدى من ديار ألفتها جحيم فؤادى قد تلظى وقد وقد

وحكى ان ذا الوزارتين المترجم لما اجتمع مع الفقيه الكاتب ابن أبى مدين أنشده ابن أبى مدين

عشقتكمو بالسمع قبل لقاكمو وسمع الفتى يهوى لعمرى كطرفه
وحببنى ذكر الجليس اليكمو فلما التقينا كنتم فوق وصفه

فانشده ذوالوزارتين ابن الحكيم قوله

مازلت أسمع عن علياك كل سنى أبهى من الشمس أو أجلى من القمر

حتى رأى بصرى فوق الذى سمعت ... أذنى فوفق بين السمع والبصر

ومن نظمه مما يكتب على قوس

أنا عدة للدين في يد من غدا ... لله منتصرا على أعدائه

أحكى الهلال وأسهمى في رجمها ... لمن اعتدى تحكى نجوم سمائه

قد جاء في القرآن انى عدة ... اذ نص خير الخلق محكم آيه

واذا العدو اصابه سهمى فقد ... سبق القضاء بهلكه وفنائه

ومن توقيعه مانقلته من خط ولده أبى بكر في كتابه المسمى بالموارد المستعذبة وكان بوادى آش الفقيه الطريفى فكتب الي خاصة والدي أبي جعفر ابن داود قصيدة على روىّ السين يتشكى فيها من مشرف بلدهم اذ ذاك أبى القاسم بن حسان منها

فياصفىّ أبى العباس كيف ترى ... وأنت كيّس من فيها من اكياس

ولوه ان كان ممن ترتضون به ... فقد دنا الفتح للاشراف في فاس

ومنها يستطرد ذكر ذى الوزارتين

للشرق فضل فمنه اشرقت شهب ... من نورهم أقبسونا كل مقباس

فوقع عليها رحمه الله تعالى

ان أفرطت بابن حسان غوائله ... فالامر يكسوه ثوب الذل والباس

وان تزل به في جوره قدم ... كان الجزاء له ضربا على الراس

فقد أقامنى المولى بنعمته ... لبثّ أحكامه بالعدل فى الناس

﴿ كتابته ﴾

وهي مرتفعة عن نمط شعره فمن ذلك رسالة كتبها عن سلطانه في فتح مدينة قيجاطة وهي

من الامير فلان أيده الله ونصره . ووفقه لما يحب حتى يكون ممن قام بفرض الجهاد ونشره . الى ابننا الذى نمنحه الحب والرضى . ونسأل الله ان يهبه الخلال التى تستحسن والشيم التى ترتضى . الولد الانجب الارضى الانجد الارشد الاسعد محمد والى الله تعالى اسعاده . وتولى بالتوفيق والارشاد سداده . وأطلع عليه من أنباء الفتوح المبشرة بالنصر الممنوح مايكمل من بغيته في نصر دين الاسلام مراده .

أما بعد حمد الله الذى جعل الجهاد في سبيله أفضل الاعمال . وندب اليه بما وعد من الثواب عليه فقال ياأيها النبى حرض المؤمنين على القتال . تنبيها على محل الثقة بأن الفئة القليلة من أوليائه تغلب الفئة الكثيرة من أعدائه . وتدارك دين الاسلام بانجاز وعده في قوله ولينصرن الله من ينصره على رغم أنف من ظن انه خاذله تعالى الله عن خذلان جنده . والصلاة والسلام على نبيه ومصطفاه . ورسوله ومجتباه لهداية الخلق لسلوك سبيل الحق . والعمل بمقتضاه . قال تعالى فيما أنزل قاتلوا الذين يلونكم من الكفار تحريضا على أن يمحو ظلام ضلالهم بنور هداه . صلى الله عليه وسلم وعلى آله الابرار . وأصحابه الاشداء على الكفار . الذين جردوا في نصرة دينه صارم العزم وأمضوا ظباه . وفتحوا مازوى له من مشارق الارض ومغاربها حتى عم الاسلام حد المعمور ومنتهاه . فانا كتبناه اليكم كتب الله لكم من سماع البشائر مايعود بتحويل الاحوال . وأطلع عليكم من أنباء الفتوح مايلوح بآفاق الآمال مبشراً باليمن والاقبال . من قيجاطة وبركات ثقتنا بالله وحده تظهر لنا عجائب مكنونات ألطافه . وتجنينا ثمار النصر في ابان قطافه . وتسخر لنا ورد مشرع الفتح فنرد عذب نطافه . والحمد لله الذى هدانا الان تقلد نجادها . ونمتطي جوادها ونستورى

زنادها . ونستفتح مغالق المآرب. ولطائف المطالب. حتى دخلت الملة الحنيفية في هذه الجزيرة الاندلسية اغوارها وأنجادها. وقد تقرر عند الخاص والعام من أهل الاسلام . واشتهر في جميع الاقطار اشتهار الصبح في سواد الظلام انا لم نزل نبذل جهدنا في أن تكون كلمة الله هي العليا . ونسمح في ذلك بالنفوس والاموال رجاء ثواب الله لا لعرض الدنيا . وأنا ما قصرنا في الاستنصار والاستنفار . ولا قصرنا عن الاعتضاد بكل من أملنا معاملته والاستظهار . ولا اكتفينا بمطولات الرسائل وبنات الافكار . حتى اقتحمنا بنفوسنا لجج البحار . وسمحنا بالطارف من أموالنا والتلاد . واعطينا رجاء نصرة الاسلام موفور الاموال والبلاد . واشترينا بما أنعم الله به علينا ما فرض الله على كافة أهل الاسلام من الجهاد . فلم يكن بين تلبية المدعوّ وزهده ولا بين قبوله ورده . الا كما يحسو الطائر ماء الثماد . ويأبى الله أن يكل نصر هذه الجزيرة الى سواه . وأن يجعل فيها شيئا الا لمن أخلص لوجهه الكريم علانيته ونجواه . ولما أسلم الاسلام بهذه الجزيرة الغربية الى مناويه . وبقي المسلمون يتوقعون حادثا ساءت ظنونهم لمباديه ألقينا الى الثقة بالله تعالى يد الاستسلام . وشمرنا عن ساعد الجد والاجتهاد في جهاد عبدة الاصنام . وأخذنا بمقتضى قوله تعالى وأنفقوا فى سبيل الله أخذ الاعتزام . فأمدنا الله تعالى بتوالى البشائر . ونصرنا بألطاف أغنى فيها خلوص الضمائر عن قواد العساكر . ونفلنا على أيدى قوادنا ورجالنا من السبايا والغنائم ماعد ذكره في الآفاق كالمثل السائر . وان تعدّوا نعمت الله لا تحصوها وكيف يحصيها المحصي أو يحصرها الحاصر . وحين أبدت العناية الربانية وجوه الفتوح سافرة المحيا . وانتشقنا من النصر الممنوح عبق الرياء استخرنا الله

تعالى في الغزو بأنفسنا ونعم المستخار. وكتبنا الى من قرب من عمالنا بالحض
على الجهاد والاستنفار. وحين وافي من خفّ للجهاد من الاجناد والمطوعين
وغدوا بحكم رغبتهم في الثواب على طاعة الله مجتمعين. خرجنا بهم ونصر الله
تعالى أهدى دليل. وعناية الله بهذة الفئة المفردة من المسلمين تقضى بتقريب
البعيد من آمالنا وتكثير القليل. ونحن نسأل الله تعالى أن يحملنا على جادّة
الرضا والقبول. وأن يرشدنا الى طريق يفضى الى بلوغ الامنية والمأمول.
الى أن حلانا عشية يوم الاحد ثانى يوم خروجنا بمقبرة حصن اللغوب فأدرنا
به التدبير. واستشرنا من أوليائنا من تحققنا نصحه فيما به يشير. فاقتضى
الرأى المقترن بالرشاد. المؤذن بالاسعاد. قصد قيجاطة رغبة في تيسير فتحها.
وأملا في اضاءة فجر الامانى لديها وبيان صبحها. فسرنا في جيش يجر على
المجرة ذيل النقع المثار. ويضيق عن كثرته واسع الاقطار. ويقر عين الاسلام
بما اشتمل عليه من الحماة والانصار. يطير بهم ثباتهم بأجنحة العزم الى
قبض أرواح الكفار. فلما وصلنا الى وادى بانة على مقربة منها نزلنا به نريح
الجياد. ونكمل التأهب للقتال والاستعداد. وبات المسلمون ليلتهم يسألون
الله تعالى أن يمنحهم الاعانة بتأييده والامداد. وحين فجر الفجر وأنار النهار.
وقدح الاصباح زند الانوار. ركبنا اليها والعساكر قد انتظمت عقودها.
والسيوف قد كادت تلفظها غمودها. وبصائر الاولياء المجاهدين قد لاح من
نصر الله تعالى معهودها. فلما وصلناها وجدنا ناسنا قد سبقوا اليها بالبوس.
وهتكوا ستر عصمتها المحروس. وخذلوها بزوال النعم وذهاب النفوس. فعاجلها
الاولياء بالقتال. وأهدوا اليها حمر المنايا من زرق النصال. ورشقوا جنودها
بالنبال. وجدوا نبات الآجال. فلما رأوا مالا طاقة لهم به لاذوا بالفرار من

الاسوار وولوا الادبار . وودعوا الديار وما فيها من الآثار . وتسنم المسلمون ذروة البلد الاول فلكوه . وخرقوا حجاب الستر المنسدل عليه وهتكوه . وتسرعوا الى البلد الثانى وقد ملؤا أسواره من حماة رجالهم . وانتقوهم من متخيرى أبطالهم . ممن وثقوا باقدامه في حماية ضلالهم . فحمل عليه المسلمون حملة عرفوهم بها كيف يكون اللقاء . وصرفوهم الى ماتنصرف اليه أرواحهم من الشقاء . وأظهروا لهم من الصدف عن الغنائم ماعلموا به ان لدين الاسلام أنصارا لا يرغبون بأنفسهم عن الذب عنه وحماية راياته . ولا يصدرون الا الى طاعة الله ابتغاء مرضاته . وبادر جماعة الى اضرام باب المدينة بالنيران . وعقدوا تحت سماء العجاج منها سماء الدخان . ورموا النصارى منها بشهب تتبع منهم كل شيطان . فهزم الله النصارى وولوا أدبارهم . وقذف الله في قلوبهم الرعب فأخلوا بروجهم وأسوارهم . وتسنمها المسلمون معلنين بشعار الاسلام . رافعين من الرايات الحمر كواكب فى سماء السعادة تبشر بتيسير كل مرام . ودخلوا المدينة فألموا بها القوة والعتاد . والمتاع الفاخر الذى يربو على التعداد . فملؤا كل يمين وشمال . وظهروا عليها بعد بلوغ الامانى على الكمال . وقتلوا من بها من اهل الضلال والظلام . واعملوا فيهم ماضى العوامل وشبا الاضرام . وارتمع النصارى الى القصبة لائذين بامتناعها . معتصمين بعلوها وارتفاعها . متخيلين لضلالهم وعدم استبصارهم . ان نور الهدى لايحل بديارهم . فرأينا أن ترقى الرجال الى ابراج البلد وأسواره . وأمرناهم أن يبيتوا طول ليلتهم مضيقين على من اعتصم بالقصبة في حصاره . وعمدنا بالعسكر المظفر الى موضع استيطانه من المحلة المنصورة واستقراره . فلما بدا ضوء الصباح بنور الاشراق . ولاح وجه الغزالة طارحا شعاعه على الآفاق . أمرنا بترتيب العساكر على القصبة للحصار

وعينا لكل جماعة منهم جهة يبادرون الى منازلتها بالقتال أشد البدار . فانتهى المسلمون من ذلك الذى لم يخطر للكافرين ببال وجرعوهم كؤس المنايا . وأداروا بها بنات الحنايا . وأظهر الكفار مع وقوعهم في بحر الموت صبرا . وطمعوا أن يقيموا بذلك لصلبانهم عذرا . ولما رأوا من عزمنا مالم تتخيله ظنونهم وأوهامهم . وصابرهم المسلمون عند النزال مصابرة عظم فيها اقدامهم . ألقوا بأيديهم الى التهلكة القاء من هاله لمعان الاسنة واهتزاز ردينيات القنا ولاذوا بطلب الامان لياذ الغريق بالساحل بعد ما أشرف على الفنا . وهبط زعيمهم مقتحما خطر تلك المسالك . متضرعا تضرع من طمع فى الحياة بعد ما أخذته أيدى المهالك . وشرط أن يملكنا القصبه . ويبقى خديما لنا بما بيده من البلاد الكثيرة المنتخبه . فلم نظهر له عند ذلك قبولا . ولم نجعل له الى تكميل ما رغب فيه سبيلا . فقاده الباس الشديد الى الاذعان . ورغب أن يكمل ما نريده على شروط الامان . فاسعفنا رغبته لى شروط بعد عهد المسامين بمثلها . وهيئت الاسباب بما نعتمده من الثقة بالله وحده فى أمورنا كلها وذلك على كذا وكذا . وحين كملت الشروط حق التكميل . وظهرت لنا أمارات الوفاء الجميل . دخلنا القصبة حماها الله وقد اغنى النصر عن شهر السلاح . كما أغنى ضوء الصبح عن نور المصباح . ورفعت على ابراجها حمر الاعلام . ناطقة عن الاسلام بالتعريف والاعلام . وفي الحين وجهنا من يقبض تلك الحصون . ويزيل ما بها من جرم الكفر المأفون أمناء رجالنا فالحمد لله على هذه النعمة التى أحدثت للقلوب استبشارا . وخفضت علم التثليث ورفعت للتوحيد منارا . وأظهرت للملة الحنيفية على أعدائها اعتلاء واستكبارا . وهذا القدر من الفتح سامى الفخر باقى الذكر ببقاء

الدهر وانا لنرجو من فضل الله ان يتبعه بما هو أعلى منه متانه . واعظم في قلوب اهل الايمان موقعا واعز مكانه . وأن يرغم بما يظهر على أيدينا من عز الاسلام أنف من أظهر له عنادا وخذلانا . فاستبشروا بهذا الفتح العظيم وبشروا . واشكروا الله عليه فواجب ان تشكروا . وقد كتبنا هذا ونحن على عزمنا في غزو بلاد الكفار . والسعي الحميد الى التنكيل بهم والاضرار . والمسلمون أعزهم الله في أرضهم يشنون المغار . ويتملكون الانجاد منها والاغوار . ويكررون القتل والاسار . ويحكمون أينما نزلوا السيف والنار .

ومن نثره آخر اجازة ما صورته

وها أنا أجرى معه على حسن معتقده . وأكله في هذا الغرض الى ما رآه بمقتضى تودده . واجيزله ولولديه أقر الله بهما عينه . وجمع بينهما وبينه . رواية جميع ما نقلته وحملته . وحسن اطلاعه يفصل من ذلك ما أجملته . فقد أطلقت لهم الاذن في جميعه . وأبحت لهم الحمل عني ولهم الاختيار في تنويعه . والله سبحانه وتعالى يخلص أعمالنا لذاته . ويجعلها في ابتغاء مرضاته . قال هذا محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم حامدا لله عز وجل ومصليا ومسلما

﴿ وفاته ﴾

قتل رحمه الله صبيحة عيد الفطر من عام ثمانية وسبعمائة وذلك لتاريخ خلع سلطانه واستولت يد الغوغاء على منازله شغلهم بها مدبر الفتنة خيفة من أن يعاجلوه قبل تمام أمره فضاع بها مال لا يكتب وعروض لا يعلم لها قيمة من الكتب والذخيرة والفرش والآنية والسلاح والمتاع والخرثى وأخفرت ذمته وتعدى به عدوه القتل الى المثلة وقانا الله مصارع السوء فطيف بشلوه وانتهب فضاع ولم يقبر وجرت فيه شناعة كبيرة رحمه الله

تعالى. وممن رثاه شيخنا أبو بكر بن شيرين رحمه الله تعالى بقوله

سقى الله أشلاء كرمن على البلى ... وماغض من مقدارها حادث البلا
ومما شجاني أن أهين مكانها ... وأهمل قدر ماعهدناه مهملا
ألا اصنع بها يادهر ماأنت صانع ... فما كنت الا عبدها المتذللا
سفكت دماكان الرقوء نواله ... لقد جئتها شنعاء فاضحة الملا
بكفي سبتي أزرق العين مطرق ... عدا فغدا في غيه متوغلا
لنعم قتيل القوم في يوم عيده ... قتيل تبكيه المكارم والعلا
الا ان يوم ابن الحكيم لمشكل ... فؤادى فما ينفك ماعشت مشكلا
فقدناه في يوم أغر محجل ... ففي الحشر نلقاه أغرّ محجلا
سمت نحوه الايام وهو عميدها ... فلم تشكر النعمى ولم تحفظ الولا
تعاورت الاسياف منه ممدحا ... كريما سما فوق السماكين مرجلا
وخانته رجل في الطواف به سعت ... فناء بصدر للعلوم تحملا
وجدّل لم يحضره في الحيّ ناصر ... فمن مبلغ الاحياء أن مهلهلا
يد الله في ذاك الاديم ممزقا ... تبارك ماهبّت جنوبا وشمألا
ومن حزني أن لست أعرف ماجدا ... له فأرى للترب منه مقبّلا
رويدك يامن قد غدا شامتا به ... فبالامس ما كان العماد المؤملا
وكنا نغادى أو نراوح بابه ... وقد ظل في أوج العلا متوقلا
ذكرناه يوما فاستهلّت جفوننا ... بدمع اذا ما أمحل العام أخضلا
ومازج منه الحزن طول اعتبارنا ... ولم ندر ماذا منهما كان أطولا
وهاج لنا شجوا تذكر مجلس ... له كان يهدى الحيّ والملأ الألى
به كانت الدنيا تؤخر مدبرا ... من الناس حتما أو تقدّم مقبلا

لتبك عيون الباكيات على فتى ... كريم اذا ما أسبغ العرف أجزلا
على خادم الآثار تتلى صحائحا ... على حامل القرآن يتلى مفصّلا
على عضد الملك الذى قد تضوعت ... مكارمه في الارض مسكا ومندلا
على قاسم الاموال فينا على الذى ... وضعنا لديه كل اصر على علا
وأنى لنا من بعده متعلل ... وما كان في حاجاتنا متعللا
ألا يا قصير العمر يا كامل العلا ... يمينا لقد غادرت حزنا مؤثلا
يسوء المصلى أن هلكت ولم تقم ... عليك صلاة فيه يشهدها الملا
وذاك لان الامر فيه شهادة ... وسنتها محفوظة لن تبدلا
فيا أيها الميت الكريم الذى قضى ... سعيدا حميدا فاضلا ومفضلا
لتهنك من رب السماء شهادة ... تلاقي ببشرى وجهك المتهللا
رثيتك عن حب ثوى في جوانحي ... فما ودع القلب العميد وما قلا
ويارب من أوليته منك نعمة ... وكنت له ذخرا عتيدا وموئلا
تناساك حتى ماتمر بباله ... ولم يدّكر ذاك الندى والتفضلا
ورابض في مثواك كل عشية ... ضفيف شواء أو قديدا معجلا
لحى الله من ينسى الاذمة رافضا ... ويذهل مهما أصبح الامر مشكلا
حنانيك يا بدر الهدى فلشد ما ... تركت بدور الافق بعدك أفّلا
وكنت لآمالى حياة هنيئة ... فغادرت منى اليوم قلبا مقتلا
فلا وأبيك الخير ما أنا بالذى ... على البعد ينسى من ذمامك ماخلا
فأنت الذى آويتنى متغربا ... وأنت الذى اكرمتنى متطفلا
فآليت لا ينفك قلبي مكمدا ... عليك ولا ينفك دمعى مسبلا

« تم الجزء الثانى من كتاب الاحاطه . في أخبار
غرناطه . ويليه الجزء الثالث وأوله ترجمة
محمد بن عبد الرحمن المتاهل »

﴿ تنبيه ﴾ وقع في صحيفة ٣٦ سطر ٢٠ من هذا الجزء في خطبة للمؤلف ما نصه

« ذكروا أن امرأة احتمل السبع ولدها وسمعت النداء فلم تلقم لقمة »
والصواب أن هذه الخطبة لابن المؤلف على بن الخطيب ونص محل الحاجة منها كما ترى « ذكروا أن امرأة احتمل السبع ولدها وشكت الى بعض الصالحين فأشار عليها بالصدقة فتصدقت برغيف فأطلق السبع ولدها وسمعت النداء يا هذه لقمة بلقمة » اه وبه يعرف ماوقع هنا من التحريف والاختصار ووقع في صحيفة ٢٠٩ سطر ١٦ « كحمائم فوق الفصول حواكى » وصوابه « كحمائم فوق الغصون حواكى » ووقع في صحيفة ٢٤٦ سطر ١٥ في رسالة لابى عبد الله محمد بن أحمد الاستجى خاطب بها أبا الوليد اسماعيل الايادى ما نصه وكيف أعجب من اجرائك هذه الجياد . وأياديك من اياد . ورثت هذه المساعده . من قس بن ساعده . أجدك أنت الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنى أنظر اليه في سوق عكاظ على جمل اورق وهو يقول أيها الناس مطر ونبات وآباء وأمهات . الى قوله

في الذاهبين الاوليـــــن   الى القبور لنا مصائر
لما رأيت مسيرهم   والركب في الفلوات سائر
أيقنت انى لامحا   له حيث صار القوم صائر

اه وقد عثرنا على نص ما قاله الرسول صلوات الله وسلامه عليه في شأن قس بن ساعدة وخطبته وهو كما في العقد الفريد جزء ثانى صحيفة ١٩٠ « ابن عباس قال قدم وفد اياد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايكم يعرف قس بن ساعدة الايادى قالوا كلنا يعرفه قال فما فعل قالوا هلك قال

ما أنساه بسوق عكاظ فى الشهر الحرام على جمل له أحمر وهو يخطب الناس ويقول اسمعوا وعوا . من عاش مات . ومن مات فات . وكل ما هو آت آت . ان فى السماء لخبرا . وان في الارض لعبرا . سحائب تمور . ونجوم تغور . في فلك يدور . ويقسم قس قسما ان لله دينا هو أرضى من دينكم هذا ثم قال مالى أرى الناس يذهبون ولا يرجعون . أرضوا بالاقامة فأقاموا . أم تركوا فناموا . ايكم يروى من شعره فأنشد بعضهم

في الذاهبين الاوليـــن من القرون لنابصائر

لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر

ورأيت قومى نحوها تمشى الاكابر والاصاغر

لا يرجع الماضى ولا يبقى من الباقين غابر

أيقنت انى لا محا لة حيث صار القوم صائر

اه وبه يعلم ما وقع هنا من التحريف والاختصار ووقع أيضا في صحيفة ٢٧٢ سطر ٢٠ فى ترجمة ابن أبي الخصال الغافقى عممت بالسرف . ولففت في الخرق . وصوابه « عممت بالسرق » بالقاف وهو كما في القاموس شقق الحرير الابيض أو الحرير عامة .

﴿ فهرست الجزء الثانى من كتاب الاحاطه . فى أخبار غرناطه ﴾

صحيفه

صحيفه

صحيفه

صحيفه

تمت

